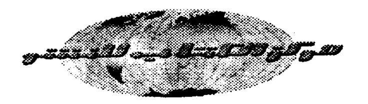
مدرسة الصوم

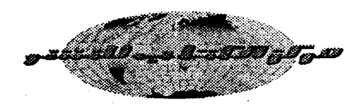
الشيخ
منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن (سابقاً)

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة

تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول الله سبحانه وتعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى
الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ
وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ
الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ
فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾ [البقرة].



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه . . الذى فرض الصيام على العباد تزكية لنفوسهم . . وتثبيتاً لقلوبهم وشحذاً لعزائمهم . . وتقوية لإرادتهم ورمزاً لأخوة المسلمين . . وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الصيام وقاية للنفس من الوقوع فى الباطل وتنقية للوجدان وترقيقاً للمشاعر . . وتنظيفاً للضمائر من هواجس الهوى وشرور الفتن . . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى كان يصوم شهر رمضان بهمة قوية ويدرب أصحابه على صيام التطوع بعد صيام شهر رمضان لأنه يدرك أن الصيام فيه تدريب على ضبط الأعصاب وتعويد على السخاء والجود والكرم صلى اللّه على سيدنا محمد خير من صام وأفطر وأفضل من عَبَدَ ربه بصدق وإخلاص حتى أتاه اليقين . . وارض اللهم عن الصحابة الأطهار الأبرار الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه . . فآتاهم اللّه ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخر.

وبعد ...

فإن الصوم مدرسة . . ولهذه المدرسة منهج . . وللمنهج أستاذ عظيم درّسه للإنسانية . . فمن دخل المدرسة واستفاد من دروسها ونفّذ المنهج على نفسه وطبّقه فى حياته. . استفاد ونجح . . وعلامة ذلك . . هدوء النفس وراحة البال وصحوة الإرادة. . والنجاح فى معترك الحياة . . والتغلب على كل شدة أو أمر صعب تُصادف من دخل مدرسة الصوم وتعلم فيها. . إن الصيام مدرسة فيها يتعلم الإنسان. . الإخلاص للّه . . ويتدرب فيها على أن يكون صاحب إرادة قوية وعزيمة لا تضعف ولا تلين ومع ذلك يتعلم الصبر وما أحلاه فى مسيرة الحياة لأنه بالصبر يلين الحديد فى يد الإنسان . . ويتعلم ضبط النفس فلا يفلت منه الزمام وإنما يتحكم فى أعصابه ويملك نفسه عند الغضب وهذه قوة . . وأعظم بها من قوة لأنه ليس الشديد بالقوة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب. . كما أن مدرسة الصوم

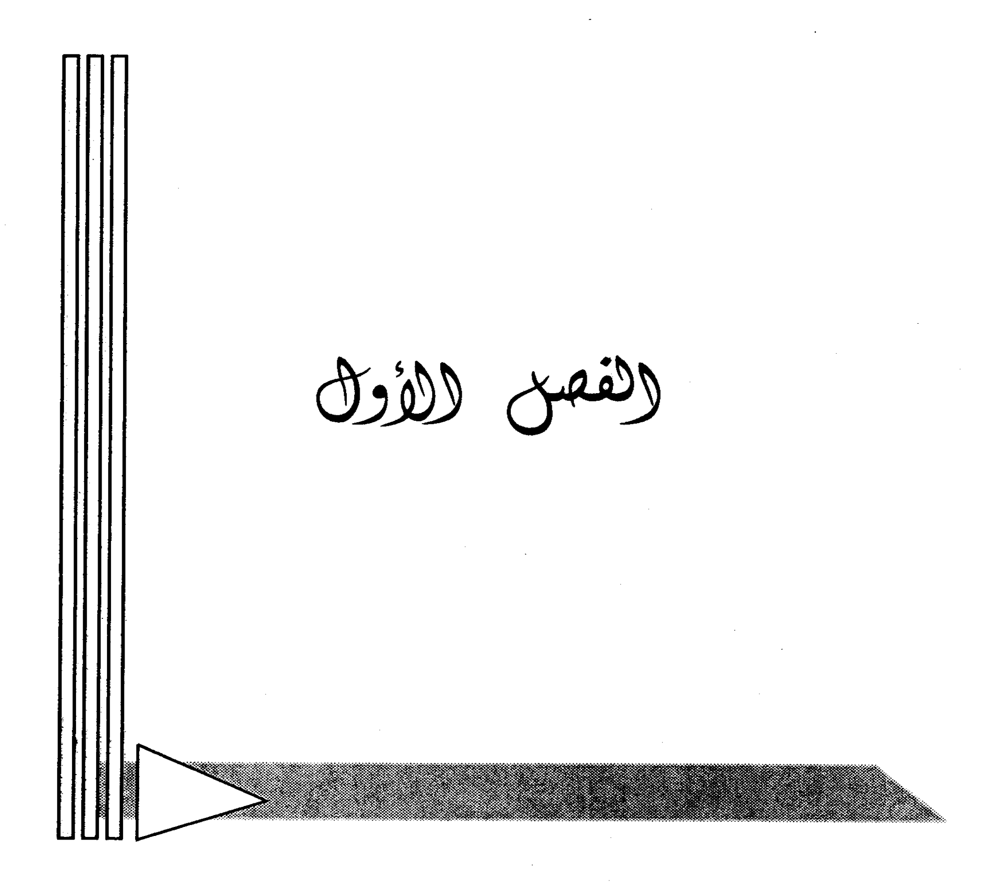
تغرس فى وجدان الإنسان أنه جزء من كل . . فهو فرد من أمة . . والصوم وحَّد مشاعرها كما بين لها هدفها وطريق الوصول إليه . . فقلوب المسلمين فى شهر رمضان تتلاقى فى جو من الطهر والنقاء ومن هنا تتآلف النفوس وتلتئم الصفوف وتتوحد الجماعة ويصبح المسلمون بسبب ذلك كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . . لأن المسلمين فى شهر رمضان . . بذلوا المعروف . . وأعطوا المحروم . . وأطعموا الجائع . . وكسوا العارى . . وآووا الغريب . . وقدموا الدواء للمريض . . وتعاونوا على البر والتقوى .

فتعالوا بنا ندخل هذه المدرسة ونقرأ المنهج بدقة وفهم وإدراك لحقائقه ونسترشد بأقوال أستاذ الأساتذة ليتبيّن لنا الخير فنسارع فى عمله لنحظى بالخير والسعادة والهناء والنجاح والفلاح كما سعد مَنْ قبلنا ونجعل شهر رمضان هذا العام فاتحة خير لنتمكن فيه من استرداد هيبتنا التى ضاعت بسبب اللعين شارون وتخاذل المجتمع الدولى وضعف الأمة العربية الإسلامية . . إنه بلا شك سوف يغير الصيام من حالنا لأن الصيام فيه سر وأسرار ومن أسراره الإخلاص للَّه . . والإخلاص من أسراره النجاح . . والنجاح هو أن نهزم أعداءنا الذين عاثوا فى الأرض فساداً وانتهكوا حرمة الأماكن المقدسة وساعدتهم الدول التى تكن العداء للعرب والكراهية للمسلمين . . وسبب ذلك التخلف الفكرى . . والجهل بحقائق التاريخ . . وعدم المعرفة بأخلاق عدونا وحجم تعامله وما يمتلكه من أسلحة دمار يواكب ذلك ما نحن فيه من تفرق وخروج بعضنا على الشرعية الدستورية . . وعدم التمسك بأوامر الدين ونحن ندرك تماماً ما قاله ربنا ﴿ . . **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** . . ﴿١١﴾ ﴾[**الرعد**] لقد آن الأوان أن نتنبّه ولتكن البداية من شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيِّنات من الهدى والفرقان وإذا كان شهر رمضان هو شهر النور . . لن يراه إلا سليم العينين . . وإذا كان شهر النصر والانتصارات فلن يتحقق ذلك إلا للشخص القوى فى دينه القوى فى عقيدته القوى فى جسده القوى فى وطنيته فإن حب الوطن من الإيمان ومن لا وطن له لا كرامة له . . والإسلام دين قوة يحث أتباعه على أن يكونوا أقوياء فى كل مناحى حياتهم « فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن

الضعيف» . . إن علينا أن ننتهز شهر رمضان ونعمل على صياغة عقل المواطن العربى من جديد . . ونقول للعالم أجمع (من موطن القوة والعزة) ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران] . . من أجل كل هذا علينا أن ندخل إلى مدرسة الصيام فى فصولها نتعلم . . ومنهجنا واضح ومعلمنا عظيم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقد بعثه الله للناس أجمعين . . المهم أن نتعلم . . فالعلم نور . . مع إيماننا . . أن نور الله لا يُهدى لعاصى . . فلندخل على بركة الله إلى مدرسة الصوم وبين يديك هذا الكتاب الذى يتكون من ستة فصول . . سائلين الله سبحانه أن يرزقنا الفهم وأن يُبصِّرنا بما فيه نفعنا وأن يُسدد على طريق الخير خُطانا وأن يكون معنا بنصره وتأييده فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير . . واللَّه من وراء القصد هو حسبى ونعم الوكيل . . وله الحمد فى الأولى والآخرة .

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .

منصور الرفاعى عبيد



الفصل الأول

الفصل الأول
شهر رمضان

هو سيد الشهور العربية . . كما أن يوم الجمعة هو سيد أيام الأسبوع . . ولو يعلم العباد ما فى شهر رمضان من الخير العظيم . . والفضل الذى يمنحه اللّه لعباده . . فى شهر رمضان . . لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة كاملة . . ومن المعلوم أن أشهر العرب اثنى عشر شهراً قمرياً . . والسنة القمرية أقل من أيام السنة الشمسية لأن السنة القمرية تنقص أحد عشر يوماً وكسراً فى كل سنة . . وأسماء الشهور العربية تبدأ من شهر الله (المحرم) وتنتهى بشهر (ذى الحجة) وشهر رمضان يقع فى تعداد السنة الشهر التاسع . . والشهر يبتدئ من ظهور الهلال إلى المحاق . . ثم ظهور الهلال مرة أخرى ، وذلك لقول الله سبحانه : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** .. ﴿١٨٩﴾ ﴾[البقرة] . . وهو مشتق من الشهرة لأن الهلال عندما يظهر فى السماء يُشهرون ذلك بين الناس فيثبت مطلع الشهر عندهم . . ورمضان علم على الشهر التاسع . . وهو مشتق من الرمضاء وهى الحرارة . . لأن رمضان أول أشهر الحرارة بناء على ما كان من النسيء فى السنة القمرية عند العرب .

النسيء

من المعروف أن الشهور العربية اثنى عشر شهراً لكن العرب كان لبعضهم هفوات ولهم تصرفات باطلة مبنية على آراء فاسدة لأنهم كانوا يُحلون ما حرّم الله . . ويُحرِّمون ما أحلّ الله على حسب مزاجهم وأهوائهم فلهم من القوة والعصبية ما يحميهم ويُبقى على تصرفهم السيء . . وكان من أعمالهم الفاسدة أنهم يُؤخرون شهر الله (المحرم) ويجعلونه بدل شهر (صفر) . . وهكذا كان كما يَحلو لهم أن يُقدموا فى الشهور أو يؤخروا على حسب أهوائهم لأنهم يقدمون مصالحهم الشخصية

دون اعتبار لأى شىء . . وهذا تلاعب فى أمور ثابتة مفهومة عند الناس معروفة لديهم . . وبناء على هذا التلاعب كان الحج يتأخر أو يتقدم كما أن شهر رمضان كذلك يتقدم أو يتأخر . . وكان يكفى أن ينادى أحد العرب ممن له شأن وجاه فيقول: (أيها الناس إنى لا أُعاب ولا أُجاب ولا مَرَدَّ لما أقول . . إنّا قد حرّمنا المحرم وأخرنا صفر . . ثم يجىء فى العام القادم فيقول مثل مقالته ويقول . . إنّا قد حرّمنا صفر وأخرنا المحرم . . ليواطئوا عدّة ما حرّم الله . . فيُحلوا ما حرَّم بتأخير الشهر الحرام)(١) . . وهذا العمل حرام . . لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ... ﴿٣٦﴾ ﴾[التوبة] . . ويُبيّن الحق سبحانه أن ما يفعله بعض العرب من تقديم شهر أو تأخيره إنما هو عمل يقع تحت طائلة الإجرام ولا يتفق أبداً مع القيم الأخلاقية والآداب الاجتماعية . . لهذا قال الحق سبحانه ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴿٣٧﴾ ﴾[التوبة] . وكان أول مَنْ نسأ الشهور على العرب فأحلّ منها ما حرّم الله وحرّم منها ما أحلّ الله عز وجل (القُلمُّس) ثم قام بعده على ذلك ابنه (عبّاد) واستمر الحال كذلك . . فكان يقوم أبناؤه أو أحفاده بعد الفراغ من الحج فيُحل الحرام ويُحرّم الحلال (يقول ابن جرير كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً فيجعلون المحرم صفرا فيستحلّون فيه المحرّمات)(٢) .

فلما جاء الإسلام أبطل هذا التصرف ونزل القرآن صريحاً وواضحاً . . ثم وضّح الرسول ﷺ فى خطبة الوداع أن الأشهر على حالها لا تقديم فيها ولا تأخير وقال: « **أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عِدّة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان .. وذو القعدة وذو الحجة والمحرم**»[أخرجه ابن جرير] . .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير - جـ٢ - ص ١٤٢ .
(٢) تفسير ابن جرير عن الآيات السابقة .

وجاء عن النبى ﷺ « **ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنى عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات .. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضر الذى بين جُمادى وشعبان**»[أخرجه البخارى] . . وقد أضاف الرسول ﷺ شهر رجب إلى مُضر ليُبيِّن صحة قولهم فى رجب أنه الشهر الذى بين جمادى وشوال . . وليس كما تظنُّه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذى بين شعبان وشوال . . لأن هذا الشهر هو رمضان . . لذلك كان هذا التوضيح من النبى العظيم حتى لا يلتبس الأمر على بعض العقول . . وقول الرسول ﷺ أن الأشهر المحرّمة أربعة . . ثلاثة سُرُد . . وهى ذو القعدة . . لأن الناس يقعدون فيه عن القتال ويُهيئون أنفسهم لأداء الحج الذى يقع فى شهر (ذى الحجة) فيوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك والبيع والشراء وتبادل المنافع . . ثم يكون شهر الله (المحرم) فيرجع الناس إلى بلادهم فى جو من الأمن والسلامة لأن هذه الأشهر يحرُمُ فيها القتال . . أما شهر (رجب) فيقع فى وسط السنة وقد حَرّموا فيه القتال لأنهم يقومون فى هذا الشهر بزيارة البيت الحرام ويؤدون العمرة فى جو من الأمن والسلام . . وقد أقر الإسلام هذا لأن العقل السليم يقبله والنفس المستنيرة الهادية تجد فى هذه الأشهر فسحة للتفاوض حول البناء والتعمير والدعوة إلى الاستقرار والهدوء والعيش فى سلام لأنه عن طريق ذلك تؤسس الحضارات . . وتقام الصناعات . . وتتسع رقعة الأرض المزورعة فالكل يجد أمنه وأمانة وسلامه واستقراره ولهذا قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ** . . ﴿٢﴾ ﴾[**المائدة**] . . لقد أصبح الأمر اليوم شرعاً من عند الله تبارك وتعالى وهذا الشرع أوحاه الله إلى أنبيائه ورسله لأنه سبحانه وتعالى أخبر أنه يوم خلق السماوات والأرض جعل الأشهر اثنى عشر شهراً وجعل منها أربعة حرم وليس لأحد من البشر مهما كان قدره أن يُشرِّع فى دين الله . . أو أن يخرج على هذا الهدْى بعد أن عرف مضمونه ومغزاه . . إن الله سبحانه وتعالى جعل لهذه المواقيت بهذا النظام والدقة اعتباراً يُشبه اعتبار الشىء الواحد المتجدد وذلك من باب التذكير بالأيام العظيمة المقدار لينهض الناس فيها ويُشمرِّوا عن ساعد الجد ويتسابقوا فى فعل الخير لأنه كما

يقول ربنا ﴿ ... وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ .. ﴿٥﴾ ﴾[إبراهيم] ثم يقول سبحانه ﴿ ... وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[المطففين] ويقول سبحانه ﴿ .. وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .. إن الله سبحانه وتعالى خلع على هذه المواقيت شيئاً عظيم الفضل وجعل المواقيت مع الفضل فى استمرار دائم ليكون فى ذلك تذكرة لأمر عظيم .. من هنا وقّت الله شهر رمضان بمدة قمرية مُعيّنة .. مضبوطة المبدأ والنهاية متحدة لجميع المسلمين .. ولسهولة ضبط البدء والنهاية حدّد الرسول ﷺ البداية برؤية الهلال والنهاية كذلك .. فقال ﷺ **« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غُمّ عليكم فأكملوا عِدّة شعبان ثلاثين يوماً»** [رواه البخارى ومسلم] .. ولعلّ هذا هو الذى جعل الله لأجله سُنّة الهدْى فى الحج لأن الله ابتلى سيدنا إبراهيم فى هذا الوقت بذبح ولده إسماعيل .. وأظهر إبراهيم عزمه وطاعته لربه .. كذلك أخذ العلماء تعظيم اليوم الموافق ليوم ولادة النبى ﷺ إلى غير ذلك من المناسبات العظيمة والأحداث الهامة فى تاريخ الإسلام وأيام المسلمين ..

رمضان فى بيت النبوة

شهر رمضان أُختير من بين الأشهر لنزول القرآن فيه . . والقرآن كتاب هداية به يتمكن الإنسان من تطهير نفسه وتنوير قلبه وتصحيح عقيدته وشهر رمضان له فى التاريخ أثر يُذكر ولا يُنكر خاصة فى حياة النبى ﷺ الذى اختاره الله وبعثه إلى الإنسانية بأسرها وجعله خاتماً لكل الرُسل . . والحق سبحانه وتعالى حَفظَ النبى ﷺ منذ ولادته عن أقذار الجاهلية وعاداتها . . فقد خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح لذلك كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خُلقاً وأشدهم حياءً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والبذاءة . . لقد قام بأعمال عظيمة جليلة فى صباه وفتوته فقد رعى الغنم وكان له منها كسْب شريف . . علاوة على أن فى رعى الغنم ترويض على العطف على الضعفاء وتربية نفسية . . وتقوية للجسد حيث المناخ الصحى والجو المتشبّع بالهواء النقى الصافى . . ثم عَملَ بالتجارة وكان وهو فى شبابه يدرأ الفتن عن قومه بحكمة ليس فوقها حكمة من ذلك عندما كانت الحروب ستقوم بين القبائل بسبب وضع الحجر الأسود فى الكعبة عند بنائها . . حيث فرش ثوبه وأخذ بنفسه الحجر ووضعه فيه وأمر كل قبيلة أن تأخذ بناحية من الثوب وكان لهذا الفعل أثر عظيم يدل على رجاحة العقل والتلطف فى الأمور والإصلاح بين الناس بكياسة وفطانة وبُعد نظر . . كما أنه اشترك فى حلف الفضول وهو أكرم حلف سمع به الناس واشترك فيه أشراف قريش وكان الغرض من تأسيس هذا الحلف . . نُصرة المظلوم . . وإغاثة الملهوف . . وإيواء الغريب . . إطعام الجائع . . تقديم الكساء إلى العارى . . هذه الأحداث الجليلة كان النبى ﷺ يمارسها وفى نفسه قلق غامض لا يعرف مصدره . . ولم يخطر بباله قط ما الله مُكْرِمُه به من الوحى والرسالة يوضح ذلك ربنا ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[القصص] . . لقد بلغ قلق رسول الله ﷺ على الإنسانية لما يراه من جهل تفشّى بين الناس علاوة على الخرافات التى أصبح الناس يؤمنون بها

وتُشكِّل جزءاً من حياتهم لذلك اتجهوا إلى الخمر ليغيبوا عن الوعى ويفقدوا عقولهم فيلعبوا الميسر ويسجدوا للأصنام . . ولقد اعتزل الرسول ﷺ هذه الحياة لأن الناس فقدوا صوابهم وهتكوا الستر الذى يحميهم لذلك وأدوا البنات لأنهم رأوا المرأة فى المجتمع المكى كلأً مُباحاً لا تردُّ يد لامس ولا تمتنع عن طالب لهذا كان محمد فى صفاء نفسه ورجاحة عقله يبتعد عن هذه الأشياء ويُنكر على مَنْ يأتيها ويفعلها . . وكان لا يرى الاستجابة لرأيه لأن الناس صمّوا آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً . . لذلك اتجه الرسول ﷺ إلى الخلوة . . وكأن حادياً يحدوه إلى الخلوة . . ولهذا حُبِّب إليه الخلاء . . فكان يبتعد عن الناس . . ويخرج بعيداً عن بيوت مكة ويتجه إلى شعابها وأوديتها . . فلا يمر بحجر ولا شجر إلاّ سلم عليه فيقول (السلام عليك يا رسول الله) ويلتفت رسول الله ﷺ حوله وفى كل الاتجاهات فلا يرى إلا الشجر والحجارة[1] . . وبدأ الرسول يختلى بنفسه وبدأ يرى فى المنام . . وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[2] . . والأغلب على الظن أن النبى ﷺ كان يصوم أيام تحنّثه فى غار حراء قبل أن ينزل عليه الوحى إلهاماً من الله تعالى لنبيِّه ﷺ واستلهاماً من الملة الحنيفية فلما أُنزل عليه الوحى كان فى شهر رمضان . .

لذلك روى ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ قال: « **جاورت بحراء شهر رمضان** » وقال ابن سعد فى طبقاته (جاءه الوحى وهو فى غار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان) . . لقد كان الرسول ﷺ يخلو بنفسه فى غار حراء فيمكث فيه الليالى المتواليات ثم كان ينزل إلى أهله فيتزود ثم يعود إلى الغار فيخلو ويتأمل الكون الذى هو دليل من دلائل القدرة الإلهية وكان يتعبد على الطريقة الإبراهيمية الحنيفية والفطرة السليمة المنيبة إلى اللّه . . وفى يوم من الأيام وكان هو

---

(١) سيرة ابن هشام - جـ ١ - ص ٢٣٤ .

(٢) صحيح البخارى - باب كيف كان بدأ الوحى .

اليوم الموعود لبعثته وكان ذلك فى ١٧ من شهر رمضان والتى توافق ٦ أغسطس سنة ٦١٠ ميلادية وكان عمر النبى يومئذ فوق الأربعين جاءه الملك وهو فى غار حراء وكان فى حالة اليقظة وألقى إليه بالوحى الذى يقول عنه ربنا ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾** ﴾[**الشورى**]. . والقرآن جاء فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة والبيان. . حتى لا يظن أحد أنه من عند محمد. . والقرآن تكلم عن أخبار الملأ الأعلى. . وتكلم عن الماضى . . والحاضر . . وتنبأ بالمستقبل لأن فيه نبأ مَنْ قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا ليكون ذلك أبعد عن تهمة الأعداء وظن المفترين الذين يزعمون أنه من عند رسول الله ﷺ وهم يعلمون تماماً أن محمداً أمىّ لم يتعلم القراءة ولا الكتابة. . وجاء القرآن هكذا ليكون معجزة بين يديه تدل على صدق رسالته لهذا يقول الحق سبحانه: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾** ﴾[**العنكبوت**]. . وعلى هذا يتبيّن أن شهر رمضان له عظيم الأثر فى بيت النبوة قبل الرسالة . . أما بعد الرسالة فقد أصبح لشهر رمضان منزلة عظيمة كما أن أهل البيت النبوى كان لشهر رمضان طعم خاص بهم . . فهم يصومون نهاره ويقومون ليله يقرأون فى لياليه القرآن ويتسابقون فى نهاره فى فعل الخير. . يعتكفون العشرة الأواخر من لياليه طلباً لليلة القدر التى هى عند الله خير من ألف شهر ويحيون ليلة العيد بالطاعة لأنه وقر فى نفوسهم قول النبى العظيم: **«مَنْ أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب»** . . لقد كان أهل البيت النبوى يبحثون عن الأيتام والمساكين. . والفقراء والغرباء. . فيقدمون إليهم أفضل ما عندهم من زاد. . بل يؤثرون غيرهم على أنفسهم بأفضل ما عندهم لأنهم قرأوا قول الله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. . ﴿٩٢﴾** ﴾[**آل عمران**] هذا هو شهر رمضان وهذه منزلته . . فهو سيد الشهور وفيه بدأ نزول القرآن . . وهو شهر يُزاد فيه رزق المؤمن . . شهر أوّله رحمه. . وأوسطه مغفرة. . وآخره عتق من النار.

الصوم

الصوم لغة هو الإمساك. . الإمساك عن أى شىء. . فالرياح إذا توقفت تقول صامت الريح. . أى أنها توقفت عن السريان. . كذلك الخيل إذا توقفت عن الجرى تقول الخيل صيام، ومن ذلك قول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

كذلك الإمساك عن الكلام فيقال صام عن الكلام أى أمسك عنه. ومنه قول الله تعالى: ﴿ .. إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[مريم] . . فالصوم فى اللغة إذاً . . هو الإمساك والكف عن الشىء.

وأما شرعاً فهو الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. . فالصوم بهذا هو الامتناع الفعلى عن شهوتى البطن والفرج. . وعن كل شىء حِسِّى يدخل الجوف من دواء وغيره. . ويحدّد هذا الامتناع من. . طلوع الفجر إلى غروب الشمس. . على أن الإنسان عليه أن يُبيّت نية الصيام وهى: عزم القلب على إيجاد الفعل جزءاً بدون تردد لتمييز العبادة عن العادة. . يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ **«إنما الأعمال بالنيات ولكل إمرئ ما نوى»** وينعقد الصيام صحيحاً بشروط سنبيّنها فيما بعد. .

زمن الصوم

يبتدئ زمن الصوم من طلوع الفجر . . أى قبل الآذان بدقائق إلى غروب الشمس. . أى لابد أن يغيب قرص الشمس من الأفق. . ويؤخذ فى البلاد التى يتساوى فيها الليل والنهار أو يطول النهار أحياناً بتحديد وقت الصوم بحسب أقرب البلاد إليهم لأنه فى هذه الحالة تُحدّد الساعات التى يصومها أهل البلاد القريبة ويقدّرون مَنْ يطول النهار عندهم على هذا الأساس. . فإذا لم يتيسر ذلك فيصومون على توقيت أهل مكة (باعتبارها أم القرى) أو على توقيت أهل المدينة (باعتبارها مكان نزول آيات

التشريع) والدليل على ذلك قوله سبحانه ﴿ .. **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** .. ﴿١٨٧﴾ ﴾[البقرة] . .
وإذا كان النهار يقصر فالأمر كذلك .

تحديد شهر رمضان

شهر رمضان شهر عظيم . . والرسول ﷺ يقول « **صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فاكملوا عدّة شعبان ثلاثين يوماً**»[رواه البخارى] . . فلابد إذاً من تحديد شهر رمضان برؤية الهلال . . ثم يتم استطلاع الهلال فى آخره فإذا لم يُر فى آخره فالمسلمين يكمّلون صيام شهر رمضان ثلاثين يوماً .

أقوال العلماء

نظراً لأن لكل بلد مطلعاً من مطالع القمر حيث قـــدّر لـه الحق سبحانـه وتعالى منازل كما جاء فى قوله سبحانه ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴿٣٩﴾ ﴾[يس] فقد جعل الله سبحانه وتعالى الأهلّة ليتعرف بها الناس على بداية الأشهر القمرية فيحّددون على ذلك صيامهم وحجهم وأعمالهم ويوقتون مصالحهم على حسب ظهور الهلال . . يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ... ﴿١٨٩﴾ ﴾[البقرة] . . ومن هنا اهتم المسلمون برؤية الهلال فى كل بلد وقال العلماء بأنه يجوز رؤية شخصين أو واحد . . بشرط أن يكون الرائى عدلا مستقيماً فيثبت برؤية أحدهم هلال شهر رمضان وللمذاهب فى ذلك أراء أهمها . .

١ - المذهب الشافعى :

يرى أن رؤية الهلال تثبت لأى شهر برؤية شخص عدل . . مستور الحال . . وأن يكون الرائى مسلماً بالغاً عاقلاً حُراً ذكراً . . وأن يقول الرائى أشهد باللّه أنى رأيت الهلال وهنا على المسلمين أن يصوموا ودليلهم على ذلك . . ان ابن عمر رضى الله

عنهما رأى الهلال فأخبر رسول الله ﷺ بذلك . . فصام وأمر الناس بصيامه[1] . . كما روى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى رأيت هلال رمضان . . فقال: **«اتشهد ان لا إله إلا الله؟»** قال: نعم . . قال: **«اتشهد ان محمداً رسول الله؟»** قال: نعم . . قال: **«يا بلال أذن فى الناس فليصوموا غداً»**[2] . . وإذا صمنا برؤية إنسان مسلم ذكراً عدلاً . . ولم يظهر الهلال بعد ثلاثين يوماً وكانت السماء صحواً . . أفطرنا فى الأصح لكمال عدد أيام الصيام بثلاثين يوماً . .

٢ - مذهب الإمام أبى حنيفة :

يرى أبو حنيفة وعلماء مذهبه أن السماء إذا كانت صحواً فلابد من رؤية جمع عظيم لإثبات شهر رمضان . . وأكد على أنه . . إذا لم يكن هناك موانع تحجب الهلال . . والأبصار سليمة . . والهمم فى طلب الهلال مستقيمة . . فإذا ظهر الهلال صاموا . . أما إذا كانت السماء بها غيم أو غبار اكتفى الإمام فى رؤية الهلال بشهادة واحد . . ذكر أو أنثى . . وشهادة المرأة فى رؤية الهلال تصح لأنه أمر دينى والإنسان وهو يُدلى بشهادته أمين يراقب ربه . . ويشترط فيمن يرى الهلال أن يكون مسلماً عاقلاً بالغاً عدلاً . . تغلب حسناته سيئاته . . ويُدلى بشهادته أمام القاضى . . وإذا لم يكن هناك قاضٍ يُدلى بشهادته فى المسجد أمام الناس . . ويصومون بناء على ذلك . .

٣ - المالكية :

لهم آراء فصلّوها وهى :

أ - أن يرى هلال رمضان جماعة من الناس . . بشرط أن يكونوا عدداً يؤمن فى العادة عدم تواطؤهم على الكذب . . وإن لم يكونوا عدولاً ولا ذكوراً . . لأن كل واحد من العدد يخاف على نفسه من أن يقول كذباً . . كذلك الحال لو كانوا نساءً . . ولا يقل العدد عن عشرة .

---

(١) رواه أبو داود وصححه ابن حبان .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وصححه ابن حبان .

ب- أن يرى الهلال اثنان فأكثر ويشترط فيهما العدل والذكورة والبلوغ والعقل ولم يحدث منهما ارتكاب معصية كبيرة ولم يفعل أحدهما ما يُخلّ بالمروءة . . ولا يقل العدد عن اثنين فى هذه الحالة . . ولا يجوز للحاكم أن يحكم بثبوت هلال شهر رمضان برؤية واحد فقط لكن إذا رأى الإمام نفسه الهلال وجب الصوم .

٤ - الحنابلة :

قالوا بأن هلال شهر رمضان يثبت بشهادة واحد فقط ذكر أو أنثى . . بالغاً . . مسلماً . . عاقلاً . . وحتى ولو كان الرائى معه جماعة ولم يَرَ الهلال إلاّ هو جاز الصوم لأن هذا هو الأحوط ولا تهمة فى الرائى لأنه مستور الحال ويلزم الصوم إذاً بناء على هذه الرؤية وقد استدلوا على ذلك بما رواه الإمام الشافعى .

الحساب الفلكى والرأى فيه

الرسول عليه الصلاة والسلام هو المشرِّع ومن قوله ﷺ «**صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته**»[رواه أحمد] . . ومن المعلوم أن الشهر تسع وعشرون ليلة لأن الرسول ﷺ قال : «**الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه**»[رواه البخارى] ، وعلى هذا لابد من رؤية الهلال بالعين . . أو أن نعتمد على مَنْ رأى فى بعض البلاد القريبة المجاورة أو نعتمد على رؤية أهل مكة أو المدينة لأن العلماء قالوا لا يعتمد على أهل الميقات والحساب والتنجيم . . أما المراصد التى ترصد سير القمر والنجوم فيجوز الاعتماد عليها لأنها تكشف عن ظهور القمر وإثبات منازله لهذا لا يجوز الاعتماد على الحساب الفلكى ولا غيره لأن الرسول ﷺ «**كان يتحفظ فى شعبان ما لا يتحفظ فى غيره ثم يصوم لرؤية رمضان**»[رواه الدارقطنى] . . وروى مرفوعاً عن أبى هريرة : «**أحصوا هلال شعبان لرمضان**»[رواه الترمذى] . .

اختلاف المطالع

لا شك أن المجتمع اليوم أصبح كقرية صغيرة وأن وسائل الاتصالات سهَّلت نقل المعلومة فى الحال. . والمسلمون مُطالبون أن يتوحدوا ليعيشوا مع بعضهم فى جو روحى. . ويشعروا بالوحدة والألفة لأن فى ذلك خيراً كثيراً للمسلمين خاصة للأقليات التى تعيش فى بلاد المهجر لأنه بسبب اختلاف الصيام فى البلاد كل فريق يصوم على حسب بلده وهذا مظهر يضر بالإسلام لأن الأجانب ليس عندهم إدراك لاختلاف المطالع ولكنهم يرون الفرقة فى شعائر دين المسلمين فيحكمون عليهم بالهمجية والتخلف. . وإذا كانت بعض الآراء التى تُوحى بمراعاة اختلاف المطالع فإنها آراء قيلت فى وقتها والمسلمون أقوياء ودولتهم واسعة، ومع احترامنا لهذه الآراء إلاّ أننا نرى ونؤكد على أن يُوحّد الصوم بين المسلمين. . ولا عبرة باختلاف المطالع وعلى الحكام والمفتين أن يأمروا بالصوم فى يوم محدد عند ثبوت الهلال ورؤيته وأن يكون ذلك فى جميع البلاد العربية والإسلامية. . إن حكم الحاكم يرفع الخلاف وعلى الحاكم أن يراعى مصلحة الأمة خاصة وأن أرباب المذاهب قالوا:

١ - الأحناف:

إذا ثبت الهلال عند أهل المشرق يلزم أهل المغرب الصيام . . والعكس صحيح المهم أن كل مسلم يسمع بثبوت الهلال فى بلد عليه أن يخبر الحاكم ليأمر بالصيام لأن اتحاد المسلمين هدف دينى ومصلحة اجتماعية.

٢ - المالكية قالوا:

إذا ثبت الهلال فى أى بلد عَمَّ الصوم سائر المسلمين ولا ينظر إلى مطلع القمر فى البلاد الأخرى.

٣ - الحنابلة قالوا:

إذا ثبت الهلال بمكان لزم الناس كلهم الصوم.

٤ - الشافعية قالوا :

إذا رؤى الهلال ببلد لزم حكمه البلد القريب لا البعيد.

ونحن نعلم اليوم أن الزمن تغيّر والمواصلات قرّبت المسافات وأصبحت قارات المجتمع الإنسانى كقرية صغيرة يعيش فيها الكل. . لهذا لزم علينا أن ندرك هذه المعايير وأن نراعى مقتضى الحال والأحداث التى طرأت على المجتمعات ولا بد أن نُوحِّد أنفسنا ولأن الرسول ﷺ كان يخاطب الأمة الإسلامية كلها عندما قالوا: **«صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته»** فالخطاب مُوجّه للجميع أن يصوموا فى وقت واحد ليتعايشوا فى جو من الأخوة ولأن العبادة تُوحِّد ولا تُفرق وتؤلف بين الناس وتوحِّد الصف. . وعلينا أن ندرك أن أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر وينتهزون هذه الخلخلة الاجتماعية. . وهذا التمزق الفكرى. . ويقولون بأن الإسلام لا يصلح كنظام يوحِّد الأمم لأنه لم يستطع أن يوحِّد أتباعه. . فهل نرد الشُّبه عنَّا؟ إن الأمر فى يد المؤسسات الإسلامية التى يجب عليها أن تتحرك وتضع الأمر بين يدى الحكام ليقولوا كلمتهم فى توحيد الأمة وحتى تتماسك وتكون كالجسد الواحد . . إن الهلال إذا رآه أهل بلد لزم أهل البلاد كلها منعاً من الاختلاف غير المقبول فى هذا العصر. . ولتوحيد العبادة بين المسلمين. . علماً بأن البلاد الإسلامية كلها مشتركة فى أجزاء من الليل تمكنها من الصيام عند ثبوت الهلال فى الهلال فى أى بلد لأن التليفزيون سهل الاتصال كذلك الهاتف. .

شروط وجوب الصوم

١ - الإسلام . . فلا يصح صيام الكافر ولا يُقبل منه. .

٢ ، ٣- البلوغ والعقل. . فلايجب الصيام على الصبى الصغير. . لكن يجب أن ندرِّبه عندما يبلغ سنّه سبع سنوات لما ورد فى حديث رسول الله ﷺ **«علموا أولادتكم الصلاة لسبع سنين»** . . وإذا كان الصبى لا يُؤمر بالصوم حتى يحتلم والفتاة حتى تحيض إلاّ أنه من باب التدريب يُدرّب الصغير على صيام ساعة أو ساعتين

وهكذا لأنه ورد عن الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ قولها : (كنا نصوم ونأمر أولادنا بالصيام فإذا بكوا من شدة الجوع قدّمنا إليهم أشياء يلعبون بها فيتلهّون عن طلب الطعام)، وفى حديثها تقول: (أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة : « **من كان أصبح صائما فليتم صومه ومَنْ كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه**» فكنّا نصومه بعد ذلك ونصوِّم صبياننا الصغار) [أخرجه البخارى] . .

فعلى ولى أمر الصبى أو الصبية أن يقوم بتدريب الأولاد على الصيام ليتأصّل فى نفوسهم حبّه والحرص على أدائه .

والعقل . . لأن المجنون أو السكران أو المغمى عليه ليست لديهم الأهلية للصوم لأنه عبادة ويحتاج إلى النية ولهذا قال الرسول ﷺ « **رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم**»[أخرجه أبو داود] . .

٤ - القدرة على الصوم . . فلا يجب الصوم على المريض والمسافر . . ويجب عليهما القضاء . . ولكن يصح صومهما إذا كان لديهما قدرة لقول الله تعالى: ﴿ . .**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿١٨٤﴾ ﴾[البقرة] . . والشخص المسن الكبير إذا لم يقدر على الصيام فله أن يفطر وأن يطعم عن كل يوم مسكيناً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ . . **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** . . ﴿١٨٤﴾ ﴾[البقرة] . . كذلك الحائض والنفساء لأن الصوم عبادة يتطلب الطهارة والمرأة إذا نزل عليها الحيض فى أى وقت تفطر ولو بشربة ماء وقد أفتى بعض العلماء بأنه لا يجوز للحائض أو النفساء الصيام بل ويحرم لأن رسول الله ﷺ كان يأمر هؤلاء بالإفطار . . تقول معاذة العدوية . . أن امرأة سألت السيدة عائشة رضى الله عنها (ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ فقالت عائشة رضى الله عنها : كان يصيبنا ذلك على عهد النبى ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة) [أخرجه البخارى] . . والحكمة من إعادة الصوم وعدم إعادة الصلاة أن الصوم أيام معدودات ويسهل على الإنسان قضاؤها .

والصوم يأتى فى السنة شهراً واحداً. . أما الصلاة فهى فى كل يوم خمس مرات. . فيشق على الإنسان قضاء الصلوات. . لهذا راعى الله مصلحة الإنسان ويسرَّ عليه وخفّف عنه فكان الأمر بقضاء الصيام. . لأن الصيام أيام معدودات وخفّف الله عن المرأة عدم إعادة الصلاة إشفاقاً عليها ورحمة بها. . وهذا من باب المصلحة العامة التى يغفل عنها كثير من الناس وحتى لا تقع المرأة فى حرج ويُضيّق عليها فكان هذا التشريع المنسجم مع الفطرة والمتفق مع الكيان الإنسانى.

فوائد الصيام

الصيام روضة روحية لأن المسلم وهو صائم يتشبّه بالملائكة الكرام الذين لايأكلون ولا يشربون . . والمسلم يستقبل شهر رمضان دائماً وقد استعد له بالتوبة الصادقة. . وإخلاص النيّة للّه رب العالمين. . ويجدد العزم على طاعة الله بهمة عالية ونفس راضية وأنه سوف يجتنب الذنوب ويبتعد عن المعاصى وقد عقد النيّة على. . إرضاء الخصوم. . والخروج من المظالم. . وأنه سوف يتعامل مع الناس بالخير والإحسان وسيكون سبباً مباشراً فى إدخال السرور على أهله وأصدقائه وجيرانه ويوسع النفقة على نفسه وأولاده. . ويُيسِّر على مَنْ يتعامل معه ويخفف على عماله وقبل ذلك وبعد ذلك يُكثر من ذكر الله ومن الاستغفار. . لأنه يُدرك تماماً أن الصوم سر بينه وبين الله وهو طاعة للّه سبحانه وأن الإنسان يُثاب على هذه الطاعة ثواباً مفتوحاً لا حدود له. . لأن الصائم صابر . . وهو صابر برضاء نفس والصبر ثوابه الجنة وعطاء الصابرين فيها بلا حدود مصداقاً لقول الحق سبحانه ﴿ ... **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾** ﴾[الزمر]. . ولما كان الصوم للّه فإن كرم اللّه واسع والمسلم ينال رضوان الله بالامتثال للأمر الإلهى. . لهذا فإن الله يُخصص باباً فى الجنة للصائمين الصابرين الصادقين . . هذا الباب يقال له الريّان . . ولا يدخل من هذا الباب إلا الصائم الصابر فقط. . ولهذا يقول الرسول ﷺ : «**إن فى الجنة بابا يقال له الريّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»[رواه البخارى ومسلم والنسائى] . . والمسلم بهذا يُبعد

عن نفسه عذاب الله تبارك وتعالى بسبب ما قد يرتكبه من معاصى لأن شهر رمضان يُكفِّر الذنوب من عام لآخر ففى حديث رسول الله ﷺ : « **الصيام جُنَّة وحصن حصين من النار** » [رواه أحمد بإسناد حسن] . .

وفى حديث آخر : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفِّرات لما بينهن ما ارتكبت الكبائر** » [رواه مسلم] . . إن الصوم يَمُدّ الإنسان بالعزيمة المتجردة والإرادة الحرة . . والإنسان فى حياته لابد أن يكون عنده عزيمة صادقة ليقوى بها على تحمّل أعباء الحياة بمراحلها المختلفة وظروفها المتقلّبة ومشاكلها المتعدِّدة . . لأن الصوم مع كونه قُربة إلى الله فهو يقوى الإرادة ويُعطى النفس قناعتها ويحررها من الشهوة الآسرة لأن النفس بطهرها أثناء صيامها خفيفة الظل طيِّبة الأثر . . لذلك فهى لا تنساق فى فترة ضعف لهواها . . وتقع فى خطأ أو ترتكب جريمة لأن الصيام قواها . . فالشيطان إذا طاف بالنفوس الصائمة تذكّرت الله . . وتذكرت أنها صائمة خاشعة . . والصيام سلاح من الطُّهر الدائم يجعل الإنسان قوى الهمة بيقينه . . جسده محفوف بالطُّهر لأنه مُتهيئ للقاء ربه . . لذلك يفر الشيطان من أمام هذه النفوس المتجردة للَّه الصادقة فى يقينها لهذا كان الصيام ضبطاً للنفس وحصانة للقلب وتدعيماً للسلوك الحسن فى دنيا الناس . . إن المسلم يُنَمِّى فيه الصيام دوافع الخير لأن أى إصلاح للفرد لا يتم إلاّ من داخله من هنا كان الفرد الذى يعرف غايته ويعمل من أجلها يصل إلى النجاح والفرح لأن الغاية هادية راشدة . . لهذا قال رسول الله ﷺ « **الصيام جُنَّة** » والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد] . . فالصيام تربية للنفس وتهذيب للوجدان وترقيق للمشاعر . . ومع هذا فله فوائد اجتماعية أهمها :

الفوائد الاجتماعية

إن الصيام يُشعر الإنسان بالجوع وإذا أحسَّ الإنسان بالجوع تذكّر الفقراء من هنا فإن الصيام يكسب قلب الأغنياء رحمة بالفقراء وعطفاً بهم ثم إن الصيام لا يفرق بين غنى وفقير لأنه مدرسة خُلُقيّة كبرى يتدرب فيها الإنسان على العطف ويُنَمِّى فى الإنسان عاطفة الرحمة والأخوة ويجعل الغنى يتفق مع الفقراء فى تحمّل ما يتحملون فيكون عنده شعور وإحساس برابطة التضامن والتعاون ويدفعه إحساسه بالجوع بأن رباطاً قوياً يربطه بالمسلمين فيسعى لتدعيم صلة الحب بالآخرين والمساهمة فى القضاء على غائلة الفقر والجوع والمرض فتتقوى أواصر الروابط الاجتماعية بين الناس ويتعاون الكل فى معالجة الحالات المرضية فى المجتمع، ولهذا قال رسول الله ﷺ تقوية للجانب الاجتماعى فى شهر رمضان **« وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة هو شهر يُزاد فى رزق المؤمن فيه مَنْ فطّرَ فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء»** - الصحابة قالوا - يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يُفطِّر الصائم؟ فقال: رسول الله ﷺ : **«يُعطى الله هذا الثواب مَنْ فطّر صائماً على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن»**[هذا الحديث رواه ابن خزيمة]. . وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ : **« مَنْ فطّر صائماً فى شهر رمضان من كسب حلال صلّت عليه الملائكة ليالى رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر ومَنْ صافحه جبريل عليه السلام يَرقُّ قلبه وتكثر دموعه»**. . قال سائل فقلت: يارسول الله . . أفرأيت مَنْ لم يكن عنده ؟ قال: **« فقبضة من طعام»** قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده لقمة خبز؟ قال: **« فمذقة من لبن»** قال: أفرأيت إن لم تكن عنده؟ قال: **« فشربة من ماء»**[رواه ابن حبان والبيهقى]. . إن شهر رمضان هو شهر التكافل الاجتماعى الناس يقدمون فيه الخير لبعضهم بنفس راضية لهذا كان للصوم حكمة شرعه الله من أجل تحقيق هذه الحكمة وهى (لعلكم تتقون) فتجد أن التقوى يحصل عليها الإنسان بأمرين:

١ - إن الإنسان يعبد اللّه كأنه يراه وهو يعتقد ويؤمن إن لم يكن يرى اللّه فإن الله يراه لأنه سبحانه وتعالى مع كل شخص بعلمه أينما كان فهو القائل ﴿ .. وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ .. ﴿٤﴾ ﴾[الحديد] ويقول أيضاً: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[طه] . .

٢ - إن الإنسان يُحب للناس ما يُحب لنفسه وأن يؤثر أخاه على نفسه وأن يعطف على الفقراء والأيتام وأن يكون كريماً سخياً وإلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة] . .فالتقوى صفاء النفس ورقّة الإحساس . . والشعور بالآخرين . . ولهذا نبّه الله على التقوى فى كثير من آياته لما لها من أهمية فى حياة الناس ولهذا يقول الحق سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران] . . ويقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال] . . والآيات فى ذلك كثير جداً توضح لنا النتائج المترتبة على التقوى. . وعندما يتأمل الإنسان فى الواقع ويقرأ فى كتاب الله فى تدبر يتبيّن له أن التقوى هى غاية الصوم لأنها تُصهر الإنسان فى بوتقة الحب الإلهى والتعاون الإنسانى ويشعر الإنسان عندئذ أنه بدأ يقترب من الغاية التى ينفتح معها باب الخير على مصراعيه. . وتنفرج أزمات الحياة أمامه وتمتلئ دنيا الشخص بالرضا والقناعة. . وتطمئن القلوب بذكر الله وتمتلئ القلوب بالغنى والقناعة. . ويذهب من دنيا الناس الفقر لأنهم على الأساس كما أرشدهم ربهم ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴿٢﴾ ﴾[المائدة] . . فالصوم الذى يؤسس فى قلب الإنسان والتقوى ويتمسك بالصبر فيمكن للنفس إذا كانت كذلك أن ينتصر صاحبها فى معركة الحياة وأن يسلَم وينجو ويظفر بفضائله وأخلاقه وهى مقوّمات نفسه وسفينة

نجاته . . لهذا لو يعلم الناس ما للتقوى من أثر . . وما للصبر من أجر مُدَّخر . . لسعوا إلى ذلك سعياً حثيثاً ولنعلم أن الحياة لايستقيم أمرها إلاّ بالصبر والتقوى لهذا كان من فوائد الصيام تحقيق التكافل الاجتماعى والعطف على الأيتام والتوسعة على المحتاجين لأن الكريم قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة التى نسأل الله أن يجعلنا من أهلها وأن يجعلنا ممن يدخلون من باب الريّان . . الباب الذى خصَّصه الله للصائم التقى النقى الكريم السَّخى الذى يُؤثــر غيره على نفسه بحب ورضا مصداقــاً لقول الحق سبحانـــه ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٩﴾ ﴾[الحشر] . .

الفوائد الصحية

من فوائد الصوم الصحية أنه يجدد حياة الإنسان بتجدد خلاياه . . فالصوم يطرح عن الإنسان ما شاخ منها ويعمل على إزاحة ما فى المعدة من فضلات ويجعلها تتخلّص منها وقد ترسَّبت فى المعدة بسبب الأطعمة المتراكمة غير المهضومة طول العام . . ولا شك أن تراكمها فى المعدة يكون سبباً فى عفونتها فيكون الصيام فرصة للتخلّص منها وراحة للجهاز الهضمى ، وإلى هذا أشار الرسول ﷺ : «**صوموا تصحوا**»[أخرجه أبو نعيم من حديث أبو هريرة] إنه من الفوائد الطبية للصائم أن الإنسان إذا نام توقفت حركة جسمه إلا المعدة والقلب . . ومن المعلوم أن أكثر الأمراض تأتى من ناحية المعدة لأنها بيت الداء ، ولهذا حذّرنا ربنا من الإسراف فى الطعام أو الشراب لأن الإسراف فيهما يضر بالمعدة ومن وراء ذلك فَقْدُ الصحة . . وهى أعلى شىء عند الإنسان لهذا يقول لنا ربنا ﴿ . . **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** . . ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة] . . ويقول لنا ﴿ . . **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف] . . والرسول ﷺ يقول : «**ما ملأ آدمى وعاءً شرّاً من بطنه بحسب ابن آدم أُكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**»[رواه الترمذى] . . ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (إياكم والبطنة فى الطعام والشراب فإنهما

يفسدان الجسم ويورثانه السَّقم ويؤدى ذلك إلى الكسل عن الصلاة) . . ويقول عمرو بن العاص رضى الله عنه (والله ما بطن قوم قط إلاّ فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزمة رجل بات بطيناً) ويقول أحد الحكماء (إن الشِّبَعْ داعية البشم وأن البشم داعية السَّقم وإن السَّقم داعية الموت فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة وهو قاتل نفسه وقاتل نفسه ألأمُ من قاتل غيره) . .

لهذا فإن الكثير من الأطباء يأمرون مرضاهم بترك الأكل والشراب لفترات طويلة . . وقد ثبت أن الصيام ينفع كعلاج لكثير من الأمراض يعرفها الأطباء لكنه فوق ذلك نجد أنه من رحمة الله عز وجل بخلقه أمرهم بالصيام أياماً معدودات لتقوى المعدة وتصح الجوارح وتنشط بعد أن تستريح لطفاً من الله ورحمة بعباده ومع ذلك أعطاهم على هذا الثواب العظيم . . إن الطب الحديث أثبت أن الأكل الدائم وتناول العديد من أصنفته وبما يزيد ما يتناوله الشخص على حاجة جسمه فتترسب الزيادة فى الأمعاء فتكون هذه الزيادة سبباً فى التأثير على القلب والكبد ونتيجة ذلك ارتفاع فى ضغط الدم وسبباً فى تصلُّب الشرايين إلى غير ذلك من الأمراض الحديثة والتى تُبيّن لنا حكمة الله سبحانه فى فرض الصيام الذى يكون سبباً فى أن نرقى فى مدارج الرقى ونصعد إلى الفردوس الأعلى ويومها يُقال لنا: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴿٢٤﴾ ﴾[الحاقة] . . أى كلوا واشربوا هنيئاً بسبب حرمانكم أيام الصيام . . ويرشد إلى ذلك قول الرسول ﷺ **«صوموا تصحوا»** . .

إن فوائد الصيام متعددة الجوانب . . ومع ذلك فله أثر فعَّال فى العلاج النفسى لأن الحياة الرتيبة التى يحياها الإنسان تُصيب الإنسان بالتوتر العصبى والمرض النفسى . . لكن فى أثناء الصيام يخرج الإنسان عن المألوف كسراً لرتابة الحياة وعملاً على التحرر من النظام اليومى والصيام يُغيّر أحوال الشخص حيث تتغير مواعيد طعامه وشرابه ويتغيّر بذلك الرتابة اليومية . . كما أن الصيام له بهجة وفرحة وذلك يجعل الإنسان ينسى مشاكله وينصهر فى بوتقة الجماعة الإسلامية ويحيا حياة مليئة بالسعادة النفسية ويكون هذا سبباً من فوائد الصيام .

مدرسة الصوم الأخلاقية

إذا كان الإنسان قد استفاد من شهر رمضان فوائد طبية واجتماعية فإن الصيام يُدرب الإنسان على الخلق القويم ويؤصِّل فيه نبل الأخلاق كالمروءة . . والشجاعة . . وضبط النفس إلى غير ذلك من الآداب الاجتماعية التى لابد للإنسان منها فى مسيرة الحياة . . فالصيام يدرب الإنسان على :

١ - الصبر . . والصبر خلق جميل . . وعنوان على أتم الفضائل النفسية فالإنسان يصبر على الجوع والعطش رغم ما قد يتعرض له . . إذ يجد الطعام الشهى يُطبخ أمامه . . والروائح تهيج عصارة معدته والماء العذب البارد يترقرق أمام عينيه فيمتنع وهو الجائع العطشان برضاء نفس وطيب خاطر ولا رقيب عليه إلاّ ضميره الحى الذى يشعر بمراقبة الله عليه لأنه يُحس بالله معه يراه ويعرف ما يفعل لذلك فهو يصبر . . والصبر ضياء . . ونور . . به تكون الأعصاب هادئة . . والبال مستريحاً . . والنفس راضية . . روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«كل عمل ابن آدم يُضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.. قال الله تعالى إلاّ الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى.. للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»**[رواه مسلم] . . وجاء فى رواية أخرى . . **«كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.. قال الله تعالى إلاّ الصوم فهو لى وأنا أجزى به يدع الطعام من أجلى ويدع الشراب من أجلى ويدع لذته من أجلى ويدع زوجته من أجلى ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه»**

[رواه ابن خزيمة]

إن الصيام سِر بين العبد وربه لا يطّلع عليه ملك مُقرّب ولا شيطان مُبعد لهذا كان فى الصيام خير وبركة وتدريب للإنسان على الصبر وما أحلاه فى مسيرة الحياة .

٢ - الصيام يُعلِّم الإنسان الأمانة . . لأن الإنسان وهو صائم لا رقيب عليه إلاّ الله . . فالصائم فى إمكانه أن يدخل إلى مكان مظلم لا يراه فيه أحد من الناس

ويتناول الطعام والشراب ويخرج إلى الناس يقول أنا صائم والناس تصدقه . . لكنه مع ذلك خائن لأنه خان نفسه وخان الأمانة التى بينه وبين اللّه . . لذلك نرى أن المفطر يحل عليه غضب الله وهو أعلم به . . ومن هنا كان الإنسان الصائم الملتزم محافظ على الأمانة ملتزم بالوفاء لأنه يدرك ما قاله ربنا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٢٧﴾ ﴾[**الأنفال**] . . والذى يخون الأمانة منافق . . والمنافقون كما يقول ربنا ﴿ . . **فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** . . ﴿١٤٥﴾ ﴾[**النساء**] لأن علامة المنافق كما يقول رسول الله ﷺ : «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب.. وإذا وعد أخلف.. وإذا اؤتمن خان**» [حديث متفق عليه] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : «**لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له .. ولا دين لمن لا صلاة له**»

[رواه الطبرانى فى الأوسط]

٣ – جهاد النفس . . كل إنسان منّا مركب من جسد وروح . . الجسد غذاؤه من الأرض . . من كل ما ينبت منها . . ويجد الإنسان راحته عندما ينام عليها لقول الله تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴿٥٥﴾ ﴾[**طه**] . . أما الروح فهى نفخة من الله فى الإنسان وهى سر من أسراره سبحانه لن يصل أحد إلى كُنْهِها ولم يتوصل عالم إلى معرفة حقيقتها . . وقد سأل الناس رسول الله ﷺ عن كُنهها وبيان حقيقتها فنزل قول الله تعالى : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴿٨٥﴾ ﴾[**الإسراء**] . . وحول الروح وماهيِّتها وقف كثير من العلماء وقالوا . . هل الروح هى النفس أم غيرها ولم يهتد العلماء إلى رأى . . والخلاصة أن كل إنسان فيه (نفس) وهذه النفس البشرية دائماً تهفو إلى السوء وتدعو صاحبها إليه (إلا ما رحم ربى) أى إلاّ ما أراد اللّه دفعه عن السوء لمن رحمهم من عباده وحفَّهم بألطافه . . لأن الناس واقعون تحت سلطان أنفسهم . . وأن هذا السلطان غالب عليهم . . لكن . . رحمة الله تبارك وتعالى هى التى تعصم مَنْ رحمه الله من مواقعة المنكرات واقتراف الآثام . . وقد يقع من هؤلاء بعض الهفوات . . فكل ابن آدم خطّاء . . وخير الخطائين التوابون . . ففى رحمة اللّه ومغفرته تُغسل السيئات وتُمحى الذنوب لمن تاب إلى اللّه ورجع وأناب وصدق

الله العظيم: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف] . . ولهذا ذكر الحق سبحانه وتعالى فى مقابل هذه النفس (النفس اللوامة) وهى قوة معارضة لتيار النفس الأمّارة بالسوء لذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[القيامة] . . والنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها وترجع عليه باللائمة لما يقع منه من إثم وما يقترف الإنسان من ذنب والنفس اللوامة إنما يحملها على أن تلوم الإنسان على الاتجاه إلى المنكر وفعل الموبقات . . لأنها تخاف من يوم القيامة عند لقاء الله والوقوف بين يديه . . وهذا التلويم من شأنه أن يُغيِّر من وضع الإنسان فيبتعد عن ارتكاب الجرائم ويسارع فى التوبة والندم . . فلولا يوم القيامة وأهواله وهو اليوم الذى تبدّل فيه الأرض غير الأرض وترى الجبال كالعهن المنفوش وتنزل ملائكة السماء فتقف صفوفاً لا يتكلمون من هول الموقف لهذا كانت النفس اللوامة تراجع صاحبها وتحثُّه على المسارعة إلى التوبة . . وهناك كذلك (النفس المطمئنة) وهى نفس الإنسان التى اطمأنت إلى ربها بصدق يقينها وإخلاص عملها ومسارعتها فى كل خير . . لذلك نرى أن النفس المطمئنة هى النفس التى لا يستبد بها القلق لأنها فى حالة هدوء ورضا بما قسم الله لها . . فلا الغنى يُطغيها . . ولا الفقر يُسخطها . . فهى فى السرَّاء شاكرة حامدة . . وفى الضرّاء صابرة راضية . . إنها نفس مطمئنة بإيمانها بالله الواحد . . وهذا الاطمئنان لا يجده إلاّ المؤمن بالله المتوكل عليه . . والأمن النفسى هو ثمرة الإيمان الوثيق بالله . . القائم على أصول ثابتة من المعرفة بالله سبحانه . . وقد نُودى الإنسان بنفسه فى قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾[الفجر] . . فالإنسان لم يُنادَ بذاته . . لأن النفس هى جوهره السماوى وهى التى كانت موطن الإيمان والاطمئنان ولهذا يقول الرسول ﷺ **« عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير وليس ذلك إلاّ للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له »**[رواه مسلم] . .

إنك تلحظ النداء للنفس المطمئنة ونداء كريم من رب عظيم يدعو أهل ودّه لينتشلهم من هذا الموقف الرهيب فى يوم القيامة ﴿ ... وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾[الحج] هنا يكون قارب النجاة لينتشل أهل وُدِّ اللَّه من هذا المحيط اللُّجى فيحمل هؤلاء الذين أكرمهم اللَّه بفضله وإحسانه ويُنجِّيهم من هول هذا اليوم وشَرِّه . . ويزيد فى إكرامهم ولقَّاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . . جزاء بما كانوا يعملون . . لهذا فإن النفس الراضية بما أرضاها اللَّه . . مرضياً عنها من ربها لذلك فهى تُدعى من ربها إلى الرجوع إليه . . وهى راضية بما أكرمها به ربها من إكرام وإحسان نتيجة لما قدّمت من أعمال طيبة . . لهذا فإنها تأخذ مكانها بين عباد اللَّه المكرمين الذين جعلهم الله فى مقام كرمه وإحسانه وأدخلهم جنته التى أعدّها لهم . . فمطلوب إذاً من الإنسان أن يُجاهد نفسه ولا يميل مع الهوا لأنه كما يقول ربنا ﴿ .. فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف] . . وعلى الإنسان فى الدنيا أن يعلم أن (القلب) هوسيد الجوارح وملك الأعضاء وهو مكان التلقى فى الإنسان لأنه معدن العقائد والأخلاق ولهذا كلما جاهدت نفسك تصفو وترق أحاسيسك وكلما طهَّرت قلبك كلما سموت إلى الملأ الأعلى ولهذا قال الحق سبحانه ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس] . . إن النفس فيها . . نور وظلام . . ونهار وليل . . عُلوى وسفلى . . لأنك عندما تتعمق فى هذه الآيات تَرَ . . الشمس تمثل العقل . . والقمر يمثل الضمير . . ويستضىء بصيرته من العقل . . كما يستمد القمر نوره من الشمس . . وللعقل شروق وغروب . . فإذا اتجه العقل إلى الحق كان نهاراً مُضيئاً يتحرك فيه الإنسان على هَدْىٍ وبصيرة . . وإذا اتجه إلى الباطل غَرُبت شمسه . . وأطبق ليله وعُميت على صاحبه السُّبُل لهذا قال الله :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ . . إن النفس فاردة قلاعها إلى جهتى الخير والشر . . هكذا صاغها الخالق سبحانه ففى النفس نور وظلام . . نفحات من طُهْر السماء . . وتراب من الأرض . . وقد آتاها الله القدرة على الاتجاه نحو الإيمان أو الكفر . . والخير أو

الشر . . لهذا كان السعيد من الناس مَنْ زَكَّى نفسه وطَهَّر قلبه وأطلق روحه من ظلمات المادة وتراب الأرض فحلَّقت نفسه فى عالم الطُّهر والحق والجمال .

أما الشقى فهو مَنْ غلبت عليه كثافة المادة وظلامها وعاش أسيراً لمتع حياته ولذات نفسه لا يؤدى للّه حقاً ويتطاول على خلق الله ويأكل حقّهم لا يرحم يتيماً ولا يساعد محتاجاً ولا يرق قلبه لأحد ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ لهذا فهو يعيش لا ير الخير ولا يسمع به ونجيب على سؤال . . هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخيَّر؟ فنقول الإنسان مُسَيَّر لما لا حيلة له فيه . . كمولده من أبوين فى مكان كذا وطوله وقصره وسواد جسده أو بياضه . . ما عدا ذلك فهو مُخيّر وخاصة فى كل أعمال حياته . . فالصوم هنا يدرب الإنسان على جهاد النفس ومقاومة للأهواء وحرب للشيطان ونزغاته لأن الشيطان هو العدو المبين الذى يحاول إيقاع الناس فى الشر ثم يضحك عليهم ويسخر منهم . . وقد حذّرنا ربنا منه فقال لنا سبحانه﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر] . . والإنسان إذا جاهد نفسه واتبع سُبل الحق فقد استفاد من الصيام لأنه كما يقول الرسول ﷺ :« **الصيام جنة وحصن حصين من النار**»[رواه أحمد] . . والصيام يعالج النفس من مرضها ويوقظ الضمير ويُقويّه والضمير فى الإنسان قوة كاشفة لمعالم الحلال والحرام ولهذا قيل (أعلم أن الصوم من أعظم أركان الدين وأوثق قوانين الشرع المتين به قهر النفس الأمّارة بالسوء وإنه مركب من أعمال القلب ومن المنع عن المآكل والمشارب والمناكح عامة يومه وهو أجمل الخصال غير أنه أشق التكاليف على النفوس)(١) . . فالصيام جهاد للنفس وهو أعظم جهاد لأن الرسول ﷺ يقول« **رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس**» . . والصيام يُخلِّصُ النفس مما علق بها من شوائب الدنيا وآثامها . . وكسر حدة الشهوة التى تدفع بالإنسان إلى ارتكاب الموبقات ولهذا سئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال:« **الفم والفرج**»[رواه الترمذى] . . ويقول عليه الصلاة والسلام :« **مَنْ وقاه الله شر ما بين لحييه ورجليه دخل**

---

(١) حاشية ابن عابدين - جـ٢ - ص ١٠٩ .

الجنة»[رواه البخارى] . . لهذا كان جهاد النفس من الأمور المطلوبة ولكى تنجح فى جهاد نفسك استعن بالله واخلص له فى صيامك وكن على درجة عالية من الأدب مع الناس مع حسن الخلق والتحلِّى بالصبر لأن الرسول ﷺ يقول : **« لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم والصيام نصف الصبر»**[رواه ابن ماجة] . . إن الصوم مدرسة تهذب النفس وتوقظ الضمير بشرط ألاّ يتكاسل الإنسان عن أداء الواجبات زاعماً بأن الصوم يرهقه وأنه ينام النهار ويستيقظ الليل فمثل هذا نقول له راجع نفسك وحاسب نفسك قبل أن يحاسبك الله والرسول ﷺ يقول لرجلٍ سأله أن يأمره بعمل فقال له: **«عليك بالصوم فإنه لا عدل له »** قلت يا رسول الله مُرنِى بعمل؟ قال: **«عليك بالصوم فإنه لا مثيل له»**[رواه النسائى] . . إن الصيام يكسر حدة الشهوة ويضبطها ويهذبها لهذا قال الرسول ﷺ للشباب **« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**

[رواه الجماعة]

٣ – الصوم يقوى الإرادة وإذا قويت إرادة الإنسان استطاع أن يضبط نفسه وأن يتحكم فى إرادته . . وأن يُسيطر على نفسه لذلك إذا اعتدى عليه أحد تجده صابر يكظم غيظه امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ . . وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران] . . وهو يحبس نفسه عن الشر لأنه سمع من فم نبيِّه الطاهر يقول . . قال الله عز وجل: **«كل عمل ابن آدم له إلاّ الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جُنّة[2] فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث[3] ولا يصخب[4] فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه»**[رواه البخارى] . .

---

(١) الباءة : مؤن وتكاليف الزواج والوجاء أى إضعاف الشهوة.

(٢) أى وقاية وحصن من الوقوع فى المعاصى.

(٣) الرفث : كل كلام يتضمن لما يستقبح ذكره من كل شىء مستور كالجماع ودواعيه.

(٤) أى لا يرفع صوته ويلوح بيديه مُهدِّداً غيره.

ولقد سئل سفيان بن عينية عن قول الله تعالى فى الحديث القدسى : **«كل عمل ابن آدم له إلاّ الصوم فإنه لى»** . . فقال . . إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فبسببه يتحمل الله ما بقى على العبد من المظالم ويدخله بالصوم الجنة . . فالصوم إذاً له منزلة كبيرة بشرط أن يستفيد الإنسان من الصيام ويكون عنده ضبط لنفسه . . وصحوة لإرادته . . وتحكم فى أعصابه يتسم بالحلم . . ويتحلّى بالصبر لأنه كما قال الرسول ﷺ : **«ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»** . . إن الصائم يتخلّق بشىء من أخلاق الله . . فهو يتشبّه بخلق الكرم . . ويتشبه بخلق العفو أى أن الإنسان يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه . . ويُحسنُ إلى مَنْ أساء إليه . . وبهذا يكون للصيام أثر على نفسه ويكون قد استفاد بقوة الإرادة وصحوة العزيمة . . إن المسلم أثناء الصيام عليه أن يكون حليماً واسع الصدر صابرا لا يتنرفز ولا يقابل السيئة بالسيئة وإنما يعفو ويصفح ويصبر الصبر الجميل فى نفس الوقت يصل أقاربه ويعطف على العمال الذين عنده وعليه أن يدرك وهو يفعل ذلك قول الرسول ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أن يُمدَّ له فى عمره ويُزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه»** [رواه أحمد]، وفى حديث آخر : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[رواه البخارى] . . وفى حديث آخر : **«مَنْ سَرَّه أن يُمدَّ له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتقى الله وليصل رحمه»**[أخرجه أحمد] . .

إن الصيام يعلّم الإنسان أن يكون رحيماً بالناس عطوفاً عليهم كريماً مع الأيتام لأنه يؤمن بقول رسول الله ﷺ **«الراحمون يرحمهم الرحمن»**، وفى قوله ﷺ : **«ارحموا مَنْ فى الأرض يرحمكم مَنْ فى السماء»**، وهو فى عطفه على الأيتام ورعايته لأمرهم والتودد إليهم ومعاملتهم بالحب والحنان يتذكر قول اللـــه تعالى : ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴿٩﴾ ﴾[النساء] . . وفى توجيهه لنا ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴿٩﴾ ﴾[الضحى]

ولقد كان يوسف عليه السلام وهو على خزائن أرض مصر يُكثر من الصيام فلما سُئل عن ذلك قال لأن الجوع إذا عضَّنى تذكرت الفقراء والمساكين . .

٤ - الصوم يعلِّم النظام والانضباط لأن الصائمين يتناولون طعامهم فى وقت واحد ويمسكون عن الطعام والشراب فى وقت واحد . . وإذا نحن تأملنا ما يصنعه الصوم فى النفوس نلحظ أنه يصبغ الأمة بطابع واحد لأنه يحقق التآلف الإنسانى والسلام العالمى وينزع الغل والأحقاد من النفوس وينتشر بين الناس المودة الجادة الصادقة وترى أن عزيمة الفرد تنصهر مع عزيمة الجماعة فى بوتقة الصوم الطاهر واللسان العف والصبر والتجرد، وفى هذا المناخ ترى أن الإنسان لا يفلت من نفسه ولا يتسلط على غيره . . فترى المجتمع يغمره ضوء من الخشية الهادية والسلوك الحسن . . أذّن الفجر فى أول يوم فأمسك الناس عن ملاذهم بعد أن حصَّنوا القلب بالخشية واللسان بذكر الله وهم مسرعون إلى بيته تراهم فيه ركعاً سجداً . . فى لحظة واحدة هى لحظة ظهور الفجر الصادق يتم الإمساك بنداء واحد ولمعبود واحد . . كل ذلك يطبع الأمة على وحدة مصونة وألفة بارة ومحبة بين الجميع وتمضى ساعات النهار والنفس بطهرها وصومها خفيفة الظل تتسلح بسلاح من الطهر الدائم يحمله المؤمن متجدداً بشعائر دينه . . وإذا أراد الشيطان أن يلعب بهذه النفوس يرجو غوايتها . . وأرادت النفس أن تنساق فى فترة ضعف لهواها . . تذكرت اللَّه . . وتذكرت صومها فأبصرت طريقها فرجع الشيطان عن ساحتها . . وعاشت هذه النفوس الصائمة خاشعة لربها فلا يقترب الشيطان من ساحتها لأن اللَّه حذّره وقال له ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ .. ﴿٤٢﴾ ﴾[الحجر] . . تنطلق همم النفوس الصائمة قوية بيقينها راضية بإيمانها محفوفة بالطُّهر آمنة فى السعى كل قد عَلِمَ صلاته وتسبيحه متأهب للاستعداد لليوم الآخر ولقاء ربه بزاد من التقوى والصبر وصحوة الإرادة . . وتمضى ساعات النهار نديَّة السعى طيبة الذكر . . فى هذا الجو الطَّاهر يقع التراحم بين الناس ويتجرد الإنسان عن الهوى الكذوب . . وهنا فى هذا الجو المشحون بالطُّهر تكون الأمة متَّسمة بطابع واحد لا تقبل أن يقع بينها منكراً والكل قد أمسك

عن قول الزور والعمل به لأن اللسان عَفّ وكل فرد يشعر أنه يعيش مع جماعة لها حقوق عليه لذلك كل واحد يعمل على (إقامة دولة الإسلام فى نفسه لتقم على أرضه) لأن الحياة فى نفسه لها غاية والشخص يعظم بغايته ويتجدد بها والأمة فى مجموعها لها غاية. . غايتها التقدم والازدهار والأمن والاستقرار . . فالإطار العام للجماعة لا يتم انسجامه إلاّ إذا اتحدت الغايات وانسجم الكل مع بعضه عندئذ تسلم الجماعة وتطمئن وتجنى ثمرات الأرض وتستقبل بركات السماء. . لأن الأمة تدرك رسالتها وتسعى لغايتها بحيث لا يتعارض سلوك الفرد وغايته مع سلوك الأمة وغايتها. . إن الصوم تدريب للأمة على النظام وتربية للأفراد وتقوية للعزائم وطهر للنفس وسمو للروح عندئذ ينفتح باب الخير للأمة على مصراعيه . . فتمتلئ حياة الناس بالرضا ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا .. ﴿١١٩﴾ ﴾[المائدة]. . وتطمئن قلوبهم بالذكر ﴿ .. أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد]. . ويذهب عن دنياهم الفقر ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[هود] وقد امتلأت قلوب الناس بالغنى والقناعة ﴿ .. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق]. ويرتفع من بينهم الفزع والخوف ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾[محمد] . .

إن الإنسان الصائم الصادق المخلص مع الجماعة المؤمنة قد وفر الصوم بهذه الصورة للحياة أمنها. . وللنفس طمأنينتها وللمجتمع سعادته وللقلب نوره وضياءه لأن الصوم يجمع مع التقوى الانتظام والانضباط والوحدة والتآلف. . وكل ذلك يُعين على تحقيق الغاية التى نعمل لأجلها وهى رضاء الله وأمن المجتمع وسلامته. .
فأكرم بعباده الصيام التى تعصم الفرد من التهوّر والاندفاع وتجعله يحفظ جوارحه لأنه يدرك بـ ﴿ ..إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء]
لقد حكم الصيام جوارح الإنسان وجعلته ينضبط على القيم السلوكية والأخلاق

العالية . . لهذا نرى أن الحق سبحانه وتعالى فرض الصيام علينا كما فرضه على الأمم السابقة ليظل حبل الإنسانية موصول العزيمة ويتآخى السابق مع اللاحق فى الإيمان بالله الواحد والاعتماد عليه والثقة فى إخوانه الذين حوله لتدوم الصلة والمودة بين بنى البشر وصدق الله العظيم ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر] . .

إن المسلمين اليوم فى حاجة إلى أن يتعلموا النظام والانضباط فليتعلّموا من شهر رمضان لأنه يشعرهم بوحدة المسلمين الذين يصومون ويفطرون فى وقت واحد لأنه من فوائد الصيام أنه يساعد على صفاء الذهن وإلهاء الآراء الثاقبة لأن الصائم ذهنه صافٍ وقد جاء ذلك فى حديث رسول الله ﷺ **«اغزوا تغنموا .. وصوموا تصحوا.. وسافروا تستغنوا»**[رواه الطبرانى فى الأوسط]. . ولأنه من المعروف أن المعدة بيت الداء . . وما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه . . وقد قال لقمان الحكيم لولده . . (إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة) . . لهذا كان الصوم مُجدِّداً لحياة الإنسان مُجدِّداً لخلاياه يُنمِّى فى الإنسان عاطفة الأخوة والرحمة يجعله فى مراقبة دائمة للَّه . . ومع كل هذا يثاب الإنسان ثواباً عليه عظيماً لا حدود له نتيجة إخلاصه للَّه وحسن تعامله مع الآخرين . .

الفصل الثانى

الفصل الثانى
فضائل شهر رمضان

عبر تحولات القمر من هلال إلى بدر إلى محاق تمر الشهور العربية سريعة ومتعجِّلة لا يوقف سيرها ما يجرى على ساحة الكرة الأرضية من زلازل وبراكين وتفجيرات نووية أو حروب يُشنُّها الأقوياء على الضعفاء . . فكل ذلك لا يعطل مرور الأيام وكر الأعوام فهذه المناسبات العابرة سرعان ما تختزنها الذاكرة ويطويها سجل التاريخ . . لكن فجأة . . يتوقف الزمن . . يتوقف ليأخذ نفساً عميقاً ومنعشاً لأن شهر رمضان حلَّ بخيره وبهائه وجماله وجلاله على المجتمع الإنسانى . . فشهر رمضان هو سيد الشهور العربية وتاجها وعمدتها لأن فى أيامه المباركة ولياليه الطيبة يجد الإنسان المسلم فرصة مواتية له ليسترجع ما فات من عمره ويتذكر ما قدمّ من عمل وما انطوت عليه صفحات تاريخه ثم يستخلص العبرة التى تُعينه وتُقويه على تدبر مستقبل أيامه . . خاصة وأن شهر رمضان هو شهر الصفاء الروحى والكرم والتعاون والتسامح . . كان هذا كل لشهر رمضان مذاق خاص وقد ميَّزه اللَّه عن بقية الشهور واختصه بأمور ليست فى غيره . . ونقف **أولاً** أمام خطبة لرسول الله ﷺ يتبيَّن لنا منها الكثير مما لهذا الشهر من فضائل . . وهذا من كلام رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى . . فعن سالمان رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم شهر شعبان فقال : **« يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك .. شهر فيه ليلة خير من ألف شهر .. شهر جعل اللَّه صيامه فريضة .. وقيام ليله تطوعاً .. من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه .. ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه »** . .

وهو شهر الصبر . . والصبر ثوابه الجنة . . وشهر المواساة . . وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه مَنْ فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره

من غير أن ينقص فيه من أجره شيء. . قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يُفطّر الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يُعطى الله هذا الثواب مَنْ فطّر صائماً على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن.. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.. مَنْ خفّف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار.. واستكثروا فيه من أربع خصال.. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما.. فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلاّ اللّه وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون اللّه الجنة وتعوذون من النار .. ومَنْ سقى صائماً سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة**»[رواه ابن خزيمه فى صحيحه]. . يا اللّه ما أكرمك وأعظمك. . لأن شهر رمضان سيد الشهور وعمدتها تجعل فيه أداء الفرض بسبعين فريضة وتجعل النافلة فيه بمقام فريضة وتزيد فى رزق المؤمن وتوسع عليه. . نعم فأنت الرزاق وأنت القادر ألم تُنزّل مائدة من السماء على أتباع عيسى عليه السلام. . ألم تجعل المن والسلوى لبنى إسرائيل رزقتهم به وهم فى الصحراء تائهون مع أنهم تمرّدوا على نبيِّك ولم يلتزموا بهديك لكنك يا ربنا خلقت كل شيء وضمنت لكل شيء رزقه وقلت وقولك الحق: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود]. . سبحانك يا اللّه فأنت الواحد القادر بيدك الأمر وأنت صاحب الأمر وأنت على كل شيء قدير. .

أما **الأمر الثانى** فقد جاء عن النبى الصادق الأمين قوله ﷺ: «**أُعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يُعطهن نبى قبلى أمّا واحدة .. فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر اللّه عز وجل إليهم ومن نظر إليه لم يُعذبه أبداً.. وأما الثانية.. فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند اللّه من ريح المسك.. وأمّا الثالثة .. فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة.. وأمّا الرابعة.. فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزيّنى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى.. وأمّا الخامسة .. فإنه إذا كان آخر ليلة غفر اللّه لهم جميعاً**». . فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر؟ . . فقال: «**لا.. ألم تَرَ إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم**»[رواه البيهقى]. .

الأمر الثالث . . تتوقف حركة الشياطين لأن المجتمع ملىء بالطُّهر والصفاء لذلك فإن الشياطين تتوقف عن أعمالها كما أن أبواب النار تغلق . . وينادى منادٍ فى كل ليلة يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر . . وقد جاء ذلك عن النبى الأمين فى قوله ﷺ: « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن** (قال ابن خزيمة : الشياطين مردة الجن بغير واو) **وغُلِّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب وينادى منادٍ يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة**»[رواه النسائى] . .

إن الحق سبحانه وتعالى يُصفِّد مردة الشياطين فى شهر رمضان لما لشهر رمضان من منزلة خاصة ولأن الناس فيه يتعبدون ورحمة بهم فإن الشياطين تُقيد حركتها حتى لا يزينون الشر للناس ويصرفوهم عن العبادة ففى حديث رسول الله ﷺ: « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فُتِّحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب واحد الشهر كله.. وغُلِّقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب الشهر كله.. وغُلَّت عتاة الجن**[1]**.. ونادى منادٍ من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح.. يا باغى الخير يمم وأبشر، ويا باغى الشر أقصر وأبصر.. هل من مستغفر يغفر له .. هل من تائب يتوب الله عليه.. هل من داعٍ يُستجاب له.. هل من سائل يُعطى سُؤْله ولله عز وجل عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفاً فإذا كان يوم الفطر أعتق الله مثل ما أعتق فى جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفاً**»[رواه البيهقى] . . وهذا الفضل من اللّه يدل على أن الشياطين تُصفّد وتُغل بحيث تُقفل أبواب الشر . . وتُسد ثغرات النار ويأمن الإنسان على نفسه من أذى الشياطين الذين يوسوسون للفرد عملاً على إغوائه وإضلاله . . وتُفتح أبواب الرحمات فى هذا الشهر وينادى على الناس جميعاً يا مَنْ تُريد لنفسك الخير والسعادة هذا شهر الرحمات أقبل وأسرع وانضم إلى الركب الطاهر الصائم نهاراً والقائم للّه ليلاً لتفوز بالخير وتسعد براحة البال وتهنأ فى دنياك وفى الآخرة جنة لك فيها ما تشتهى النفس وتقر العين عطاء من ربك لك لأنك سرت مع الركب الميمون .

---

(١) قيدت الجن الفسقة الموغون للناس بالسلاسل وعتاة جمع عات وهم المتجبرون .

ولكن شياطين الإنس

إذا كان الله سبحانه قد قيّد شياطين الجن فى هذا الشهر العظيم الكريم إلاّ أنه خلال شهر رمضان تقع جرائم متعددة وبأساليب مختلفة . . وتقع بيد الإنسان . . إذاً فشياطين الإنس مطلقون السراح . . والشهر الكريم يُوفِّر مناخاً مناسباً لجرائم من النوع العائلى . . مثل الخناقات التى تحدث فى البيوت لعدم شراء الياميش وخلافه من الأشياء المرتبطة بشهر رمضان . . وفى منتصفه تقوم الخناقات من أجل كحك العيد . . كما أنه قد تقام خناقات لأتفه الأسباب لعدم إعداد وجبة السحور أو لعدم إعداد طبق معين على مائدة الإفطار . . كما أنه تقوم المشاكل العائلية بسبب عدم دعوة الأهل على مائدة الإفطار . . أو عدم ترحيب الزوج بأهل زوجته أو العكس . . مثل هذه الجرائم تزيد خلال شهر رمضان وتطالعنا وسائل الإعلام فى جميع بلاد العالم بمثل هذه الأمور التى تكون نهايتها . . إما الطلاق . . وإما إصابات فى الجسد بجروح . . وإما القتل . . وهناك جرائم تزيد فى هذا الشهر . . كجرائم السرقة . . لأن بعض الأسر تتبادل الزيارات وقت المغرب والشوارع خالية تماماً وتُغرى أصحاب الضمائر الفاسدة بالسطو على المنازل الخالية من أهلها . . والسارق لا يحترم حرمة هذا الشهر العظيم لأن الضمائر الميتة والإحاسيس المتبلِّدة لا تستيقظ فى رمضان ولا فى غيره . . كذلك يلاحظ سرقة الأحذية من المساجد أو التعدى على دورات المياه والعبث بمحتوياتها . . وياليت الذين يسرقون ينتفعون بما جمعوا من مال حرام . . إلاّ أنه للأسف يتجهون إلى شراء المخدرات حيث ينشط مروِّجوها وترى الذين يتعاملون مع التجار هم الذين ينشلون ويسرقون . . كذلك الأماكن المزدحمة ليلاً أو نهاراً يزاول اللصوص مهنتهم فينشلون ما فى جيوب بعض الناس ويتركونهم بين حسرة وندم . . والسارق نُزعت الرحمة من قلبه فلا يدرى بأن المبلغ الذى سرقه قد يكون المسروق منه خرج ليشترى علاجاً لمريض . . أو يشترى طعاماً لأولاده للإفطار أو السحور لكن ماذا نقول وكل الجرائم تصدر من أشخاص لا يعرفون شيئاً عن شهر رمضان . . لذلك فهو يرتكب

جريمته وقتما يشاء. . والسارق لا يحترم شيئاً حتى ولو كان فى بيت الله ولو فى شهر رمضان. . كذلك يلاحظ أن التجار أصحاب الضمائر الفاسدة ينتهزون فرصة إقبال الناس على الشراء ويغشون الناس ويبيعون البضائع الفاسدة. . وما أكثر ما نقرأ ونسمع عن ضبط كميات كبيرة من السلع الفاسدة غير الصالحة للاستعمال الآدمى. . وهناك كذلك سرقة السيارات إلى غير ذلك من أمور كثيرة يعلمها الناس. . لكن الأمر الأكثر خطورة ظهور جيش المتسولين الذين يستغلون كرم الصائمين ويقفون أمام دور العبادة. . ويلاحظ أن هناك جرائم تقل. . مثل الاغتصاب للمرأة عموماً وهذا راجع إلى أن المرأة فى رمضان تحتشم ولا تمشى وحدها فى الأماكن الخالية وانخفاض السهرات فى الأماكن النائية. . لقد قمت برصد الحوادث من خلال قراءتى لوسائل الإعلام فى بلاد إسلامية متعددة خلال شهر رمضان. . لأنه شهر يغلب عليه الطابع الدينى ومن المفروض أن يحدث انخفاض فى الجريمة. . لكن. . بعض الناس يعتقدون أن الصيام سبباً فى توتر الأعصاب وضيق الصدر وسرعة الغضب. . ويؤمن بأن هذا من علامات الصيام. . لكن هذا فَهْم خطأ لأن الصائم لابد أن يتصف بالحلم وطول البال. . وهدوء الأعصاب إعمالاً لتوجيهات الرسول ﷺ: «**الصيام جُنَّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم**»[من حديث البخارى]. . إن المجرمين الذين يرتكبون جرائمهم ليس عندهم وازع من دين أو ضمير ولا يتأثرون بشهر رمضان ولا بخلافه لأن نفوسهم مريضة ولأن الشيطان دربهم وأغواهم وأعطاهم شحنة إجرامية يتعايشون بها خلال شهر رمضان. . فالشيطان يدرك أن نشاطه الإجرامى وأن إغواءه للمجرمين سيتوقف خلال هذا الشهر فهو يدرب هؤلاء قبل أن يُقيَّد ليحقق نسبة الجريمة فى المجتمع الإنسانى. .

لهذا بات لزاماً علينا أن ندرك أن الحق سبحانه وتعالى إذا قيَّد شياطين الجن فإن شياطين الإنس مُطلقون السراح وأنهم يمارسون جرائمهم فى مناخ معروف بتخطيط مُسبَّق. . لأن مدرسة الشر لا يتوقف عملها.

والمطلوب

والمطلوب من كل مسلم أن يكون على حذر ويدرك أبعاد المخطط الشيطانى وأن عليه أن يتحصن من شياطين الإنس كما يتحصن من شياطين الجن وصدق الله العظيم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[الأنعام] . . إنه بهذا يتبين لنا أن فضائل شهر رمضان كثيرة وأن المسلم عليه أن يغتنم هذا الشهر وأن يدرك أن الملائكة تستغفر له. . والله سبحانه وتعالى يباهى بالمسلم الصائم القارئ للقرآن ملائكته. . ففى الحديث عن رسول الله ﷺ قال يوما وحضر رمضان : **«أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تبارك وتعالى إلى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من انفسكم خيراً فإن الشقى مَنْ حُرِم فيه رحمة الله عز وجل»**[رواه الطبرانى] . .

الأمر الرابع . . إن الجنة تتزين لرمضان وأن الحور العين فيها تسأل اللّه أن يكنّ للصائمين . . فعن رسول الله ﷺ قال: **« لو يعلم العباد ما رمضان لتمنّت أمتى ان تكون السنة كلها رمضان»** فقال رجل من خزاعة : يا نبى الله. . حدثنا؟ فقال: **« إن الجنة لتتزين لرمضان من رأس الحول إلى الحول.. فإذا كان أول يوم من رمضان هبّت ريح من تحت العرش فَصَفَقَت ورق أشجار الجنة[1].. فتنظر الحور العين إلى ذلك فيقلن: يا ربنا اجعل لنا من عبادك فى هذا الشهر أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا.. قال: فما من عبد يصوم يوماً من رمضان إلاّ زُوِّج زوجة من الحور العين فى خيمة من دُرّة.. كما نعت الله عز وجل حور مقصّورات فى الخيام .. على كل امراة منهن سبعين حلّة ليس منها حلّة على لون الأخرى وتعطى سبعون لوناً من الطيب ليس منه لون على ريح الآخر.. لكل امراة منهن سبعون الف وصيفة لحاجتها.. وسبعون الف وصيف مع كل**

---

(١) طربت وأظهرت نغمات موسيقية وصوتاً عذباً شجياً.

وصيف صحفة من ذهب فيها لون طعام يجد لآخر لقمة منها لذة لم يجده لأوله ولكل امرأة منهن سبعون أريكة ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر موشحاً بالدر عليه سواران من ذهب هذا بكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات» . .

هذا حديث عظيم ونحن نؤمن بأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى . . ولم يكذب على الناس فى يوم من الأيام حتى ولو فى شىء تافه صغير لا يُأبه له . . لأنه الصادق الذى جاء بالصدق ولهذا قال الحــق سبحانــه ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الزمر] . . فيا من يريد الخير لنفسه أقبل فهذا موسم الخير فاخلص لربك فيه واستعن بالله ولا تعجز .

الخامسة . . أن مَنْ صام رمضان فى هذه السنة وصام رمضان فى السنة القادمة فإن الله يغفر له ما وقع منه بين رمضانين وهذا فضل من الله عظيم فالرسول ﷺ يقول : « **الصلوات الخمس.. والجمعة إلى الجمعة .ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[رواه مسلم] . . وفى حديث آخر أن كعب بن عجرة قال : قال لنا رسول الله ﷺ « **احضروا المنبر فحضرنا فلما ارتقى درجة قال آمين.. فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين.. فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين**» فلما نزل قلنا : يارسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه؟ قال : « **إن جبريل عليه السلام عرض لى فقال بَعُدَ مَنْ أدرك رمضان فلم يغفر له : قلت آمين. فلما رقيتُ الثانية قال: بَعُدَ مَنْ ذكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فقلت آمين.. فلما رقيت الثالثة:قال: بَعُدَ مَنْ أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين**»[رواه الحاكم] . . إن فضائل شهر رمضان كثيرة ومتعددة . . ومَنْ ذاق عرف فإذا كان الصيام يدرب الإنسان على الصبر وما أحلاه فإنه فى نفس الوقت يدرب الإنسان على ضبط النفس وعدم التهور والاندفاع . . فالإنسان يكظم غيظه . . ولا يرد الإساءة بالإساءة . . ولكنه يعفو عمن ظلمه . . ويُحسنُ إلى مَنْ أساء إليه . . ويُعطى مَنْ حرمه ويكون الإنسان فى هذا

الشهر هو السخى الكريم لأنه يتشبه برسول الله ﷺ الذى كان أجود الناس وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان.

السادس .. إن شهر رمضان فرصة فى أن الإنسان يتخلى عن عاداته السيئة وأعماله الذميمة لأن الصيام كما يقول الرسول ﷺ **« الصيام جُنة ما لم يَخْرِقْها»**[رواه النسائى].. والإنسان يخرق صيامه بالكذب والغيبة ولهذا قال الرسول ﷺ **« مَن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»**[رواه البخارى].. ولأن الصيام مقصود به تهذيب النفس والبعد عن اللغو والكذب ولهذا قال الرسول ﷺ **« ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سَابَّك أحد أو جَهِلَ عليك فقل إنى صائم .. إنى صائم»**[رواه ابن خزيمة].. وكلمة (جَهِلَ عليك) فى الحديث كالشخص الذى يصيح فى وجهك ويتشنج ويعلو صوته بكلمات نابية كلها سفه وقلة أدب وتطاول على الأبرياء بلا حياء ولا خجل ولهذا يقول الرسول ﷺ **« رُبَّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش ورُبَّ قائم حظه من قيامه السهر»**[روى ذلك ابن ماجه والبيهقى].. إن مدرسة الصيام مدرسة عظيمة لأن شهر رمضان تدريب للإنسان على التعود على العادات الحسنة.. والتخلق بالخلق الكريم مع الالتزام بضبط النفس وسعة الصدر والحلم..

خصوصيات شهر رمضان

شهر رمضان له خصوصيات يتميز بها عن غيره من الشهور وكثرة الأسماء تدل على التفرد بهذه الأشياء.. فالمسلمون يقولون عنه بأنه .. شهر القرآن.. شهر الرحمة.. شهر الغفران.. شهر النجاة.. شهر العتق من النار.. شهر الصبر والمواساة .. شهر الخيرات والبركات.. شهر إقالة العثرات.. شهر التوبة ومضاعفة الحسنات.. شهر العودة إلى اللّه .. شهر الإحسان.. إلى غير ذلك من الأسماء الكثير وهو كذلك حقاً لأنه شهر عظيم ولو يعلم الناس ما فيه من خير لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان.. ومن هذه الخصوصيات:

(١)
شهر القرآن

القرآن الكريم كتاب اللَّه المنزّل من علياء السماء وقد أنزله اللَّه فى ليلة فكانت أفضل وأحسن الليالى على الإطلاق يقــول عنها ربنــا : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[الدخان] . . ويقــول سبحانــه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾[القدر] . . والقرآن لعظم قدره تشرفت الليلة التى نزل فيها . . كما تشرّف النبى محمد ﷺ بهذا القرآن الذى تلقاه من جبريل عليه السلام أمين الوحى . . ورفع اللَّه قدر الأمة التى تحمل القرآن وتحافظ عليه وبوّءها مكان العز والكرامة وقال لها وعنها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران] . . فالقرآن الكريم نزل فى شهر رمضان ومن هنا كانت هذه المميزات العظيمة لشهر رمضان والقرآن الكريم كتاب فيه نبأ مَنْ قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا هو الفصل ليس بالهزل مَنْ قال به صدق ومَنْ حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم . . ونظراً لأن شهر رمضان هو شهر خير وبركة فقد نزلت الكتب السماوية كلها فى هذا الشهر لأن اللَّه سبحانه وتعالى فرض الصيام على الأمم السابقة فى هذا الشهر كما فرضه علينا فشهر رمضان إذاً له عند الأمم السابقة منزلة الإكبار والتعظيم لأن الله فرض صيامه ليظل حبل الإنسانية موصولاً ولأن اللَّه أنزل فيه الكتب المقدسة فالرسول ﷺ يقول : **« أُنزلت صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان وأُنزلت التوراة لستٍ مضينا من رمضان.. والإنجيل لثلاثة عشر خلت من رمضان وانزل اللّه القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان أى فى ليلة الخامس والعشرين منه »**[رواه أحمد] . . لهذا كان للقرآن الكريم منزلة خاصة فى

نفوس المسلمين لأنه ختام الكتب السماوية. . فليس هناك كتاب ينزل بعده من السمـــــاء. . كما أن النبى محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء فلن يأتى نبى بعــده وصـــدق الله العظيم: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** .... ﴿٣﴾ ﴾[المائدة]. . ولما كان القرآن بهذه المنزلة فخير الناس من يحفظه ويُحفِّظه فـى الحديث عن رسول الله ﷺ« **خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[رواه البخارى]. . وفى حديث آخر :«**من استمع إلى آية من كتاب الله كُتبت له حسنة مضاعفة ومَنْ تلاها كانت له نوراً يوم القيامة**»[رواه أحمد]. . وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ «**يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أُعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[رواه الترمذى]. . ويقول أبو ذر رضى الله عنه: قلت يا رسول الله أوصنى؟ قال:« **عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله**». . قلت : يا رسول الله زدنى: قال:« **عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء**»[رواه ابن حبان]. لكل هذه الأسباب يجدر بالإنسان المسلم الصائم أن يكثر من تلاوة القرآن . . وبدل أن يجلس يُسلِّى نفسه بأمور تشغله لا نفع فيها فعليه أن يُسلِّى صيامه بالقرآن ليجتمع له خير كثير وينال الثواب العظيم ويرفع اللَّه درجته فى الدنيا ويُعلى قدره ويسدد خُطاه وفى الآخرة ليحظى بمرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا ذلك فضل الله يمنحه لك إذا عَلِمَ منك الإخلاص. . وصحوة الإرادة وعلو الهمة. . وصلة الأرحام. . والعطف على الأيتام ومساعدة الفقراء والمحتاجين . . وما أحرانا فى شهر رمضان المبارك أن نعود إلى القرآن لننهل من معينه الطاهر لتحيا به نفوسنا . . ولقد كانت الأمة الإسلامية فى الماضى تعرف ما يسمى بـ(المسهر) وهو عبارة عن مكان يُفسح فى كل بيت يجلس فيه العائلة من بعد صلاة التراويح ويتبادلون مع بعضهم قراءة القرآن . . شخص يقرأ والكل يستمع . . وإذا أراد أحدهم أن يستفسر عن معنى آية كانوا يتوقفون عن القراءة ويبدأ أحد العلماء يوضح ويفسر فإذا لم يكن أحد العلماء فكل بيت فيه كتب للتفسير. . وهكذا كان الناس فى الماضى يعيشون

بالقرآن ومعه. . لذلك سعدت دنياهم وعاشوا فى أمن وسلام خيرهم كثير. .
والبركة من اللّه أكثر لذلك لم يشك أحد منهم من بطالة ولا فقر وإنما الكل عن نفسه راضٍ وعن ربه أكثر الرضا لأنه (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) إن القرآن مع الصيام هما سبيل القرب من اللّه وهما الموصلان إلى السعادة الحقيقية. . والمتعبد بتلاوة القرآن يصل إلى قمة الصفاء الروحى والسمو النفسى ويرقى إلى أعلى الدرجات ويتشرف بأن تُقبل عليه الملائكة تؤانسه وتجالسه فعليه أن يُقبل على مناجاة ربه بقراءة القرآن الكريم لأن الملائكة تتنزل من الملأ الأعلى لتتشرف بالاستماع إلى مَنْ يتلو القرآن كما حدث (لأسد بن حضير) وهو الصحابى الجليل يُحدِّث فيقول : بينما كنت أقرأ القرآن فى ليلة فى مربد إذ جالت الفرس[١]. . فقرأت . . ثم جالت أخرى. . فقرأت. . ثم جالت أخرى أيضاً. . قال أسيد: فخشيت أن تطأ (يحيى)[٢] فقمت إليها فإذا مثل الظلّة فوق رأسى فيها أمثال السرج عرجت فى الجو[٣]. . حتى ما أراها قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله. . بينما أنا البارح فى جوف الليل اقرأ فى مربدى إذا جالت فرسى. . فقال رسول الله ﷺ : **«اقرأ ابن حضير»**[٤]. . قال: فقرأت . . ثم جالت أيضاً. . فقال رسول الله ﷺ : **«اقرأ ابن حضير»**.. قال: فقرأت . . ثم جالت أيضاً . . فقال رسول الله ﷺ : **«اقرأ ابن حضير»**. . قال: فانصرفت . . وكان (يحيى) قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظُّلّة فيها أمثال السرج[٥]. . عَرَجَتْ فى الجو حتى ما أراها. . فقال رسول الله ﷺ **«تلك الملائكة تستمع لك.. ولو قرات لأصبَحَتْ يراها الناس ما تستتر منهم»**[رواه البخارى ومسلم] . استدل كثير من العلماء على أن رؤية الملائكة أمر عادى

---

(١) مربد / مكان فيه تمر وجالت أى اضطربت بشدة وتحركت.
(٢) ولده الصغير وكان نائماً.
(٣) أى صعدت إلى أعلى.
(٤) أمره رسول الله بالقراءة فى المستقبل ورغبه وكان عليه أن يستمر بالأمس فى القراءة ويغتنم ما حصل له من نزول السكينة والملائكة.
(٥) المصابيح المضيئة.

فى حياة المؤمنين لأن رؤيتهم رحمة والملائكة تُؤنس المؤمنين وتدخل السرور عليهم . . واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت] . كما أن الكفار يرون الملائكة ولكن يرونهم عذاباً خاصة فى لحظات الموت . . كما قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ . . وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام] . .

وكذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[الأنفال] . . ومن هنا كان المسلمون يتسابقون فى شهر رمضان إلى تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه . . خذ مثلاً فى وقتنا المعاصر أن الكثير من الناس . . كل واحد ينادى على الآخر ابتداءً من الساعة الثانية بعد الظهر وكل يقول للآخر (تعالى نسلى صيامنا) وهذا يحدث أيضاً بين السيدات . . وتكون الإجابة (فين) نلعب طاولة . . أو كتشينة . . أو نقلب فى محطات التليفزيون أو أشرطة الفيديو . . أو . . المهم كلها ألعاب تقتل الوقت وتُضيِّعه . . وما عرف هؤلاء أن الوقت غال جداً لا يُقدّر بمال . . وأن الزمن لا يحابى أحد ولا يجامل أى شخص . . فكل دقيقة تمر على الإنسان نقصت من عمره ولن تعود إليه أبداً لذلك جاء فى الأثر . . (ما من يوم ينشق فجره إلاّ ومناد ينادى من قبل المشرق . . يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمنى وتزوّد منى فإنى لا أعود عليك إلى يوم القيامة) لقد فهم آباؤنا السابقون هذه الأمور لذلك أقاموا فى العصر مجالس لقراءة القرآن أو الاستماع إليه . . أو مُدارسة العلم . . وكان كثير من العائلات يُفسحون مجالاً فى بيوتهم ويخصصون غرفة لسيدات الحى فيسمعن القرآن أو العلم ويُشاركن فى النقاش

وقد أطلقوا على هذا النوع من الجلسات (مَعَصَرٌ) وكان لهذه الجلسات صدى فى الأوساط المحلية وكانت تزدحم بالروّاد . . وكانت النساء تنصرف قبل المغرب بساعة على الأكثر وبعدهن الرجال . . كان هذا هو تسلية الصيام فى الماضى . . أما فى الحاضر فنحن نريد أن نُغيِّر من وضعنا ونعود إلى عادات الآباء لأن مثل هذه الجلسات ربَّتْ رجالاً ونساءً وصقلت موهبة كثير من السيدات . . لأن الإيمان دائماً هو مصنع الأبطال ولهذا يقول الرسول ﷺ : **« يا أبا ذر لأن تغدو فَتتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تُصلى مائة ركعة ولأن تغدو فَتُعلِّمَ بابا من العلم عُمِلَ به أو لَم يُعمل به خير من أن تُصلى ألف ركعة»**[رواه ابن ماجة] . .

إن المسلم الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب . . كما أن أصغر البيوت وأحقرها بيت ليس فيه شىء من كتاب اللّه بكل ذلك جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ . . الأمر الذى يجعلنا نهيب بكل مسلم . . يا أخى لا تُدمر حياتك . . ولا تُمزق نفسك . . ولا تجعل نفسك عرضة للتوتر العصبى والتمزق النفسى وكل ذلك ناتج لبعدك عن القرآن الكريم إن القرآن مأدبة الله فى الأرض فاقبلوا مأدبته ما استطعتم . . لأن الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة . . ثم إن القرآن والصيام يشفعان لك عند الله ففى حديث رسول الله ﷺ : **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى ربِّ منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه .. ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه .. قال: فيشفعان»**[رواه الطبرانى] . . **«إن المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجَّة ريحها طيب وطعمها طيب .. ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة التى لا ريح لها وطعمها حلو .. ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُر .. ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**[رواه البخارى] . . فإلى القرآن أيها الصائمون وأنتم فى شهر رمضان زيِّنوا به مجالسكم وعودوا إليه ليعود الخير إلى أوطانكم مع شهر رمضان شهر الانتصار على النفس والنصر على الأعداء . .

(٣)

شهر الرحمة

إن رحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شئ فهو سبحانه وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل . . وفى الحديث عن رسول الله ﷺ قال: « **قال الله عز وجل .. أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى.. والله .. لَلّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومَنْ تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومَنْ تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلىّ يمشى أقبلت إليه أهرول**»[رواه مسلم] . . بهذا يتبيّن لنا أن فضل الله عظيم وأن فضله فى شهر رمضان أعظم لأنه شهر الرحمة يرحم اللّه فيه الخلق فهو سبحانه رحمان رحيم ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ كما يروى عبادة بن الصامت رضى الله عنه يقول حضر أول رمضان فقال عليه الصــــلاة والسلام: « **أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم اللّـه فيه فيُنزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر اللّه إلى تنافسكم فيه ويباهـى به ملائكته فأروا اللّه من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حُرِمَ فيه رحمة الله عز وجل**»[رواه الطبرانى] . . إن رحمة الله واسعة ولهذا يقــول الرسـول ﷺ «**للّه مائة رحمة فقسَّمَ منها جزءاً واحدا بين الخلق به يتراحم الناس والوحش والطير**» [رواه ابن ماجه] . . ويقول أيضاً: « **إن لله عز وجل مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة**»[رواه أحمد] . . إن رحمة الله تبارك وتعالى مع سعتها وشمولها لكنه سبحانه قال: ﴿ ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف] . . لذلك وجب عليك : (يا أخى المسلم) أن تبادر أولاً . . بالتوبة . . وثانياً . . بأن تكون من المتقين . . وثالثاً . . أن تكون من المحسنين لنفسك وأن تُحسن إلى غيرك . . لأنه ما استحق الحياة مَنْ عاش لنفسه فقط . . إن شهر رمضان فرصة وهو شهر . . أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . . والمسلم دائماً ينتهز فرصة الخير لأنه يعلم أن لربنا فى أيام دهرنا نفحات فمن تعرض

لهذه النفحات بالخير والتوبة والإنابة إلى اللّه وأصابته النفحة فهو السعيد الذى لا يشقى أبداً . . ورحمة الله قريبة لأن اللّه ينادى علينا ويبشرنا بقوله : ﴿ .. فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر] . .

فهل لنا أن نستجيب إلى نداء الله لنحظى بنعيم مقيم وسعادة أبدية وهناء دائم بسبب الإخلاص للّه فى العمل والإقبال عليه .

(٣)
الجود والكرم

شهر رمضان شهر الجود والكرم لأن الرسول ﷺ حثنا على إطعام الطعام ومَنْ لم يجد أى طعام يقدمه إلى غيره فليقدم شربة ماء ومن لم يجد شربة ماء فليقدم تمرة ومن لم يجد تمرة فليتبرع بنصف تمرة ومن لم يجد فعليه أن يميط الأذى عن طريق المسلمين فإن لم يجد فعليه أن يبتسم فى وجه إخوانه المسلمين لأن الإنسان يُسخِّر المال لصفاته ولا يُسخِّر صفاته لماله لأن المال الذى فى يد الإنسان هو مال اللّه والإنسان مستخلف وفى منطق العباد . . إذا أنت سكنت فى دار أحد فعليك أن تدفع له أجرة المكان . . ومن حق المالك أن يخرجك من السكن إذا أنت ماطلت فى الدفع . . وأنت تحيا فى أرض الله . . أظلّك بسمائه ووهب لك نعمة الحياة وذلّلَ لك الأرض وسخر لك ما فى الكون وطالبك بإخراج الزكاة والصدقة وهى نوع من الضريبة تقدمها لمن عجز عن أن يعول نفسه أو احتاج عن علّة . . وأخبرك الذى منحك كل هذا وطالبك بإخراج الزكاة أن ما تدفعه لمن يستحق مردود إليك . . لأن اللّه يأخذ منك قدراً زهيداً لأخيك وهو يفتديك بهذا المبلغ من مشاكل لا تُحصى ولا تُعد ويربط بينك وبين مَنْ أخذ برباط وثيق هو رباط التكافل الاجتماعى والرحمة . . لأن الراحمين يرحمهم الرحمن . .

أما إذا بخلت فسوف يُبخل عليك . . وإن تضن يُنزع المال من بين يديك . . ويا عجباً . . إن ما أعطيته بطيب خاطر يُحوّل إليك . . فما نقص مال من صدقة . .

لذلك عليك أن تكون كريماً فى شهر الكرم. . سخياً فى شهر السخاء فاللّه تبارك وتعالى يقول كما جاء فى الحديث القدسى **«يا عبد انفق أُنفق عليك»** . . ويقول الرسول ﷺ **«يد الله مَلْئَ لا يُغيضها نفقة سَحّاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما بيده وكان عرشه على الماء يخفض ويرفع»** . . ويقول ﷺ **«ما نقصت صدقة من مال»** . . إن خصلتين لا يجتمعان فى مؤمن أبداً . . البخل وسوء الخلق . . إن شهر رمضان فرصة لأن نسارع فى الإحسان وتقديم الطعام إلى المحتاجين ورعاية الأيتام والتوسعة عليهم فى شهر رمضان لأن رسول الله ﷺ يقول : **«مَنْ ضم يتيماً بين مسلمين فى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتَّة ومَنْ ادرك والديه أو أحدهما ثم لم يبرهما دخل النار»** [رواه أحمد] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : **«والذى بعثنى بالحق لا يعذب اللّه يوم القيامة مَنْ رحم اليتيم ولان له فى الكلام ورحم يُتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله»** [رواه الطبرانى] . . ويقول أيضاً لرجل أتى إليه يشكو قسوة قلبه : قال : **«اتحب ان يلين قلبك وتدرك حاجتك.. ارحم اليتيم وامسح على رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»** [رواه الطبرانى] . . ويقول عليه الصلاة والسلام **«الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم لا يَفتر وكالصائم لا يُفطر»** [رواه البخارى] . . أرأيت أيها الإنسان هذا الخير الذى ينالك إذا أنت أطعمت الطعام وكنت سخياً مع اليتامى والمساكين والأرملة وابن السبيل . . وإذا كان شهر رمضان هو شهر السخاء وشهر يُزاد رزق المؤمن فيه ففى الحديث : **«مَنْ اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وقَرَى[1] الضيف دخل الجنة»** [رواه الطبرانى] . . إن المسلم كريم سخى لكن الملاحظ أنه فى أيامنا هذه تُقام الولائم ولكن يُدعى إليها الوجهاء وأصحاب القدرة ويُحرم منها الفقراء وهم أحوج الناس إليها لذلك ورد (شر الولائم ما دُعى إليها الأغنياء ومُنع منها الفقراء) لأن الوجهاء والأعيان فى كل زمان ومكان لا يحبون مجالسة الفقراء . . لكن المؤمنين بالله واليوم الآخر يدركون أن الناس جميعاً

---

(١) قرى : أى أكرم الضيف وأغدق عليه ووسع له .

إخوة ويعلمون أن الأغنياء الذين لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم ولم يتمكن من نفوسهم هم الذين يتعالون على الفقراء وهم الذين طلبوا من رسول الله ﷺ فى يوم من الأيام أن يطرد الفقراء والعبيد من مجلسه لكن الله سبحانه أنزل : ﴿ **وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾** ﴾[**الأنعام**] . . علماً بأن موائد الرحمن التى بدأت تقام فى الشوارع ليأوى إليها الغرباء . . فقدت اليوم قيمتها الدينية لأنها أصبحت مأوى للبلطجية والمفطرين نهارا والمنحرفين وفقدت جانبها الدينى . . لكننى أنصح بمائدة أعظم وهى . . (شنطة رمضان) بحيث تحتوى هذه الشنطة على أشياء لا يقدر على شرائها الفقراء وتدفع إلى الأسر المحتاجة بعد إجراء بحث اجتماعى يتم من أول شهر رجب ويدفع بهذه الشنطة إلى الأسر التى تم بحثها ليتعايش الرجل مع أولاده قرابة الشهر ولا مانع من مراعاة الأسر بين الحين والحين بنصيب بما يتم ذبحه . . إن المجتمع الإسلامى لو قام بتنظيم ما ينفق على موائد الرحمن لأغنينا جميع الأسر الفقيرة والمحتاجة طوال العام . . وقد قمت باختيار . . مجموعة من الباحثين لعمل بحوث ميدانية على موائد الرحمن وكانت النتيجة مذهلة لأن بعض الوافدين على هذه الموائد يبحثون عن أشياء معينة فى الطعام فإن وجدوا هذا الشىء أخذوه ثم ينصرفون إلى مائدة أخرى وأخرى وبناء على ذلك يتم إعدام ثلثى الطعام ويُرمى به فى القمامة وأصبحت الأموال مبعثرة ضائعة والبعض يُسمّى هذا كرماً وسخاءً لـكن المنصفين يقولون إنه سفه وتبذير وعـدم الاحتكام إلى العقل . . فهل لنا أن نراجع أنفسنا ونقرأ بتدبر قول الله تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾** ﴾[**الإسراء**] . . ويقول: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾** ﴾ [**الفرقان**]

ويقول سبحانه : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾** ﴾[**الأعراف**] . . إننا نريد أن نُرشِّد حياتنا . . وأن نحافظ على ما عندنا لنقدمه لمن يستحق ونحافظ على الوضع الاجتماعى ونعمل

جاهدين على أن نتلاقى جميعاً على مبدأ التصحيح والترشيد ووضع الأمور فى نصابها . . وإذا كان شهر رمضان شهر كرم وسخاء لكنه يعتمد على التخطيط والتنظيم . .

إن إطعام الطعام خاصة فى شهر رمضان لأى إنسان محتاج أو غير محتاج له منزلة عظيمة وأجر كبير فاللَّه تبارك وتعالى يقول ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[الإنسان] . . وفى حديث رسول الله ﷺ « مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .. ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه.. ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[رواه البخارى] . . والمسلم لا يكون بخيلاً أبداً فعن رسول الله ﷺ : «إياكم والفحش والتفحش فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش[1] وإياكم والظلم فإنه هو الظلمات يوم القيامة .. وإياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعا من كان قبلكم فاستحلوا حرماتهم»[رواه ابن حبان] . . وفى حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال« خلق الله جنة عدن بيده ودلّى فيها ثمارها وشق فيها انهارها ثم نظر إليها فقال لها تكلّمى فقالت قد أفلح المؤمنون.. فقال : وعزتى وجلالى.. لا يجاورنى فيكى بخيل»[رواه الطبرانى] . .

إن الكرم يدل على الإيمان القوى باللَّه والثقة فيما عنده ويدل على أن الإنسان عنده شجاعة لأن هذه الشجاعة دفعته إلى الاعتماد على اللَّه وبذلك يستجلب استغفار الملائكة له أما البخيل فقد حفر قبره بيده ولهذا قال الحق سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ .. ﴿٣٧﴾ ﴾[النساء] . . ويقول سبحانه : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا

(١) الفاحش والمتفحش هو البذئ الوقح الذى يشتد قبحه بالألفاظ والفعال .

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ [آل عمران] .. إن رسول الله ﷺ يقول: **«الخير أسرع إلى البيت الذى يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير»**[رواه ابن ماجة] . . (والرسول ﷺ كان أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)[رواه البخارى] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : **«مَنْ فطّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»**[رواه الترمذى] . . فتخير من يأكل طعامك بحيث لا يأكله إلاّ التقى . . لأن الأتقياء إذا أكلوا طعام الناس صلت الملائكة على مَنْ صنع الطعام وعلى مَنْ قدمه وعلى أهل البيت جميعاً .

(٤)

ليلة القدر

هى أفضل الليالى على الإطلاق . . لأنها ليلة شريفة مباركة معظمة مفضّلة إذا صادفها الإنسان فهو السعيد دنيا وأخرى . . وهى تقع فى شهر رمضان وقد خبّأها اللّه فيه ليجتهد الناس فى العبادة طوال شهر رمضان . . ونحن نعلم بأن الحق سبحانه وتعالى لم يُطلع أحداً من البشر على تحديد ليلة القدر حتى الرسول ﷺ وإن كان قد عرفها لكنه أُنسيها والحكمة فى ذلك أن يجتهد الناس فى طلبها ويجدّوا فى العبادة طمعاً فى إدراكها وقد أخفاها اللّه تبارك وتعالى ليكثر الناس من الدعاء والتضرع فى أوقات مختلفة ولذلك يقول عبدالله بن مسعود : **«مَنْ قام السنة كلها أصاب ليلة القدر»**[رواه مسلم] . وكما أن الحق سبحانه وتعالى خبّأ ليلة القدر فى شهر رمضان فقد خبّأ الصلاة الوسطى فى الصلوات كلها ليحافظ النساء على جميع الصلوات . . واسم اللّه الأعظم خبّأه فى الأسماء الحسنى كلها حتى لا يُتعبّد به وتترك بقية الأسماء وقد قال اللـه تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ... ﴿١٨٠﴾ [الأعراف]** . . ولذلك (روى عبدالله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ جاءوا إليه فقالوا رأينا ليلة القدر فى المنام فى السبع الآواخر من رمضان فقال ﷺ : **«أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها**

فليتحرها فى السبع الأواخر[رواه البخارى ومسلم] . . كذلك وردت بعض الأحاديث تدل على أنها فى العشر الآواخر من رمضان من ذلك ما روى أن رسول الله ﷺ سئل عن ليلة القدر فقال ﷺ : «**فى رمضان فالتمسوها فى العشر الأواخر فإنها فى وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو فى آخر ليلة**»[رواه أحمد] . لكن الأحاديث تُرغّب فى القيام فى العشر الآواخر من شهر رمضان لأن رسول الله ﷺ كان إذا دخل عليه العشر الآواخر من رمضان كان يعتكف وكان يُحيى الليل بالعبادة ويوقظ أهله . . ويؤكد أنها فى رمضان كله كما روى أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال : إن الذى تطلب أمامك . . فاعتكف العشر الأواسط فاعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال : الذى تطلب أمامك . . ثم قام النبى ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان فقال : «**مَنْ اعتكف معى فليرجع فإنى رأيت ليلة القدر وإنى أُنسيتها وإنها فى العشر الآواخر فى وتر وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء**» . . وكان سقف المسجد جريداً من النخل فجاءت فزعة فمطرنا فصلى بنا النبى ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه فى صبح إحدى وعشرين [أخرجه الشيخان] . . قال الشافعى وهذا الحديث أصح الروايات . . وعلى هذا الأساس يكون ما قاله رسول الله ﷺ إنى رأيت ليلة القدر فأُنسيتها وهى فى العشر الآواخر من لياليها . . لذلك تكون هذه الليلة فى شهر رمضان فى ليالى الوتر . .

لقد رجّح كثير من العلماء ليلة القدر بأنها فى العشر الآواخر من شهر رمضان لأن النبى ﷺ كان يجتهد فى العشر الآواخر من شهر رمضان ما لا يجتهد فى غيرها . . فكان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشدّ مئزره[1] . . وهى ليلة يُرجى إجابة الدعاء فيها وأفضل ليالى السنة كلها حتى ليلة الجمعة . . وقال كثير من العلماء إنها فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان . . واستدل القائلون على ذلك بأن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر :«**ليلة سبع وعشرين**»[رواه أبو داود مرفوعاً] . . ويرجح ذلك قول ابن عباس «سورة القدر ثلاثون

(١) نيل الأوتار – جـ٤ – ص ٢٧٢ .

كلمة . . السابعة والعشرون فيها (هى)» . . لكن الله تعالى أخفاها ليجدَّ الناس فى طلبها ويحرصوا على العبادة طمعاً فى إدراكها . . فنجتهد فى الطاعة والعبادة مع إخلاص النية للّه وصدق العزيمة فى أداء الواجبات . . ولا نتكاسل فإن الله لا يمل حتى نمل نحن وسلعة اللّه غالية وثمنها الاجتهاد فى الطاعة . . ألا إن سلعة الله غالية . . ألا إن سلعة الله الجنة . . فليشمر كل إنسان عن ساعده ويسارع فى طاعة ربه الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وليلة القدر كانت فى الأمم السابقة كما هى فى أمتنا وهى باقية إلى يوم القيامة وتقع فى ليلة وتر من ليالى شهر رمضان . . وقد أجمع العلماء على ذلك إلاّ أن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه وتابعه بعض علماء أهل الكوفة هم الذين قالوا : (بأن ليلة القدر فى جميع السنة وتُرتجى فى جميع الشهور على السواء) .

وليلة القدر نفحة من اللّه تبارك وتعالى للإنسانية وقد قال بعض العلماء (بأن الله اختص بها أمة محمد ﷺ تكريماً له ومنحة لأمته ومنّة من الله سبحانه ، ذلك لأن رسول الله ﷺ أُرىَ أعمار الناس قبله فكانت طويلة السنين أما أعمار أمته فهى قصيرة بالنسبة لأعمار الأمم السابقة وأن الأمة المحمدية نظراً لقصر الأعمال لن يبلغوا من العمل كالذى بلغ غيرهم فى طول العمر . . فأعطاه اللّه ليلَة القدر لتكون خير من ألف شهر)[1] . . وبهذا المعنى تكون ليلة القدر من اختصاص هذه الأمة .

فليلة القدر وهى ليلة مباركة خير من ألف شهر . . صيامها وقيامها وهى أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ولهذا قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»[أخرجه الشيخان] . . والذين قالوا بأن ليلة القدر من اختصاص هذه الأمة عللوا ذلك بأن القرآن نزل فى هذه الليلة جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا . . ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ ولذلك عَظّم الله قدرها وأعْلاَ شأنها وجعل ثواب العمل فيها أعظم أجراً من ألف سنة لأن الملائكة تتنزل من السماء

(١) بمثل هذا تحدث الطيالسى ونسبه إلى الزهرى الذى نسبه إلى الإمام مالك رضى الله عنهم جميعاً .

ومع نزولهم تتنزل البركة والرحمة ومع الملائكة جبريل عليه السلام فيحضرون مجالس القرآن ويحيطون بمجالس العلم ويضعون أجنحتهم لطلاب العلم تعظيماً لهم لأن العلم نور وطالب العلم يتخوّض فى رحمات الله . . وليلة القدر يُعمّ المجتمع الإسلامى فيها سلام. . اللهم إلاّ ما يصنعه شياطين الإنس وهؤلاء يُضاعف لهم العذاب. . لأنه فى الليالى المباركة التى يضاعف فيها الثواب يضاعف العذاب فيها كذلك . . لهذا وجب علينا كمسلمين أن نعمل على إزالة الخصومات من بيننا. . ومَنْ يريد أن ينال ثواب اللّه فى هذه الليلة فليحب للناس ما يحب لنفسه. . وأن يعمل على صلة الرحم . . وأن يعطف على اليتامى والمساكين لأن البيوت التى فيها يتيم يُكْرم . . أو بيت أهله يعطفون على اليتامى. . هذه البيوت تُضىء لأهل السماء كما تُضيءُ الشمس لأهل الأرض. . وإن الخير والبركة وهما ينزلان مع الملائكة فى هذه الليلة. . وكل بيوت المسلمين ينالها من الخير والبركة. . لكن هناك بيوت لبعض المسلمين لا يدخلها خير ولا بركة وهذه البيوت هى:

١ - بيت قام كبيره بتوزيع أمواله على الذكور وترك الإناث.

٢ - بيت فيه ديوس وهو الذى يقبل الخنى على أهل بيته.

٣ - بيت فيه خمر وتماثيل وصور عارية وأفلام جنس ومجلات عرى.

٤ - بيت تُدار فيه مؤامرات ضد الوطن أو ضد المسلمين أو فيه مَنْ يستهين بعلماء المسلمين ويسخر منهم ويتطاول على القرآن وأحكامه والسنَّة وهَدْيها وقلوب مَنْ فيه كالبيت الخرب.

٥ - بيت فيه يتيم يُهان أو خادم يُعذب أو أجير يؤكل ماله.

٦ - بيت يتصف أهله بالبخل والشح والكذب والخيانة وليس عند واحد من أهل البيت مروءة ولا شجاعة.

٧ - بيت يتصف أهله بالجهل لا يتعلمون ولا يتفقهون ولا يعرفون الحلال من الحرام.

٨ - بيت يتم التخطيط فيه لأخذ الثأر أو سرقة أرض الجار أو سرقة المال العام كالاقتراض من البنوك والهرب من البلاد أو سرقة أى شيء من المال العام حتى

ولو كان أرض الطريق والاعتداء على الأرض حتى ولو كان طرح البحر لأن الأمانة لاتتجزأ والقيم الإسلامية كلها وحدة واحدة.

لهذا نقول لكل إنسان ظلم نفسه بأى شى انهض وتدارك الأمر واستغفر ربك فإن ربك غفور رحيم إن تبت بصدق ويقين فباب اللّه مفتوح ورحمة اللّه واسعة . .

وأقول للذين يفعلون ذلك ولم يتوبوا . . وإذا دخل عليهم شهر رمضان أظهروا الضعف والمسكنة . . وأمسكوا بالسِّبح وأقاموا موائد الإفطار ولبسوا الملابس البيضاء . . وأكثروا الجلوس فى المساجد لكن فى أعماقهم وفى داخلهم يقولون: إحنا بنفعل هذا علشان نحظى بليلة القدر . . وبعدها لا يهمنا أى شىء . . ويقولون متى ينتهى رمضان لنقول:

رمضان ولَّى هاتها يا ساقى ... مشتاقة تسعى إلى مشتاق

وعليهم وفيهم ينطبق قول القائل:

صلَّى وصـــام لأمرٍ كان يطلبه ... لمَّا انتهى الأمر لا صلَّى ولا صام

مثل هذا الشخص نقيم عليه مأتماً وعويلاً ونقول له . . على مَنْ تضحك؟ إنك تضحك على نفسك أولاً وأخيراً وأنت الخاسر ونذكرك بقول الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة]. إن ليلة القدر خير من ألف شهر لأن فيها يُفرق كل أمرٍ حكيم وتُحدَّد آجال العباد وأرزاقهم . . واللّه حكيم خبير عدل فى تصرفاته . . والناس لا يعرفون الغيب . . فما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت . . لذلك قال القائل:

فكم من سليم مات من غير علَّة ... وكم من سقيم عاش ردحاً من الدهر

وكم من فتى أمسى ويصبح لاهياً ... وقد نسجت أكفانه ليلة القدر

وكم من عروس زيّنوها لعرسها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

فإلى الذين يرغبون أن ينالوا عز الدنيا وفلاح الآخرة أن يعلموا أن العمل بالنيَّات لكن لابد من الترجمة الحقيقية لصلاح هذه النيِّة فى الواقع لأن اللّه قال فمن يعمل . . فالعمل أساس والنيِّة هى الركيزة وموطن القبول . . إن مدرسة رمضان تعلمنا الإخلاص فى النية والصدق فى العمل وعلى اللّه القبول .

(٥)

كيف نعرف ليلة القدر ؟

يعيش الإنسان خلال شهر رمضان حياة متجددة تتغير فيها خلاياه . . ويواجه كل يوم جديداً فى كل شىء . . ويبقى الصيام مدرسة علومها تُضىء قلوبنا ، وتُبدِّد الظلام من حولنا . . ونحن نرفع أكف الضراعة إلى اللّه نُجدّد العهد معه ونتناقش فى كل خير وجّهنا إليه رسولنا حتى يكون للصيام ثمرة فى حياتنا . . نتيجتها . . تربية الإرادة . . وتَعلّم الصبر . . وتماسك المجتمع من خلال الصحة النفسية التى اكتسبها أبناؤه من الصيام . .

إن مدرسة الصيام مدرسة إيمانية . . وشهر رمضان دورة تدريبية تعليمية تمر على كل فرد وفق مستواه الإيمانى والأخلاقى والاجتماعى . . والمسلم دائماً يتدرب فى هذه الدورة على كيفية مواجهة المستجدات الحياتية ليتعامل معها وفق المستوى الذى وصل إليه من التقوى . . لهذا كان الصيام فريضة سنوية بدورة شهرية وهو لا عدْلَ له فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يأمره بعمل ينفعه اللّه تعالى به . . فقال ﷺ : **« عليك بالصوم فإنه لا عِدْل له »** فكرر السائل الطلب فكانت إجابة الرسول ﷺ فى المرة الثانية **« عليك بالصوم فإنه لا مثيل له »** كذلك فى المرة الثالثة قال له : **« عليك بالصوم فإنه لا مثيل له »** . . ومن هذه الإجابة النبوية يتبيّن أن الصيام لا شىء يَعدله . . ولا مثيل له فى تهيئة النفوس للتزكية ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس] واكتساب القلوب للتقوى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل] وبهذه التهيئة يكون الصيام قد أثمر ثمرة طيبة فى نفس الإنسان الذى يحرص على

التزوّد من الصلاح وأكسب نفسه مهارة الاستقامة على طريق الله.. وأعاد التجديد والتحديث لكل أنواع تجارته مع الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصف].. إن التقرب بالنوافل فى شهر رمضان يفتح للإنسان مغالق النفس ويحقق له الدخول فى زمرة الذين آمنوا وكانوا يتقون أصحاب البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لأن الصيام درّبهم على ضبط النفس وجعلهم يعيشون فى جو الاعتدال لذلك إذا رفع أحدهم يديه إلى السماء وقال يارب.. قال الله.. لبيك يا عبدى لأنه القائل فى قرآنه: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[البقرة].. وقال فى الحديث القدسى: **«وما زال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها وكنت له نوراً فى الظلمات»**.. على هذه الأسس من الإخلاص لله والطاعات.. نستعد لاستقبال شهر رمضان مع طهارة القلب وحب الخير للناس لأنه كما يقول الرسول ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.. وليلة القدر تُعدُّ أعظم ليلة فى السنة كلها ومَنْ صادفها قائماً فى محراب العبادة.. أو قارئاً للقرآن الكريم أو فى حالة استغراق فى دعائه الخالص لله رب العالمين.. أو هو يعمل على ماكينات العمل ينتج ويُجوِّد فى عمله ويبتكر فى أسلوب الإنتاج.. أو يسعى فى الصلح بين الناس.. أو يبحث عن يتيم يُطعمه ويكسُوه ويأويه إلى غير ذلك من أعمال الخير.. فإن الخلق عيال الله.. وأحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله فإن الله يهيئ له الأسباب التى تجعله يتعرض لنفحات ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.. والتى يُفرق فيها كل أمر عظيم.. إن ليلة القدر موسم للتجار.. وكل مسلم تاجر مع الله يبيع له ويشترى.. لذلك فإن المسلم الصافى التقى النقى يتعرف على هذه الليلة بأنها (سلام هى) صافية سماؤها.. ساكنة ساجية... لا حَرّ فيها ولا برد.. ليلة سمحة طلقة لا تسمع فيه نهيق الحمير ولا نُباح كلاب..

لأن الشياطين مُصفَّدة . . والملائكة ملأت الأرض فهى أكثر من عدد الحصى . . وصبيحتها تخرج الشمس مستوية ليس لها شعاع فهى ضعيفة حمراء وقد جاء فى كتاب نيل الأوتار أنه جاء عن رسول الله ﷺ « **إن أمارة ليلة القدر أنها ليلة صافية بلجة .. كأن فيها قمرا ساطعاً .. ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حَرّ ولا يحل لكوكب أن يرمى فيها حتى تصبح وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية .. ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ** » . . وورد عن ابن عباس مرفوعاً . . « **ليلة القدر طلقة لا حَرّة ولا باردة تُصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة .. وللإمام أحمد لا حَرّ فيها ولا برد وأنها ساكنة صاحية وقمرها ساطع** »[1] . . هذه أمارات ليلة القدر لكن المؤمن عنده شفافية روح وإرهاف حس . . وهو يرى بنور اللّه . . فليلة القدر أمام عينيه يستعد لها كل يوم ويحرص على أن تُصادفه هذه الليلة ليحيا سعيداً ويموت شهيداً ويلقى ربه على خير . . إن شاء الله . .

(٦)
الدعاء فيها

أفضل الأيام عند الله يوم عرفه . . لذلك أفضل الدعاء فى يوم عرفة وأفضل الليالى وأعظمها بركة . . ليلة القدر لذلك على المسلم أن يتعرض لنيل الخير وعطاء اللّه وأفضل الدعاء فى هذه الليلة وفى يوم عرفة أن تدعو بما عَلّمه اللّه لنبيِّه الكريم فى القرآن العظيم وبما دعا به رسول الله ﷺ فإن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول فيها : قال : « **قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى** » [رواه البخارى ومسلم] . . وأفضل الدعاء ما كنت أنت فى حاجة إليه وكذلك تدعو للمسلمين بالخير والسعادة والهناء . . وأكثر من حَمْد اللّه وشكره . . وهلل وكبِّر وصلِّ على النبى محمد ﷺ واجعل ذلك فى أول الدعاء وآخره لما روى عن رسول الله ﷺ « **الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يُصلَّى علىّ فلا تجعلونى كغمر الركب .. صَلّوا علىّ أول الدعاء وآخره وأوسطه** » . .

(١) نيل الأوتار – جـ٤ – ص ٢٧٥ .

وحاول يا أخى أن تأخذ سلاحك معك ضد الشيطان. . وسلاحك الوضوء فهو سلاح المؤمن فادع الله وأنت طاهر القلب طاهر الجسد طاهر الثوب طاهر المكان. .
وليكن عندك حسن ظن فى اللّه بأنه سبحانه سيجيب دعاءك ويحقق لك ما ترجوه وقدِّم بين يدى ذلك التوبة والاستغفار وأعلم بأنه ليس شىء أكرم على اللّه من الدعاء يقول رسول الله ﷺ **«مَنْ فُتح له باب الدعاء فُتِحت له أبواب الرحمة وما سئل اللّه تعالى شيئاً أحبَّ إليه من أن يسأله العافية وأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القضاء إلاّ الدعاء فعليكم بالدعاء»**[رواه الترمذى]. . إن الدعاء هو العبادة. . بل مُخُّها ولُبُّها وهو الذى يصل الإنسان بربه ولهذا سمع النبى ﷺ رجلاً يدعو فى صلاته فلم يُصَلِّ عليه. . فقال النبى ﷺ **«عَجِلَ هذا ثم دعاه وقال له أو لغيره إذا صلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد اللّه والثناء عليه ثم ليُصلِّ على النبى ﷺ ثم ليدعو بما شاء»**[رواه الترمذى]. . ادعُ لنفسك ولأولادك وللناس كلهم بالخير والصحة وسعة الرزق والرفعة فى الدنيا والآخرة. . والشفاء وأن يحفظ عليك سمعك وبصرك فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل. . توجّه إلى اللّه بقلب سليم وادعوه بإخلاص أن يرفع الكرب عن المكروبين وأن يكشف الغم عن المسلمين. . وأن يُوحِّد قيادات المجتمع الإسلامى لعمل ينهض بالأمة الإسلامية ويُبوئها مكانتها الاجتماعية وأن يُمكِّن لدينه فى الأرض لأن شهر رمضان فرصة وليلة القدر أعظم فرصة. . فهى ليلة يستجيب اللّه فيها الدعاء ويتجلى على عباده بالرحمة والمغفرة وتحقيق الآمال.

ولكن حذارِ

أخى المسلم الدعاء مخ العبادة فلا يليق بك أبداً أن تدعو على نفسك بالإثم ولا تدعو على غيرك فالرسول ﷺ يقول: **« لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لألاّ توافق من الله ساعة نيل (أى ساعة إجابة فيها عطاء) فيستجيب لكم»**[رواه أبو داود]. . لهذا مطلوب منك أن تكون على حذر فى حالة الدعاء حتى لا يفلت لسانك بكلمة تكون فيها خسارة عليك. .
فالرسول ﷺ يقول **«ما من رجل يدعو الله إلا استجاب له فإمّا أن يُعجل له فى الدنيا**

وإمّا أن يدخر له فى الآخرة وإمّا أن يُكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل»[رواه الحاكم] . . وادعُ اللّه بتذلل وخشوع ولا ترفع صوتك لقول الله تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [**الأعراف**] . . إن خفض الصوت يجعل الخشوع فى القلب والنفس أكثر صفاءً وإخلاصاً والجوارح فيها سكون وهدوء . . لذلك ورد عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : كنا فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبى ﷺ « **أربعوا على أنفسكم (أى أرفقوا بها) فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[رواه البخارى] . .

على هذه الأسس يكون الدعاء بلا شوشرة ولا صياح ولا هياج ولا انفعال ولاتوتر للأعصاب . . لأن مَنْ يعمل هذه الأشياء دعاؤه غير مقبول لأنه فقد مقومات القبول وهى التذلل وخفض الصوت والخشوع ومعرفة ما يدعو به الإنسان . . فهل نتنبّه ونتناصح ونتواصى بالخير ليحقق اللّه لنا الخير ويتقبل منا الدعاء .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

(٧)

صلاة القيام

يتميز شهر رمضان عن غيره بأمور واضحة ومظاهر دينية كريمة من هذه المظاهر العظيمة . . قيام رمضان . . أو صلاة التراويح . . أو صلاة القيام . . فما يكاد الناس يتناولون طعامهم وشرابهم بعد آذان المغرب إلاّ وتراهم مسرعين إلى المساجد التى تمتلئ بهم ويفترشون الأرض من حول المساجد . . وهو مظهر عظيم يوحى بأن شهر رمضان بصيامه قد أثّر فى نفوسهم لذلك أقبل الناس على صلاة العشاء جماعة فى المساجد وبعدها يُصلّون القيام . . أو التراويح . . ومن المؤكد أن الصلاة مصدر ينبوع للسعادة النفسية . . والابتهاج بالغذاء الروحى حيث يشعر الإنسان بأنه فى روضة يانعة الثمار يناجى ربّه ثم يُسبِّحه ويهلل ويكبِّر ثم يسجد فى محراب الطاعة يدعو ربّه خوفاً وطمعاً من هنا يشعر برضاء الله عليه ويتجلّى ذلك فيما قاله الرسول ﷺ : « **مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه** »[رواه البخارى ومسلم] . . والمراد بقيام رمضان إحياء لياليه بالصلاة . .

التراويح

صلاة التراويح التى تُصلّى فى رمضان . . جمع ترويحه . . وهى فى الأصل الجلسة بعد أربع ركعات للاستراحة . . وسُمِّيت تراويح لما يعقبها من الترويحة عن النفس .

كيفية صلاتها

صلاة التراويح خاصة بشهر رمضان . . ولا يجوز صلاتها إلاّ بعد ثبوت هلال شهر رمضان . . ويتوقف الإنسان عن صلاتها إذا ثبت هلال شهر شوال . . وتُصلّى

هذه الصلاة ركعتين ركعتين . . كل ركعتين بسلام . . ويأتى بدعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام فى الركعة الأولى ثم يقرأ التشهد بعد السجود فى الركعة الثانية، ويُصلّى على النبى ﷺ ويدعو بعد التشهد فى آخر كل ركعتين ثم يُسلِّم . . ثم يأتى بركعتين كذلك ثم يجلس للترويحة . . فلو أن الإنسان صلّى أربع ركعات بتسليمة واحدة وقعد على رأس كل ركعتين وقرأ التشهد إلى النصف ولم يُسلِّم صَحَّتْ صلاته مع الكراهية . .

قال الشافعى . . لا تصح هذه الصلاة . . لأن السلام من كل ركعتين فرض . . فلو صلّى أربعاً ولم يجلس للتشهد فى الوسط فلا تصح هذه الصلاة لأن القعود على رأس كل ركعتين فرض فى التطوع . .

وأبو حنيفة يقول . . لو أن الإنسان صلّى أربعاً فى التراويح تصح صلاته وتنوب عن ركعتين فقط . . فكأن الأربع ركعات تنوب عن ركعتين فقط .

والمالكية والحنبلية قالوا . . تصح الأربع ركعات لكن مع الكراهة . . ويستحب الانتظار بعد كل أربع ركعات حتى يطمئن الإنسان ويسترد أنفاسه ويستريح . . يقول زيد بن وهب (كان عمر بن الخطاب يُروِّحنا فى رمضان – يعنى بين الترويحتين – قدر ما يذهب الرجل من المسجد إلى سَلْع[1])[أخرجه البيهقى] . . على هذا الأساس صار الصحابة . .

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها (كان رسول الله ﷺ يُصلّى أربع ركعات فى الليل ثم يتروَّح فأطال حتى رحمته . . فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : **« أفلا أكون عبداً شكوراً »** [رواه البيهقى] .

وقتها

صلاة التراويح تُصلّى بعد صلاة العشاء إلى آخر الليل قبل الوتر . . والأفضل أن تُصلّى بعد سُنَّة العشاء وقبل الوتر . . فلو صلاّها قبل العشاء لا تجوز . . لأنها نافلة

(١) سَلْع : جبل فى شمال المدينة .

سُنّت بعد العشاء. . وهذا هو المنقول عن رسول الله ﷺ ومواظبة الصحابة على فعله. . والمستحب تأثير صلاة التراويح إلى أن يمضى ثلث الليل الأول فإن نام الإنسان وأذن الفجر مثلا لا تصلِّيها لأن وقتها فات.

حكم صلاتها

صلاة التراويح سُنَّة مؤكدة للرجال والنساء. . ويُستحب اصطحاب الأطفال لصلاتها والتعوّد عليها لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يُرغِّب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة.. فيقول مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»[رواه أبو داود والترمذى]. وروى عن جابر قال: جاء أُبَىّ بن كعب إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله إنه كان مِنِّى الليلة شىء. . يعنى فى رمضان. . قال: «وما ذاك يا أُبَىّ» قال: نسوة فى دارى. . قُلن نقرأ القرآن فنُصلّى بصلاتك. . فَصليّت بهن ثمانى ركعات وأوترت . . فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً . . والسكوت علامة الرضا. . وهذا إقرار من الرسول ﷺ بهذا الفعل)[أخرجه الطبرانى]. . فهذا دليل على أن صلاة التراويح يُصلِّيها الرجال جماعة كما تُصلِّيها النساء وقد ورد أن السيدة عائشة رضى الله عنها (كانت تؤم النساء فى رمضان تطوعاً وتقوم فى وسط الصف)[أخرجه أبو يوسف فى كتاب الآثار]. . وكذلك ما روى عن حُجيرة بنت حصين (قالت: أمَّتنا أم سَلَمة فى صلاة العصر فقامت بيننا)[أخرجه الدارقطنى والبيهقى]. .

وفى هذا دليل على جواز إمامة المرأة للنساء.

مكان صلاة التراويح

الأفضل لصلاة التاويح أن تُصلّى فى المسجد جماعة لأن النبى ﷺ وأصحابه صَلّوها به جماعة وصارت بهذا من الشعائر الظاهرة كصلاة العيد. . ويجوز أن يُصليِّها الإنسان منفرداً فى بيته لكن مَنْ فعل ذلك فقد فاته خير كثير وتصح صلاته

لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعترف بأن صلاتها فى المسجد جماعة مفضولة . . والأصل فيها . . قول عائشة رضى الله عنها (خرج رسول الله ﷺ ، ليلة من جوف الليل فصلّى فى المسجد فثاب رجال فصلّوا معه بصلاته فلما أصبح الناس تحدثوا أن النبى ﷺ قد خرج فصلى فى المسجد من جوف الليل . . فاجتمع الليلة المقبلة أكثر منهم . . قالت فخرج النبى ﷺ فصلّى وصلُّوا معه بصلاته ثم أصبح فتحدثوا بذلك . . فاجتمع الليلة الثالثة ناس كثير حتى كثر أهل المسجد فخرج النبى ﷺ من جوف الليل فصلّى فصلُّوا معه . . فلما كانت الليلة الرابعة اجتمع الناس حتى كاد المسجد يعجز عن أهله . . فجلس النبى ﷺ فلم يخرج حتى سمعت ناساً منهم يقولون . . الصلاة . . الصلاة . . فلم يخرج إليهم النبى ﷺ فلما صلى صلاة الفجر سلَّم ثم قام فى الناس فتشهد ثم قال« **أما بعد .. فإنه لم يَخفَ علىَّ شأنكم الليلة ولكنى خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها**»[رواه البخارى ومسلم] . .

وعن عائشة رضى الله عنها كان الناس يُصلّون فى مسجد رسول الله ﷺ فى رمضان بالليل أوزاعاً يكون مع الرجل شىء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو الستة أو أقل من ذلك أو أكثر فيصلّون بصلاته فأمرنى رسول الله ﷺ ليلة من ذلك أن أنصب له حصيراً على باب حجرتى ففعلت فخرج إليه رسول الله ﷺ بعد أن صلّى العشاء الآخرة فاجتمع إليه مَنْ فى المسجد فصلّى بهم رسول اللّه ﷺ ليلاً طويلاً ثم انصرف فدخل وترك الحصير على حاله . . فلما أصبح الناس تحدثوا بصلاة رسول الله ﷺ بمن كان معه فى المسجد تلك الليلة وأمسى المسجد راجاً بالناس فصلّى بهم رسول الله ﷺ العشاء الآخرة ثم دخل بيته وثبت الناس . . فقال لى رسول الله ﷺ« **ما شأن الناس يا عائشة؟**» فقلت له : سمع الناس بصلاتك البارح بمن كان فى المسجد فحشدوا لذلك لتصلّى بهم . . فقال : «**اطوى عنّا حصيرك يا عائشة**» ففعلت . . وبات رسول الله ﷺ غير غافل وثبت للناس مكانهم حتى خرج إلى الصبح . . فقال :« **أيها الناس .. أماَ واللّه ما بتُّ والحمد للّه ليلتى هذه غافلاً وما خَفِىَ علىَّ مكانكم .. ولكنى تخوّفت أن يفترض عليكم فاكفلوا من الأعمال ما**

تطيقون فإن الله لا يَملّ حتى تملّوا»[أخرجه أحمد وأبو داود] . . وهذه الأحاديث تدل على أن عدم خروج رسول الله ﷺ . . إنما كان لخشية افتراض قيام شهر رمضان فَيَملّ الناس عن أدائها ويتكاسلوا . . وفى هذا دليل على شفقة رسول الله ﷺ على أمته ورحمته بهم وخوفه عليهم من أن يُقصِّروا فيما يُفرض عليهم ولا يُستدل بعدم خروجه دلالة على المنع من إقامة التراويح فى المساجد جماعة . . لأن الرسول أقر أصحابه على ذلك . . وكان عبدالله بن مسعود يُصلّى فى شهر رمضان التراويح جماعة فى المسجد ثم ينصرف بليل .

لهذا يتطلب منا أن نحافظ على صلاة التراويح فى المساجد لتكون مظهراً من مظاهر الابتهاج وتجميع المسلمين فى بيوت الله تعالى .

حضور النساء إلى المساجد

يجوز للنساء حضور الجماعة بالمساجد . . إذا خرجن مُتستِّرات غير متبرجات ولامُتطيِّبات ولا مُتحليَّات بما يُثير الفتنة وعدم حضورهن أفضل . . لقول ابن عمر رضى الله عنهما قال إن النبى ﷺ قال:« **لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن**»[أخرجه أبو داود والبيهقى] . . فجواز خروج النساء إلى المساجد مشروط بأمن الفتنة وإلاّ مُنِعْنَ الخروج لقول عائشة رضى الله عنها :(لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما مُنِعَتَ نساء بنى إسرائيل)[أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود] . . هذا كلام السيدة عائشة رضى الله عنها ولو أنها رأت ما أحدث نساء هذا الزمان من أنواع البدع والمنكرات لكانت أشد إنكاراً . . ولكن إذا كانت المرأة مُحتشمة غير مُتطيِّبة ولا مُتزينة بثياب فاخرة ملفتة للنظر ولا تزاحم النساء الرجال فى الطرقات . . كذلك لا تكون مستعملة للبخور لقول رسول الله ﷺ :« **ايما إمرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن عشاء الآخرة**»[أخرجه مسلم وأحمد والبيهقى] . .

إننا نهيب بكل امرأة مسلمة أن تجعل شهر رمضان فرصة وتُحسِّن صلتها بالله وتعلم أن أفضل طيب للنساء (الماء) لهذا مَنْ تُريد أن تحضر إلى المسجد فلتكن مُحتشمة بما هو معروف فى المجتمع مستلهمة هدى الله وسُنّة نبيِّه ﷺ وعمل

الصحابة خاصة ما كانت تتحلّى به نساء الصدر الأول . . إننا لا نقيد حرية المرأة ولكننا نعمل على صيانتها من عبث العابثين وحفظها من ألسنة المتطاولين ونظرات المستهترين وفى ذلك خير لها وحماية مما يحقق لها الأمن النفسى والاستقرار الاجتماعى والهناء الأسرى وقبل ذلك وبعده رضاء الله رب العالمين.

عدد ركعات التراويح

صلاح التراويح وعدد ركعاتها ورد فيها أقوال ثلاثة :

١ - المسنون فى صلاة التراويح من فعل رسول الله ﷺ . . ثمان ركعات . . والوتر ثلاثة . . وذلك لما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت (ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة . . يُصلّى أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن . . ثم يُصلى أربعاً فلا تسأل عن حُسنهن وطولهن . . ثم يُصلّى ثلاثاً) [أخرجه الجماعة] . .

ويقول بعض العلماء . . عدد ركعات صلاة التراويح عشر غير الوتر واستدل على ذلك بقول السائب بن يزيد (كُنّا نُصلّى فى زمن عمر بن الخطاب فى رمضان ثلاث عشرة ركعة . . ولكن والله ما كُنّا نخرج إلاّ فى وجَاء الصبح كان القارئ يقرأ فى كل ركعة بخمسين آية أو ستين آية . . قال وما سمعت فى ذلك حديثاً هو أثبت عندى ولا أحرى من حديث السائب . . وذلك أن رسول الله ﷺ كانت له من الليل ثلاث عشرة ركعة) [أخرجه محمد بن نصر ومحمد بن إسحاق] .

على هذا يكون ما فُعِلَ فى زمن رسول الله ﷺ هو . . ثمانى ركعات أو عشر ركعات .

٢ - بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وفى عهد سيدنا أبو بكر بدأ الناس يتخفّفُون من القراءة قليلاً . . وفى عهد عمر جمعهم على عشرين ركعة فقد روى عبدالرحمن بن عبدالقارى قال . . خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع مُتفرقون يُصلِّى الرجل لنفسه ويُصلّى

الرجل فيصلّى بصلاته الرهط . . فقال عمر . . إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكل أمثل . . ثم عزم فجمعهم على أُبَىّ بن كعب . . ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يُصلّون بصلاة قارئهم . . فقال عمر . . نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من الذين يقومون . . يُريد آخر الليل لأن الناس كانوا يقومون أوّله)[أخرجه مالك والبخارى] . . وقد ذُكر فى (الاختيار) أن أبا يوسف سأل أبا حنيفة عن التراويح وما فعله عمر فقال . . التراويح سنَّة مؤكدة ولم يتخرّصْهُ عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيه مُبتدعاً ولم يأمر به إلاّ عن أصلٍ لديه وعهد من رسول الله ﷺ »[1].

وعمر جمع الناس على قارئ واحد كما فعل رسول الله ﷺ حيث صلَّى التراويح جماعة ثم ترك ذلك خشية الافتراض . . وقول عمر أن الصلاة فى آخر الليل أفضل من أوّله . . وقوله (نعمت البدعة) يعنى الأمر البديع الجميل . . فالمسْنون عن رسول الله ﷺ ثمانى ركعات وَوجَّه عمر إلا آدائها عشرين ركعة . . والزائد على فعل رسول الله ﷺ مُستحب . . وعمر رضى الله عنه أمر أُبَىّ بن كعب أن يُصلّى بالناس إحدى عشرة ركعة فى أول الأمر فكان يقرأ بالمئتين حتى كان الصحابة يعتمدون على العصى من طول القيام . . وأمر تميما الدارى أن يخفف فى القراءة ويُصلّى بعشرين ركعة فكثُر الناس وراء تميم الدارى فكان يُصلّى عشرين ركعة ثم يوتر . . قال الترمذى أكثر أهل العلم على ما روى عن عمر وعلى وغيرهما من صحابة رسول الله ﷺ أنها عشرون ركعة . . يقول الشافعى هكذا أدركت الناس بمكة يُصلّون عشرين ركعة . . وبهذا يقول الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد وأبو داود والظاهرى . . وبهذا تكون صلاة التراويح عشرين ركعة . .

٣ - الإمام مالك . . يقول بأن عددها ست وثلاثون ركعة غير الوتر لما روى عن نافع مولى بن عمر قال : (لم أدرك الناس إلاّ وهم يُصلّون تسعاً وثلاثين ركعة ويوترون منها بثلاث) . . وذكروا فى علّة ذلك . . أن أهل المدينة يُصلّونها ستاً وثلاثين . . لأن

(١) كتاب البحر الرائق - جـ٢ - ص ٦٦ .

أهل مكة كانوا يطوفون بالكعبة بين كل ترويحتين . . ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة . . فأراد أهل المدينة مساواة أهل مكة فى الأجر فجعلوا مكان كل طواف أربع ركعات فزادوا على العشرين ست عشرة ركعة .

يقول الإمام الزرقانى (ذكر ابن حبيب أن التراويح كانت أولاً إحدى عشرة ركعة . . وكانوا يُطيلون القراءة فَثَقُل عليهم فخففوا القراءة وزادوا فى عدد الركعات فكانوا يُصلّون عشرين ركعة غير الشفع والوتر بقراءة متوسطة ثم خفّفوا القراءة وجعلوا الركعات ستاً وثلاثين غير الشفع والوتر . . ومضى الأمر على ذلك)[1] .

هذا مجمل ما قيل فى عدد ركعات التراويح . . ولا شك أن العمل بما كان فى زمن النبى ﷺ وأبى بكر وأول خلافة عمر أولى وأفضل فتكون . . إمّا ثمانى ركعات أو عشراً غير الوتر على أن تكون القراءة طويلة فيقرأ فى ذلك بجزء من القرآن والاطمئنان فى باقى الأركان مع تمام الخشوع والخضوع للّه رب العالمين لأنه من الأفضل أن يُقرأ القرآن كله فى صلاة التراويح فى شهر رمضان . . ويلى ذلك فى الفضل صلاتُها عشرين ركعة غير الوتر عملاً بما كان فى آخر زمن عمر وزمن عثمان وزمن على لقول النبى ﷺ : « **عليكم بسُنّتى وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجز** »[رواه الإمام أحمد والترمذى] . . وأما صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة فهذا من عمل أهل المدينة ولا بأس بذلك لأن الصلاة عبادة وتطوع ﴿ . . **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ** . . ﴿١٨٤﴾ ﴾[البقرة] . . وروى عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول : « **ما زال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أُحبه** » . .

إن بعض الناس فى زماننا هذا يتخفّفون فى صلاة التراويح ويُقلّلون القراءة ولا يطمئنون فى الركوع ولا فى السجود مع ترك دعاء الاستفتاح وكل هذا إهمال للسنن وعلى المسلم أن يتدبر قول الله ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴿١﴾ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون] . . وقول النبى ﷺ « **صلّوا كما رأيتمونى**

(١) شرح الموطأ – جـ١ – ص ٢١٦ .

أصلّى»[أخرجه أحمد والبخارى] . . ثم نتذكر أن الناس فى عصر عمر بن الخطاب كانوا يعتمدون على العصى من طول القيام . . لهذا إننا نأمل أن تكون صلاة التراويح صلاة يستجمع فيها الإنسان قواه الفكرية ويتدبر فيما يقرأ أو يسمع من آيات اللّه وأن يطمئن فى ركوعه وسجوده (فليس للمرئ من صلاته إلاّ ما عقل منها) أما السرعة فى الصلاة فهى دفعة شيطانية . . والإنسان الذى يُصلّيها نقراً يقوم بأعمال بهلوانية وحركات رياضية ولقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يُصلّى فقال ﷺ « لو مات هذا على حاله هذه مات على غير مِلّة محمد ﷺ »[أخرجه الطبرانى فى الكبير] . . وهذا التوجيه من رسول الله ﷺ هووعيد للمصلّى الذى يُسرع فى صلاته ولا يعقل منها أى شيء لو أدرك هذا الإنسان وتأمّل هؤلاء المصلون لاقشعرت جلودهم ولذابت أكبادهم وأقلعوا عن هذه السرعة التى تُبطل صلاتهم وتبعدهم عن ربهم لأن المسرعين ليس لهم من صلاتهم إلاّ القيام والقعود . . فهل لنا أن نتوب إلى اللّه وأن نعود للعمل بما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه والسلف الصالح لنحظى بفلاح الدنيا وسعادة الآخرة وحتى يكون لنا فى شهر رمضان نصيب الخير والتوفيق . . ونؤكد على أن قيام رمضان سُنّة للرجال والنساء تؤدى بعد صلاة العشاء وقبل الوتر ركعتين ركعتين وصلاتُها فى المسجد أفضل . . يجوز أن يؤديها الإنسان منفرداً فى بيته إن شغله شاغل أو كان عنده ارتباط فلم يتمكن من الحضور إلى المسجد ليحظى بشرف الجماعة مع المسلمين . . ألاَ فلنجتهد ونجعل شهر رمضان جهاداً بالنهار على الصيام وجهاداً بالليل على القيام . . وتدريب النفس على تلاوة القرآن وتعوديها على الجود والعطاء فمن جمع هذه الفضائل الحميدة ووفّى بحقوقها وصبر عليها وقّاه الله أجره بغير حساب فلا شيء يعدل الصيام والصلاة وتلاوة القرآن والإنفاق فى سبيل اللّه فما نقص مال من صدقة وصدق رسول الله العظيم: ﴿ .. وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ] . . أى . . أن أى شيء ينفقه الإنسان فى سبيل اللّه من مال . . أو وقت . . أو جهد . . فاللّه يقبله ويثيب عليه وهو خير من يجازى لأنه الرحمن الرحيم .

(٨)
قيام الليل

من أفضل الأعمال التى يتقرب بها الإنسان إلى اللّه صلاة الليل . . وهذه الصلاة لابد أن ينام الإنسان قبلها نوماً عميقاً ثم يقوم من الليل ليصلّى وفى ذلك يقول الله تعالى عن الذين يصلونها : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة] . . فالذين ينامون ثم يقومون لأداء صلاة الليل ولو ركعتين خير ألف مرة ممن لا يقوم الليل . . لأن قيام الليل من الأعمال العظيمة التى لا يراها إلا اللّه . . ولهذا يقول الرسول ﷺ :« **عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى اللّه تعالى ومنهاة عن الإثم ومكفّرة للسيئات ومطردة للداء عن الجسد**»[أخرجه البيهقى والحاكم] . . قال محمد بن كعب إن الذين قاموا بالليل أخفوا للّه عملاً فأخفى اللّه لهم به ثواباً فلو قدموا عليه أقر تلك الأعين . . ولذلك قال رسول الله ﷺ : «**يقول الله تعالى .. أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله** ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة]»[أخرجه الشيخان] . . وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ « **إن فى الجنة غرفاً يُرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدّها اللّه لمن أطعم الطعام وألاَن الكلام وتابع الصيام وقام بالليل والناس نيام**»[أخرجه أحمد وابن حبان] . . وفى حديث لأبى هريرة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله أنبئنى عن أمرٍ إذا أخذتُ به دخلتُ الجنة . . قال: « **أفشِ السلام واطعم الطعام وَصِلْ الأرحام وصلِّ بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام**»[أخرجه أحمد والترمذى] . . هذه الأحاديث كلها تدل على فضل قيام الليل وأنها تجارة رابحة من اللّه فى نفس الوقت فيها فوائد للإنسان . . لأن مَنْ يحافظ على قيام الليل يكون طيب النفس عنده حماس لأداء الواجبات عليه . . له همة عالية . . وبصيرة نافذة . . وجسد من الأوبئة خال . . لهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[الذاريات] . .

وقت قيام الليل

اتفق العلماء على أن كل الليل وقت للتهجد . . ولكن أفضل الليل . . الثلث الأخير منه . . لأنه وقت الغفلة فمعظم الناس نيام . . فى نفس الوقت هو وقت نزول الرحمة . . ووقت استجابة الدعاء ومناجاة اللّه فى هذه الساعات أفضل لقول رسول اللّه ﷺ **«إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول.. هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من سائل فيعطى سُأله ؟»**[رواه مسلم] .

وقد اشترط العلماء أن ينام الإنسان قبل قيام الليل لأنه ورد عن رسول اللّه ﷺ قال: **« أحب الصيام إلى اللّه صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى اللّه صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سُدسه »** [أخرجه مسلم والبخارى] . . والحكمة من النوم قبل قيام الليل ليستريح الإنسان ويستجمع قواه ويسترد عافيته . . والحكمة كذلك من نوم السُّدس أن يستريح الشخص من قيام الليل ويتأهب ليقوم نشطاً لتأدية صلاة الصبح ويقرأ ما يشاء من القرآن . . وإذا كُنَّا فى شهر رمضان فيستحب لنا أن ننام قليلاً بعد صلاة التراويح ثم نقوم لصلاة التهجد التى هى من خير الأعمال وأزكاها عند اللّه . . وشهر رمضان فرصة عظيمة لعل ليلة القدر تصادفنا ونحن على صلاة أو ذكر أو طاعة للّه لنفوز بسعادة الدنيا وفلاح الآخرة.

(٩)
الخلوف

الخلُوف هو تغيُّر رائحة الفم من صوم لقول الرسول ﷺ : **«والذى نفس محمد بيده لخلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»**، وتغيُّر رائحة الفم ينفر منه الناس لأنه شىء غير مألوف لكن . . الصائم لحب اللّه له تكون رائحة فمه أطيب

أطيب عند الله من ريح المسك . . والخلُوف يكون أكثر ثواباً إذا صامت جوارح الإنسان عن كل شيء يضر بالصيام . . فالأذن لا تسمع إلى فحش القول . . يعنى الإنسان لايجلس مع مَنْ يتكلمون فى الغيبة والنميمة . . أو الذين يتآمرون على الآخرين أو من الذين يشهدون الزور لقولُ الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿٦٨﴾ ﴾[**الأنعام**] . .

إن الإنسان الصائم يُسخِّر سمعه للاستماع إلى العلم والمواعظ أو إلى القرآن يُتلى أو إلى كلام الصلح بين الناس . . وكذلك البصر لا يتتبع به عورات الناس ولا يُحلق فى النساء وإنما يتأمل ببصره فى كون اللَّه الواسع ويستنطق المخلوقات لتشهد على قدرة اللَّه وعظمته وأنه الخالق لكل شيء وهكذا يحصُل للصائم الثواب الكبير والأجر العظيم لأن هذه الرائحة أكثر ثواباً من رائحة المسك الذى يَمسُّه الإنسان يوم الجمعة أو فى صلاة الأعياد ولهذا جاء فى رواية للبخارى « **يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى.. الصيام لى وأنا أجزى به .. والحسنة بعشر أمثالها**» وجاءت فى روايات متعددة «**ولخلُوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك**» . . لهذا علينا أن نترك السواك من صلاة الظهر حتى يكون الإفطار . . كما أن علينا ألاّ نستعمل معجون الأسنان لأن استعمال السواك بعد الزوال أو معجون الأسنان فى الصباح يُزيل الخلُوف من فم الصائم وبالتالى تضيع الأفضلية . . فعلى الصائمين أن يتنبّهوا لذلك وأن يستشعروا هدى اللَّه وسُنّة رسوله فإن الصيام وقاية للإنسان من الوقوع فى الخطأ أو التردى فى مهاوى الرذيلة .

(١٠)

السحور

هو ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب فى الثلث الأخير من الليل ليتقوّى به الإنسان على الصوم . . وقد رغّبنا فى ذلك رسول الله ﷺ فقد جاء فى حديثه

«**تسحَّروا فإن فى السحور بركة**»[البخارى ومسلم]. . والنِّية تُصاحب طعام السحور ليستعين به على صيام النهار فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام «**مَنْ أراد أن يصوم فليتسحر بشىء**»[أخرجه أحمد]. . وهو خاص بهذه الأمة لأن فيه بركة. . حيث يتناوله الإنسان فى وقت السحر. . وهو وقت الذكر والدعاء ووقت تَنَزّل الرحمة وقبول الدعاء والاستغفار . . ففى قول اللّه تعالى ما يُرشد إلى ذلك حيث قال: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾** ﴾[**الذاريات**]. يقول الرسول ﷺ: «**إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**»[أخرجه البخارى ومسلم]. . ويمتد وقت السحور إلى طلوع الفجر الصادق ومن المعلوم أن النتائج والساعات الآن ملأت الدنيا فيكون الإمساك عن تناول الطعام قبل الفجر بمدة عشر دقائق . . وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى ذلك فى قوله: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ... ﴿١٨٧﴾** ﴾[**البقرة**]. .

ولقد كان المسلمون قبل نزول هذه الآية إذا صلّوا العشاء والتراويح لا يأكلون ولا يشربون ولا يقربون النساء. . لأنهم فهموا أن الأكل والشرب ولقاء النساء يكون فى المدة بعد المغرب إلى الانتهاء من صلاة العشاء الآخرة. . ولكن حدث أن صحابياً يُسمّى (صرمة بن قيس الأنصارى) غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يستيقظ إلاّ بعد أن صلّى رسول الله ﷺ العشاء. . فأكل وشرب فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فنزل قول الله تعالى ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ .. ﴿١٨٧﴾** ﴾[**البقرة**] . . والرفث: مجامعة النساء. . يقول ابن عباس رضى الله عنهما : (كان المسلمون فى شهر رمضان إذا صلّوا العشاء حَرُمَ عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم إن أُناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام فى شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن

الخطاب فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ..** ﴾ إن عفو الله بالمؤمنين عظيم ورحمته واسعة شملت كل شيء والدين يُسر لا عُسر . . وفي إباحته تعالى جواز الأكل حتى يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود دليل على استحباب السحور لأن ذلك من باب الرخصة والأخذ بها محبوب . . ولما نزل قول الله ﴿ **حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** ﴾ يقول عدى بن حاتم (عَمدّت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي . . وكنت أنظر إليهما فلما تبيَّن لى الأبيض من الأسود أمسكت فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بالذى صنعته فقال لى . . إن وسادك إذاً لعريض إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل) [البخارى ومسلم] . . وجاء فى بعض الألفاظ من رواية البخارى (إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين . . ثم قال . . لا بل هو سواد الليل وبياض النهار) .

إن طعام السحور خير لأن رسول الله ﷺ قال فيه « **السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو ان أحدكم تجرّع جرعة ماء فإن اللّه وملائكته يُصلّون على المتسحّرين** »[رواه الإمام أحمد] . . لهذا يتبيّن لنا أن طعام السحور يحرص عليه الإنسان لأن فيه بركة ويقوّى الإنسان ويُنشّطه على الصيام . . وتحصُل بسببه الرغبة فى الازدياد من الطعام . . ولأنه يأتى فى وقت السحر وهو وقت شريف عظيم يُستحب للإنسان أن يقوم فيه ليذكر ربه وربما يتوضأ ويُصلى ركعتين ويديم الاستيقاظ وهو ذاكر للّه عابد شاكر حتى يُصلى الفجر فيصبح وهو مُنشرح النفس قُوّته مجتمعة على الطاعة يشعر بالأمن النفسى . . ويسعد بالسمو الروحى . . لأنه عاش مع ربه فى لحظات القبول . . ولأنه فى هذا الوقت أغلقت الملوك أبوابها ووقف على أبواب الملوك الحجّاب والحرّاس واختلى كل حبيب بحبيبه فمن قام بالليل ليصلى فله ثواب عظيم يؤيد ذلك ما جاء فى التوراة (لقد أعدّ اللّه للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلمه ملك مُقرّب ولا نبى مُرسل . . قال . . ونحن نقرأ ذلك فى القرآن ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾) [رواه الحاكم عبدالله بن سلام] . . وراوى هذا كان حبراً من أحبار اليهود وأسلم .

إن السحور علاج للنفس المريضة وتقوية للقلوب الضعيفة . . لأنه من قيام الليل . . وقد قال الرسول ﷺ « **عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد**»[رواه الترمذى] . . فعلى المسلمين أن يتنبّهوا ويحرصوا على السحور ولا يتركوه . . ففى حديث رسول الله ﷺ: « **البركة فى ثلاثة .. فى الجماعة .. والثريد.. والسحور**»[رواه الطبرانى] . . . . ويقول عليه الصلاة والسلام :« **استعينوا بطعام السحر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل**»[رواه ابن ماجة] . . وهو طعام بركة فقد دخل رجل على رسول الله ﷺ وهو يتسحر فقال النبى ﷺ « **إنها بركة أعطاكم الله إيّاها فلا تدعوه**»[رواه النسائى] . . ويقول أيضاً :« **هو الغذاء المبارك**» . . يعنى السحور[رواه ابن حبان] . . وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: دعانى رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان . . فقال:« **هَلُمَّ إلى الغذاء المبارك**» [رواه أبوداود] . . أى أن طعام السحور يُحقق للإنسان الصحة فى جسده . . والنضارة فى وجهه ويجلب له الخير ويكون مصدر سعادة له ويحقق له رضوان الله تعالى وذلك هو الفوز العظيم . .

تأخير السحور

يُستحب للإنسان أن ينام قبل القيام للسحور . . لأنه بعد الإفطار وصلاة التراويح وقراءة شىء من القرآن يُفضل للإنسان أن ينام ليستجمع قواه ويسترد طاقته ويتقوّى بالنوم ليقوم للسحور نشيطاً ويفهم أنه فى عبادة للّه ندبه إليها الحق سبحانه . . والإنسان عندما ينام فنومه عبادة . . لأنه يستريح ليتهيّأ لأداء عبادة أخرى وما أحلى حياة الإنسان بهذا اللون من الممارسة الحياتية ولأن نوم ساعة فى الليل أفضل وأحسن من عشر ساعات فى النهار ونقرأ فى هذا ما أشار إليه الحق سبحانه :﴿ **وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾** ﴾[النبأ] . . وعلينا أن نعلم أن الذين يسهرون طول الليل وينامون النهار ويقولون (نوم الصائم عبادة) فهذا شىء لم يقم عليه دليل . . لأن الصائم عليه أن يتحرك بالنهار وأن يعمل بجد وإخلاص . . وأن يحتك بالناس . . حتى يظهر معدنه ومدى تأثره بالصيام . . لكن

الناس خدعوا أنفسهم وقالوا: (نوم الصائم عبادة) . . والحقيقة أن (نوم الظالم عبادة) فعلينا أن ننتبه إلى ذلك . . وأن نعيد ترتيب أمور حياتنا على منهج الإسلام ووفق النظام العام الذى وضعه الحكيم الخبير . . لهذا فإن المسلم أحرص على تطبيق شرع الله على نفسه لذا فهو يلتزم . . ومن هنا نُنبِّه إلى أن القيام لتناول طعام السحور يُستحب أن يُسبق بنوم . . كما يُستحب تأخير السحور الذى يمتد إلى طلوع الفجر الصادق . . وحينئذ يجب الإمساك عن كل مفطر والفجر الصادق يتحقق حين يظهر النور مُنتشراً فى الأفق . . والفجر الكاذب هو الذى يظهر نوره مُستطيلاً وهذا من حيل الشيطان وألاعيبه . . ولكن الله بنا رحيم رؤوف فلا يجعل للشيطان سبيلاً علينا فيظهر الفجر الصادق . . والرسول ﷺ يقول: « **لا تزال أمتى بخير ما عجلّوا الفطر وأخّروا السحور**» [رواه أحمد] . . ولقد كان من دأب النبى ﷺ أنه كان ينظر إلى ما هو أرفق بأمته فيفعله لذلك رَغَّب فى تأخير السحور حتى يُقبل النهار على الناس وفى معدتهم طعام يتقوّى به الإنسان فى النهار على الطاعة والعمل وحتى لا يُجهد ويُصاب بالإعياء كان التوجيه إلى السحور . . والساعات لم تكن عُرِفت فى زمن النبى ﷺ ولا التقويم الفلكى . . لذلك كانوا يُحدِّدون الوقت بقراءة آيات من القرآن الكريم . . يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه : (تسحّرنا مع رسول الله ﷺ . . ثم قمنا إلى الصلاة . . قلت : كم كان قدر ما بينهما؟ قال: قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية) [رواه الترمذى وقال حسن صحيح] . .

وروى عنه ﷺ قال: « **ثلاثة يُحبها الله عزوجل.. تعجيل الفطر وتأخير السحور وضرب اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة**» [رواه الطبرانى فى الأوسط] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : « **ثلاث من أخلاق المرسلين .. تعجيل الإفطار وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمال فى الصلاة**» [رواه الطبرانى] . .

بهذا يتبيّن لنا أن المسلمين عليهم أن يتنبهوا خاصة الذين يتناولون السحور مُبكرين ولا يهتمون بتوجيهات رسول الله ﷺ فإذا كان السحور بركة فإن تأخيره كذلك بركة .

ترغيب الأولاد فى الصيام

السحور له مذاق خاص ونكهة طيبة . . والأطفال دائماً يحبون القيام فى هذا الوقت لتناول طعام السحور. . وكلما قال الآباء للأبناء سأوقظكم لتناول السحور معنا فإن الأطفال ينتعشون نفسياً ويفرحون . . وينام الطفل دائماً وفى ذاكرته حب تناول وجبة السحور. . والآباء ممكن لهم أن ينتهزوا هذه الفرصة ويدربوا أولادهم على الصيام. . ويُعوِّدوهم كذلك على قيام الليل. . ولاشك أن الصيام له فوائد كثيرة بالنسبة للطفل حيث يتدرب على التحكم فى رغباته وأحاسيسه ومشاعره وربطه بالقيم الدينية وتعويده على الالتزام والانضباط فى سلوكه وكسر حِدَّة الشراهة عنده للطعام . . ويمكن تدريب الطفل على الصيام. . ليتعلم ويتعود عليه تدريجياً . . ويبدأ ذلك فى الفترة ما بين تسع إلى عشر سنوات. . ونحن نوقظه معنا للسحور. . وإن احتاج للطعام صباحاً حاولت الأم تأخيره للساعة العاشرة صباحاً أو بعدها على قدر ما يتحمل. . وإن احتاج إلى الطعام بعد العصر أعطيناه بعض الأشياء الخفيفة ونرغبه فى أنه سوف يتناول معنا طعام الإفطار المهم أن الأولاد فى مرحلة النمو يحتاجون إلى كمية كافية من الطعام. . ويمكن لنا أن نُعِدّ لهم عن فهم ودراية وجبات مختلفة تسدُّ حاجتهم الغذائية على صورة سليمة ثم تكون وجبة الإفطار لهم مع العائلة مشتملة على البروتينات التى تُساعدهم فى بناء أنسجة جديدة وتعويض ما يتهدم منها حتى يحصل الولد الذى يتدرب على الصيام على السُّعرات الحرارية اللازمة له وإعطاؤه المزيد من السوائل والسكريات. . وأن تكون وجبة السحور مشتملة على كمية مناسبة من الدهون التى تتميز ببطء هضمها فتعطى شعوراً بالشِّبع لمدة أطول حيث يختزنها الجسم بسهولة . . ولا يغيب عن البال . . إعطاء الأطفال كمية من الخضروات والفواكه والسكريات لتعطيهم إحساساً بالشِّبع فالألياف الموجودة فى الخضر والفواكه تُساعد على ذلك وتُبعد عنهم الإحساس بالجوع والشعور بأعراضه من صداعٍ وهبوطٍ.

إن السحور فيه خير كثير خاصة للأطفال الذين يجب أن نهتم بهم وأن نحرص على تعويدهم وتدريبهم ليكونوا قُرة عين لنا فى الدنيا ومصدر سعادة وبهجة وهناء . . وفى الآخرة رفقاء مع بعضنا إنشاء الله فى جنات النعيم .

المسحراتى

المسحراتى شخصية عُرفت فى المجتمع الإسلامى . . يظهر فى شهر رمضان وله لون ثقافى خاص وفن فلوكولورى يُعرف به . . يفرح به الأطفال وينتظره الكبار . . ويظهر فى الثلث الأخير من الليل بيده طبلة وبالأخرى عصا يدق بها ليوقظ النائمين والأولاد من حوله فرحين مُهللين يُرددون ما يقول بصوتهم الناعم فيكون له تأثير السحر فى الجو الذى خيّم عليه السكون . . والمسحراتى جزء من تراث . . يتوارثه الأبناء عن الآباء . . وهو فن إيقاظ الناس فى رمضان وقت السحر . . يحتاج إلى قوة إرادة وصوت قوى ومعرفة تامة للمنطقة التى يتجول فيها حتى يستطيع أن يوقظ أهل الحى . . ويحرص المسحراتى على تلقين أحد أولاده هذه المهنة التى يجب أن تعيش ولا تندثر لأنها من التراث الخالد للأمة العربية . . والمسحراتى يشعر فى أعماق نفسه أنه يؤدى عملاً رائعاً وجليلاً بدليل أن رد الفعل من الناس يُعبّر عن أجمل تقدير من الدعوات التى يسمعها بأذنيه من الناس الذين استيقظوا لتناول الطعام . . ورغم أن الزمن تطور وأصبحت الآن هناك آلات موسيقية . . والتليفزيون أصبح يبث إرساله بالليل والنهار ولايتوقف كذلك الراديو . . ورغم ذلك فإن المسحراتى مازال يتربع على الأداء الرمضانى فى الثلث الأخير من الليل . . ولقد أطلق بعض الظرفاء على المسحراتى (طبّال بالدنيا زمّار بالآخرة) والتسحير في رمضان حرفة قديمة ويقولون أن أول مَنْ انتهج هذا العمل هو سيدنا بلال رضى اللّه عنه حيث كان يُؤذن بليل ليتنبّه النائمون ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ «**لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل.. ولكن الفجر المستطير**»[أخرجه أحمد]. ويقول عليه الصلاة والسلام : « **إن بلالاً يؤذن بليل ليُنبّه نائمكم ويُرجِع قائمكم**»[أخرجه البخارى ومسلم] . . فبلال إذاً أول مسحراتى عرفه التاريخ لأنه كان يجوب الطرقات لإيقاظ المسلمين وكان

من قوله (قم يا نايم وحدِّ الدايم) إن هذه الشخصية الشعبية التى تُعبِّر عن التراث الشعبى تعرفها جميع طوائف الشعب العربى.. خاصتها وعامتها لأن المسحراتى يلعب دوراً هاماً فى تنبيه الصائمين وإيقاظ النائمين لتناول وجبة السحور والنداءات التى يُطلقها المسحراتى بعد منتصف الليل تشق السكون فتكون مُحبّبة إلى الجميع ينتظرونها بلهفة.. وأذكر أن مُستشرقاً انجليزياً اسمه (إدوارد لين) زار مصر مرتين خلال القرن التاسع عشر.. وجذبته شخصية المسحراتى.. وشغف بها شغفاً كبيراً وكتب فى كتابه (المصريون المحدثون.. شمائلهم وعاداتهم) يقول فيه عن المسحراتى (يبدأ المسحراتى جولاته عادة بعد منتصف الليل ممسكاً بشماله طبلة صغيرة.. وبيمينه عصاً صغير أو قطعة من جلد غليظ يضرب به وبصحبته غلام صغير يحمل مصباحاً أو قنديلاً يُضيء له الطريق ويأخذ المسحراتى فى الضرب على الطبلة ثلاثاً ينشد قائلا: يَسْعَدْ مَنْ يقول لا إله إلاّ اللّه.. ثم يعود للضرب على طبلته ويواصل كلامه.. وأسعد لياليك.. ثم يُسمِّى صاحب البيت وبعده أفراد الأسرة فرداً فرداً ما عدا النساء.. ويردد أثناء جولاته على إيقاع الطبلة الكثير من القصص والمعجزات والبطولات التى وقعت على يد الرسول ﷺ.. أو يذكر أحداث أبو زيد الهلالى أو غيره.. والناس يسعدون بسماع صوت هذه الشخصية المحبوبة وعلى الأخص الأطفال الذين ينتظرون ظهور المسحراتى أو سماع صوته من بعيد ليسرعوا إليه ويُغنوا معه أغانيه الشهيرة ويمنحونه فى سخاء العطايا والهبات من خيرات هذا الشهر العظيم.. إن مهنة المسحراتى ظهرت عندما فُرض الصيام.. واحتاج المسلمون إلى مَنْ يوقظهم من النوم للسحور والصلاة.. ومع مرور السنين تطورت هذه الحرفة وانتقلت إلى ما يُعرف فى التراث الشعبى (القومة) ولعلنا نذكر فى هذه الأيام أن الإذاعة المصرية والتليفزيون كانا يذيعان أصوات بعض الناس وهم يقولون:

إصحا يا نايــم — الشهر صيــــام
وحــــد الدايم — والفجـــر قايـم
وقول نويـــت — إصحا يا نايــم
بكرة إن حييت — وحِّد الـــرزاق

رمضان كريم

وإذا كان المسحراتى شخصية من الرجال فقد ظهر مَنْ ينافسه من النساء . . فإن هناك من تقوم بهذا العمل التطوعى فى أوله ولكن سرعان ما يُدر على المسحراتية فى آخر الشهر الخير الكثير والعطاء . . وكان المسحراتى . . أو المسحراتية لها منزلة فى البيوت فتستطيع أن تشفع عند الأغنياء لقضاء مصالح بعض الفقراء . . وكان أولاد البيوت العريقة يعرفون هذه الشخصية وتكون هناك زيارات خلال العام يكون فيها المنح والعطايا . . لذلك لعبت هذه الشخصية دوراً كبيراً على مسرح الحياة وأثّرت فى التراث الشعبى وما زال وقع صوت هؤلاء يرن فى أذن الناس كلما جاء شهر رمضان . .

التوحيش

بعد عشرين ليلة من شهر رمضان وعند الدخول فى العشر الآواخر من الشهر يبدأ المسحراتى بتغيير أناشيده وتعديل قصصه وحكاياته . . ويبدأ فى تذكير الناس بقرب انتهاء ليالى شهر رمضان المباركة . . فيقول وهو يضـــرب على طبلتـه (لا أوحش اللّه منك يا شهر الصيام . . لا أوحش اللّه منك يا شهر الجود والكرم . . لا أوحش اللّه منك يا شهر القرآن . . لا أوحش اللّه منك يا شهر الصلاة والقيام) . . ويداوم المسحراتى على ذلك الإنشاد حتى تنتهى مهمته بظهور هلال شهر شوال . . ويدرب المسحراتى الأطفال على أن يقلدوه ويقوموا فى بيوتهم وعلى أسطح منازلهم بعد صلاة عصر كل يوم من العشر الآواخر من رمضان بالضرب على قطعة نحاس ويردد كل واحد من الأطفال هذا الكلام حتى إذا وصلوا إلى خمس وعشرين من شهر رمضان يُعدِّلون ذلك إلى قولهم (يا بركة رمضان . . خليكى فى بيتنا . . من العام للعام) .

وهكذا كان شهر رمضان فيه لفتات طيبة وعمل يقوم به الأطفال بغناء يُرددونه يُعبّر عن شعورهم حيث يدقون على النحاس فى بيوتهم وهم يقولون (لا أوحش اللّه منك يا شهر رمضان ويرجون ربهم أن تدوم بركة رمضان فى بيتهم من العام للعام) . .

ختام العمل

يتنهى عمل المسحراتى بظهور هلال شهر شوال. . وفى صباح أول أيام عيد الفطر المبارك يطوف على البيوت التى كان يمر أمامها خلال شهر رمضان وقد ارتدى جلباباً أبيض ليأخذ الهدية والتى عادة ما تكون من الكعك والبسكويت وبعض العطاء من النقود . . وكانت البيوت تُعِدّ لهذا الشخص ما يليق بمكانته فى نفوسهم لأنهم تأثروا به طوال الشهر فقد أسمعَهم الكثير والكثير وأسعدهم بدق الطبلة بأسلوب معين وطريقة محببة إلى نفوسهم. . وقد تأصّلت هذه الشخصية فى الوجدان الشعبى خاصة فى القرى والنجوع والحارات والأحياء الشعبية فى المدن. . لذلك بقيت هذه الشخصية فى نفوس الناس التى تحتفظ بحبها لحضورها فى فكرهم وأذهانهم . . والدول كلها عرفت المسحراتى وإن اختلفت طريقة كل واحد من قطر إلى قطر. . ورغم طغيان المدنية وانتشار أجهزة الإذاعة والتليفزيون فلا يزال المسحراتى يشق سكون الليل بنداءاته وطرقاته على الطبلة.

قــم يا نـايـم	وحِّد الدايم
اصحا يا نايم	وحِّد الدايم
المشى طاب ليِّه	والدق على طبلى
ناس كانوا قبلى	قالوا فى الأمثال
الرجل تدب مطرح ما تحب	وأنا صنعتى مسحراتى
فى البلد جوّال	السعى للصوم
خير من النوم	دى ليالى سمحة
نجومها سابحة	اصحا يا نايم
وحِّد الدايم	ولدى نصحتك
لما صوتى اتبح	ماتخافش من جنى ولا من شبح
وإن هب فيك عفريت قتيل اسأله	مادافعتش ليه عن نفسك يوم ما اندبحت

المدفع

إذا كان المسحراتى من معالم شهر رمضان فهناك كذلك (المدفع) ورغم اتفاقهما الرمضانى لكنهما يختلفان فى أمور كثيرة . . فالمدفع رسمى حكومى ارتبط منذ ظهوره بنظام الحكم وهو مركزى فى العاصمة الكبرى . . وقد عرف المصريون مدفع الإفطار والسحور لأول مرة فى نهاية القرن التاسع عشر وكان أول مدفع أفطر الناس على صوته فى القاهرة ألمانى الصنع اشترك فى معارك ثلاثة . . وقد اشتراه محمد على باشا والى مصر ضمن صفقة مدافع سنة ١٨١١ وجعل مكانه فى مكان مرتفع بقلعة صلاح الدين . . هذه رواية ذكرها المؤرخون . . ورواية ثانية تقول . . أن والى مصر (خورشيد باشا) كان يُجرب مدفعاً جديداً أهداه إليه أحد الولاة ومن الصدف العجيبة أن موعد تجربة المدفع الجديد كان عند غروب الشمس وفى أول يوم من شهر رمضان . . واعتقد الناس يومها أن الوالى يُعدّ لهم مفاجأة سارة بإطلاق هذا المدفع بعد غروب الشمس وقبل آذان المغرب ليعلنهم ببدء الإفطار . . فى صباح اليوم التالى فوجئ الوالى بوفد كبير من الأهالى يقدم له الشكر على هديته لأبناء القاهرة . . فأصدر قراراً بأن يستمر المدفع فى الإطلاق وقت الإفطار لتنبيه الصائمين بموعد الإفطار وكذلك السحور ومن يومها أصبح المدفع من أبرز معالم القاهرة فى شهر رمضان . . حتى قامت الإذاعة بنقل صوته على الهواء مباشرة . . وقد اختفى المدفع الحقيقى وأصبح ما نسمعه تسجيلاً لصوته . . وإذا كان المدفع قد أُحيل إلى الاستيداع فقد ترك صوته الذى أصبح تُراثاً بالإذاعة لتبثّه سنوياً قبل الإفطار والسحور . . أما المسحراتى فهو باقٍ حتى الآن وذكرياته على كل لسان من أبناء القرى والنجوع والحوارى والشوارع والعواصم فهو شخص يعيش مع الناس يشاركهم أعمالهم وفى شهر رمضان يتكبد مشاق التجول لينبِّه الناس . . وهذا العمل تحتكره أُسَر معينة تحافظ على تاريخ هذا العمل العريق ويتوارثه الأبناء عن الآباء ولو انقرض رجال الأسرة قام

نساؤها بهذا العمل . . ولذلك يذكر أن امرأة جميلة قامت بمهمة التسحير بعد فناء رجال أسرتها فرآها الشاعر (زين الدين بن الوردى) فتغزل فيها قائلاً :

عجبت فى رمضان من مُسحِّرة قالت ولكنها فى قولها ابتدعت
تسحَّروا يا عباد الله .. قلت لها كيف السحور وهاذى الشمس قد طلعت

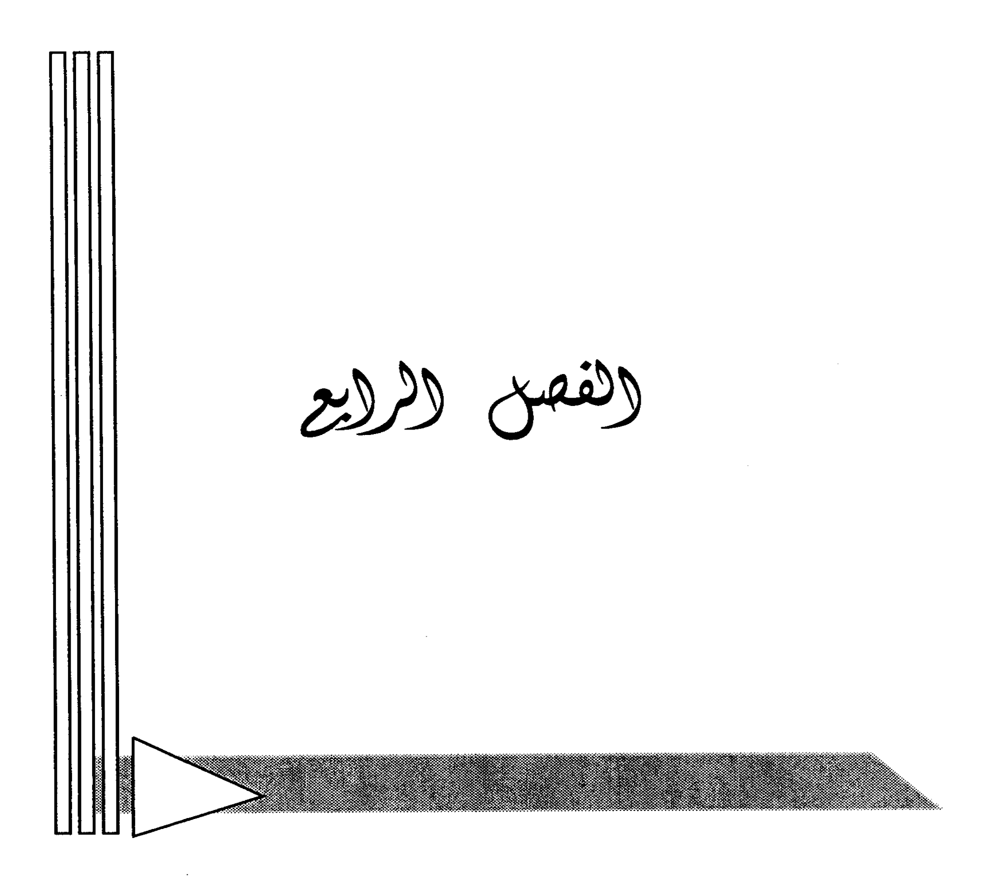
هذه أمور نذكرها للتاريخ لأن الناس فى شهر رمضان يشعرون بهذه الأمور العظيمة التى تحيا فى أحاسيسهم ومشاعرهم .

المأذون

إذا كانت مهنة المسحراتى تظهر فى شهر رمضان . . والمدفع كذلك وإن كان قد أصبح تُراثاً نسمع صوته ولا نرى أثره . . فإنه مع ذلك نرى أن (المأذون) عاطل فى شهر رمضان لأنه نادراً ما تقام الأفراح حفلات الزفاف فى شهر رمضان ونادراً كذلك ما يتم عقد زواج فى هذا الشهر . . ولذلك نرى أن مهنة المأذون تختفى . . علماً بأنه ليس هناك ما يمنع من الزواج وعقد القران . . لكن الناس يتوقفون عن هذا العمل لعادات اجتماعية مرتبطة بالعائلات . . فشهر رمضان يتم فيه دعوة الأهل والأقارب لحضور مآدب الطعام التى تُقام فى شهر رمضان . . علاوة على أن الأفراح تعلو فيها الأصوات بالأغانى والزغاريد احتفالاً بهذه المناسبة وهذا شىء ارتبط بعرف بعض الناس أن شهر رمضان له وقار وجلال وارتباط بأمور دينية فلا يليق بنا أن نخدش حياء الناس فى هذا الشهر .

وهناك مَنْ يقول بأن العريس والعروس يُحبّان أن يقضيا شهر العسل بعيداً عن الأهل والأقارب وربما يقضيانه على بعض الشواطئ . . ونظراً لأن العروسين ارتبطا حديثاً فهما فى شوق دائم لبعضهما وقد يحدث بينهما ما يوجب الكفارة المغلّظة ولا يستطيعان أداءها . . لهذا فإن من الأولى ترك الزواج فى شهر رمضان . . هذه بعض الأفكار التى تدور حول ذلك . . ولكننا ننصح الناس بأن يتوقفون عن الزواج فى شهر

رمضان مع اعتقادهم بأن ذلك ليس بحرام ولا مكروه . . ويجوز للمسلم أن يتزوج إذا كانت عنده قدرة وإرادة على عدم اللقاء جنسياً مع زوجته فى نهار رمضان وعنده الليل يكفيه لقضاء ما يريد . . ويأتى العيد وتتحول الفرحة فيه إلى فرحتين لكثير من الناس الذين كانوا ينتظرونه لعقد قرانهم أو إتمام زواجهم . . وفى العيد يتحول المأذون إلى شخصية هامة يجرى وراءها الجميع ويبحث عنه الصديق .



الفصل الرابع



الفصل الرابع
جامعة خاصة

إن شهر رمضان جامعة حيث تتجدد فيه حياة الإنسان . . وتتغير خلاياه . . ويواجه كل يوم جديداً فى كل شىء . . تتبارى فيه الأقلام . . وتتنافس المقالات لاستنتاج ثمار الصيام مثل . . تربية الإرادة . . تعلم الصبر . . تماسك المجتمع . . اكتساب الصحة النفسية والجسدية إلى غير ذلك . . ولكن مع ذلك نرى أن النظام العام يتغير ليصبح الليل نهاراً والنهار ليلاً . . نظراً لأنه قبل شهر رمضان يكون التليفزيون والمسرح والسينما كل قد أعدّ نفسه قبل الشهر بزمان . . وسبق ظهور هلال الشهر الإعلانات عن أجمل السهرات التى يقضيها الإنسان هنا أو هناك . . لأن شهر رمضان ارتبط بالتفاف الأسرة ساعات طويلة حول شاشة التليفزيون لأنه فى شهر رمضان هو النجم الذى به مغناطيس يجذب إليه أفراد العائلة من صغيرها إلى كبيرها من الفطور إلى السحور وهذه العادة تكاد تصبح عُرفاً فى دنيا الناس فهى تُلهيهم عن أداء واجباتهم الدينية لأن ما يتم عرضه من مسلسلات وسهرات فنية أُنفق عليها بسخاء فأصبحت ذات جودة عالية . . ويُقبل الشباب من الجنسين على برامج المسابقات طمعاً فى الربح العائد من وراء ذلك . . ونحن قد تقدمنا برجاءات متعددة إلى الذين يُشرفون على هذا العمل أن يُشركوا معهم علماء . . التاريخ . . علماء الاجتماع . . علماء الصحة النفسية . . علماء الدين . . وتتكاتف جميع الأجهزة مع هؤلاء العلماء وغيرهم كل فى تخصصه ليقدموا أعمالاً . . تُوصّلُ معلومة حقيقية للمشاهدين لأن التليفزيون يجذب المشاهدين بقوة ويقضون الأمسيات من هذا الشهر أمامه . . ولكى نحوله بحق إلى جامعة تدريبية فعلينا أن نهتم بالمواد التى تُقدم لنتمكن من إعادة صياغة العقل المسلم وحتى نتمكن من ضبط السلوك على القيم النبيلة . . ومعالجة المواقف الحياتية اليومية من خلال العرض التاريخى فيما يُقدم . . وتحسين لغة الخطاب من هذه النافذة التى تَسلَّلت إلى كل بيت . . إن الذين يُحبون وطنهم

ويحرصون على تعليم أبناء وطنهم والحفاظ على هويتهم وعدم طمس ثقافتهم . . عليهم أن يعودوا إلى الأصالة يستمدونها من تاريخهم الطويل وحضارتهم العظيمة التى :

جاءت إليها وفود الأرض قاطبة   تسعى اشتياقاً إلى ما خَلّد الفانى
وعاد منكر فضل القوم معترفاً   يُثنى على القوم فى سرٍ وإعلان

إن شهر رمضان مدرسة إيمانية . . جامعة علمية . . وفوق ذلك هو دورة تعليمية تدريبية من كل عام على كل المستويات والمفروض أن يتزوّد فيه الإنسان مع الشحنة الإيمانية . . دفعة علمية وأخرى عملية لترتفع مكانة الإنسان إلى ما هو أرقى وأنفع . . ويخرج المسلم من هذا الشهر وقد تزوّد بزاد علمى أخلاقى يستطيع بذلك أن يُعيد ترتيب الأولويات فى حياته لأنه تهيّأ لهذا بروح علمية عملية جديدة . . يواجه بها مستجدات الحياة والتعامل معها وفق المستوى الذى حصّله من الزاد المؤصّل بالمواد العلمية المعتمدة على التاريخ الحقيقى لآبائه وأجداده الذين بنوا وشيّدوا . . إننا فى عصر السماء المفتوحة لا نخاف من مسخ هوية الإنسان أو تشويه حضارته أو جحود تاريخ آبائه وأجداده . . لا نخاف من ذلك ما دمنا قدمنا المادة العلمية مُوصلة مدعمة بالوقائع الصحيحة والمستندات الأصلية . . خاصة ونحن نستغل الشهر الفضيل لنقدم لشبابنا هذا الزاد . . أما الدعوة إلى فطور راقص فى شهر رمضان ويمتد الرقص حتى السحور الذى يتم على نغمات الموسيقى (أبو عيون جريئة) أو التمثيليات أو المسرحيات التى تلعب فيها الإثارة مساحة كبير فكل هذا مرفوض . . ونقول لكل مسلم يحضر فى مثل هذه الحفلات أو يجلس أمام التليفزيون ليشاهد أفلام الجنس والإثارة والتى لا طائل من تحتها كالفوازير مثلا وغير ذلك من التمثيليات والمسرحيات التى لا تُوصل قيمة نبيلة ولا تسمو بالأخلاق نقول لكل هؤلاء . . مثلكم كمثل الطلبة الذين يتسربون من المدرسة أو الجامعة ويذهبون إلى الشقق المظلمة ليُشاهدوا الأفلام المخلّة بالآداب العامة ثم تكون نتيجتهم فى آخر العام الرسوب فى الدراسة . . ونرى الأم فى آخر العام أو الأب كل منهما يندب حظ ولده ويزعم أنه كان يذاكر كل

العام ويذهب بانتظام إلى المدرسة . . والولد فى سره يضحك على أبويه لأنه يعلم الحقيقة المرة ويدرك أنه قضى العام الدراسى فى اللهو واللعب وغش الجميع . . هذا مثل نُقرِّب به المعنى إلى الأذهان . . لكن . . الفرق كبير . . بين علم الله بأحوال عباده . . وعلم أولياء الأمور بأحوال أولادهم . . واقرأ معى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[آل عمران] . . ويقول سبحانه: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه] . . فهل لنا أن نتدارك الأمر ونُعدّ العُدة ونُقدم عملاً جاداً يُغنى أبناءنا عن الجرى وراء الإرسال الأجنبى الذى يُبث من خلال السماء المفتوحة ويعيد إليهم الثقة بأنفسهم والحفاظ على تاريخهم والاعتزاز بآبائهم وأجدادهم الذين كانوا رعاة غنم فأصبحوا قادة أمم . . وتحولوا إلى شخصيات قادرة صنعت حضارة استظلت الإنسانية بظلها ردحاً من الزمن أساسها . . العدل والإحسان والتسامح . . حتى هتف أحد أبنائهم قائلاً: أولئك آبائى فجئنى بمثلهم .

عادات اجتماعية

المرجعية الدينية فى الخلفية المتوحدة وراء صور وطقوس العادات الرمضانية . . ظهرت على مر التاريخ . . وفى كل عام تظهر أشياء وتختفى أشياء . . فمثلاً (الفاطميون) عندما فتحوا مصر تفاءلوا بفتحها فى شهر رمضان ومن فرحتهم أرادوا أن يُميزوا شهر رمضان بشىء يتعلق بأذهان الناس فأشاعوا (الفوانيس) وهو فانوس به شمعة صغيرة يحمله الأطفال وينطلقون فى الشوارع عندما يتم الإعلان عن ظهور شهر رمضان ابتهاجاً بقدوم هذا الشهر العظيم ثم لا تبرح الفوانيس بأيدى الأطفال طوال هذا الشهر المبارك . . فى أول الشهر يردد الأطفال مع بعضهم:

وحوى يا وحوى . . رمضان جانا . . هل هلاله شهر مبارك . . وحوى يا وحوى . . وبعد عشرة أيام من الشهر يردد الأطفال وبأيديهم الفوانيس وهم ينطلقون من شارع إلى حارة . .

يا فاطر رمضان يا خاسر دينك . . كلبتنا السودة . . هاتقطع مصارينك . . فإذا دخلوا فى العشر الآواخر ينطلق الأطفال كعادتهم والفوانيس بأيديهم يا صايم رمضان . . ياموحّد ربك . . مليكته صبّاحى تبوسك من خدك . . وانتشرت فكرة الفوانيس وعمّت المجتمع العربى . . ذكر ابن جُبير الأندلسى . . رحلته إلى بلاد الحجاز . . فى القرن السادس من الهجرة عن الفانوس قوله . . إن المؤذن الزمزمى كان يتولى التسحير فى الصومعة التى فى الركن الشرقى من المسجد لقربها من دار الأمير فيقوم فى وقت السحور داعياً ومذكراً ومحرضاً على السحور ومعه أخوان صغيران يُجاوبانه . . وقد نصب فى أعلى الصومعة خشبة طويلة عليها قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان مُضيئان مدة التسحير . . فإذا تبيَّن ظهور الفجر وتبيّن الفجر الصادق بالقطع . . حطّ المؤذن المذكور القندلين من أعلى الخشبة وبدأ الآذان وثوّب المؤذنون من كل ناحية . . لأن ديار مكة السطوح كلها مرتفعة فمن لم يسمع نداء التسحير ممن يبعد مسكنه عن المسجد يُبصر القنديلين يُضيئان فى أعلى الصومعة فإذا لم يُبصرهما عَلِمَ أن الوقت قد انتهى وأن وقت السحور قد فات . . ولذلك يقول القائل :

ونجم من الفانوس يُشرق نوره ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجماً قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطرى

إن صناعة الفوانيس أصبح لها متخصصون يعكفون على التفنن فيها طول العام كما إنها أصبحت بأحجام مختلفة وبدءوا يزينونها بقطع من الزجاج الملون . . وبدأ العمال المهرة يدخلون عليها التحسينات والتطور التكنولوچى لتتلاءم مع الزمن ومرور الأيام . . وكان هؤلاء الصناع يقومون بعرض ما أنتجوه قبيل شهر رمضان ليتمكن كل شخص من شراء الحجم الذى يناسبه لأن وجود الفانوس فى كل منزل يحتل عادة اجتماعية تُفرح الأطفال ويبتهج بوجوده الكبار . . فالبعض يعلقه على مداخل بيته والآخر على الشرفات العالية . . أو على باب دكانه ومحل تجارته ، وهكذا دخل الفانوس حياة الناس .

شى مؤسف

الشى المؤسف حقاً أن (الصين) ترقب دائماً البلاد الإسلامية وتدرس كل شىء فى حياة المسلمين دراسة تجارية ثم تقوم بتصنيع هذا الشىء وتصدره بثمن رخيص.. والغرض من ذلك تشغيل الأيدى عندها وفتح أسواق لها لتحتل مكانة عالمية لتكون منفذاً إلى التواجد السياسى.. وهى بلا شك لا تخسر.. لذلك نرى أنها نشرت الملابس الجاهزة فأقبل الناس عليها لجودتها ورخصها وقضت على مهنة الخياطين والترزية فى مجتمعنا إلى غير ذلك .. حتى وصلت إلى الفانوس وأدخلت عليه بعض المحسِّنات للأطفال وقامت بوضع شريط صغير مسجل عليه الكلمات التى يرددها الأطفال وهناك فوانيس تتراقص أمام الأطفال لأنهم صنعوه على شبه عروسة فأقبل الناس على فوانيس الصين الأمر الذى كسدت معه البضاعة المحلية وراجت الصناعة الأجنبية .. وكنا نتساءل أين خبراء التجارة ورجال الاقتصاد.. وأين الملحق التجارى فى الصين .. ولماذا لم يبعث إلى الغرف التجارية الإسلامية ويُنَبِّهُهم .. ويبعث إليهم بعينات ليقوموا بإدخال التطورات على هذه الصناعة حفاظاً على الأيدى العاملة والأسر التى تعيش على هذه الصناعة طوال العام.. إن الأمر جد خطير يتطلب أن نتداركه حتى لا نقضى على أرباب هذه المهنة كما تم القضاء على أرباب المهن الأخرى. . مثل صناعة الخيام.. فقد كان شهر رمضان يحفل بكثير من إقامة السرادقات احتفالاً بشهر رمضان حيث يجلس فى هذه السرادقات قراء القرآن والمنشدون وغير ذلك لكننا اليوم نعتمد على دور المناسبات وأصبحنا نستورد الخيام من اليابان .. ولله فى خلقه شئون!!

المسبحة

قبيل شهر رمضان تجد بعض الذين يترددون على المصالح الحكومية لقضاء مصالحهم .. أو الذين يقومون بزيارة أصدقائهم .. بعض هؤلاء يحملون فى شنطهم أو طيات ملابسهم (مسبحة) يُخرجها الشخص وهو يقدمها إلى غيره يقول.. هدية شهر رمضان كل سنة وأنت طيب ويبدأ الكثير من الناس يظهرون فى

الشوارع قبيل شهر رمضان بيوم أو اثنين وفى يد الواحد منهم مسبحة . . فى نفس الوقت تظهر الطواقى البيضاء بأنواعها المختلفة والكل كذلك يُقبل على شراء ما يراه مناسباً له إن لم تُقدم إليه الطاقية هدية وما يكاد أول يوم فى شهر رمضان تشرق شمسه إلاّ وترى الكثير وقد ارتدى الطاقية والمسبحة في يده. . وقد يكون البعض منهم مُفطراً . . لكنها تقاليد اجتماعية الكل يريد أن يُشارك فيها بالمظهر . . بل إن بعض هؤلاء إذا ذهبت إليه وهو جالس على مكتبه يمسك الصحيفة فى يده ويقوم بفك الكلمات المتقاطعة وتقول له يا ولدى مصلحتى كذا وكذا وقالوا لى هى عندك . . يرد قائلاً دون أن يرفع وجهه عن الصحيفة: فوت علينا بكرة . . يا ابنى مضى علىّ شهر وأنا آتى إليك وتقول فوت علينا بكرة وأنت تعلم أننا فى شهر رمضان وكل سنة وأنت طيب . . فيرد بنرفزة . . مش عاجبك فوت علينا السنة اللى جاية زى النهاردة . . فيرد الرجل . . يا ابنى أنت رجل طيب السبحة فى إيدك والطاقية البيضا على رأسك وأنت صايم ورمضان كريم يحب الكريم . . فيرد بحدِّة وشدة وصياح وهياج ويضرب المكتب بيده والأرض بقدمه وكأن الرجل ارتكب جرماً عظيماً ويتجمع الناس ليدفعوا بالرجل إلى الخارج وهم يقولون له هتضيع صيام الراجل . . لقد شهدت حدثاً مثل هذا فقلت لهم : أتعرفون السبب فى أن هذا الرجل لم يتأثر بالصيام ولم ينتفع بالمسبحة التى فى يده لأنه لم يتعلم من الصيام . . الصبر . . الحلم . . طول البال . . ثم لو كان من المؤمنين الصادقين الحقيقيين لعرف قول رسول الله ﷺ فيما معناه **«لأن يمشى أحدكم فى قضاء مصلحة لأخيه قُضيت أم لم تقض خير له من أن يعتكف فى مسجده هذا شهراً»** . . وقوله **« الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»** . . إن مساعدة الناس وقضاء مصالحهم ينال الإنسان بسببها ثواباً عظيماً . . والمسبحة رغم ارتباطها بالمسلمين وزيادة الإقبال على شرائها وإهدائها للأقارب والأصدقاء فى شهر رمضان ظهرت بدايتها كما تقول (الموسوعة العربية) قبل العصر الإسلامى لأن الكهنة الصينيين اخترعوها لتعلق برقاب الناس كنوع من التعاويذ ثم مع تقدم الزمن صُنعت من الأحجار الكريمة والزجاج والخزف فأصبح البعض يستخدمها للزينة . . ثم استعملها (الفينيقيون) كبدائل للنقود عند التعامل التجارى . . والهنود استخدموها فى السحر . . فكانوا يتخذونها للعد على حبّاتها لاستحضار الجان وغير ذلك . . ثم

انتقلت إلى أوروبا عن طريق البيزنطيين وقد استخدمتها أوروبا فى المعابد أثناء تراتيلهم وترانيمهم وزينوا بها جدران المعبد. . المسلمون لم يعرفوا المسبحة إلا فى نهاية القرن الأول الهجرى. . لأن الرسول ﷺ كان يُسبِّح على يديه . . أو على الحصى. . لكن المسلمين بعد أن عرفوها استعملوها للتذكر بعدد الصلوات والتركيز فى التسبيح لكن الذين أكثروا من استعمالها هم (الصوفية) فكانوا يقومون بالتسبيح والتكبير ويعدون عليها. . وقد شهدت صناعة السِّبح تطورات كبيرة عبر السنوات الطويلة والأزمان المختلفة ودخلت التكنولوچيا فى مجال هذه الصناعة وأصبح لها أشكال وألوان وأحجام يتم تلميعها وكتابة أشياء على الحبة . . وهناك سبح تُصنع من الأحجار الكريمة ذات الرائحة الجميلة كما أن هناك سبح تُصنع من أشياء يظهر لها نور فى الظلام تُعرف (بنور الصباح) وحجر هذه المسبحة يوجد بكثرة فى بولندا وروسيا ومنطقة البلطيق . . وهناك نوع آخر من الأحجار تُسمى الكهرمان وحجر الفيروز الذى يعتقد البعض أن وجود مثل هذا الحجر فى أى بيت يجلب الرزق. . أما أغلى أنواع السِّبح فهى التى تُصنع من اليُسر (وهو شجرة تنبت تحت الماء) . . ويُطَعَّم اليُسر بالفضة. . وهناك سبح تُصنع من العقيق ويعتقد البعض أنه يمنع الحسد وحجره فى اليمن. . وهناك كذلك حجر من العقيق فى دول أفريقيا عندما ينظر الإنسان إلى قطعة منه فى الضوء يرى داخل الحجر شجرة ويُطلق عليه العقيق المشجر وموطنه أفريقيا. . وهناك. . وهناك. . وهناك. . وقد تفنَّن المسلمون فى صناعة السِّبح وكانوا يصنعون منها ثلث سبحة (٣٣ حبة) أو سبحة كاملة (٩٩حبة) . . وإن كان المسلمون يقبلون على شرائها فى أول شهر رمضان بكثرة إلا أن هذه الصناعة هى الأخرى أخذت تختفى ولا يظهر عندنا إلا البائعون الذين يمرون فى الميادين يعرضون بضاعتهم ويُرغِّبون الناس فى شرائها وهى شراء شىء صُنع بيد الأجانب فالمكسب لهم والاستهلاك علينا . . إن عبق التاريخ فى ماضيه المشرق يلتقى مع الحاضر ويقول للأبناء احفظوا هذه الكلمات عنى (. . لنا الصدر دون العالمين أو القبر . .) فهل فهمنا وهل نستوعب الدرس؟؟

الشيشة

ظهرت المقاهى فى المجتمع الإسلامى وأول ما ظهرت . . ظهرت فى تركيا عام ١٥٥٤م فى عهد السلطان (سليمان القانونى) وقد قامت يومها حملة استنكار من الأئمة والعلماء لما رأوه من إقبال الناس على المقاهى وازدحامها بهم بينما خلت بيوت العبادة من الروّاد . . ولم يتراجع الأتراك يومها أمام هذه الحملة . . وأخذت بعد ذلك فى الانتشار وأصبحت المقاهى فى جميع بلاد العالم ويتفنن المشرفون على إدارة المقاهى فى تجميلها وإضفاء الفخامة عليها وتزويدها بكل ما يغرى بقضاء أكبر وقت ممكن ويُحبِّب لروّادها الراحة والخمول حتى أصبحت مصدر تعطيل لروّادها عن النشاط والإنتاج والنهوض الأمر الذى يتطلب إعداد دراسة حول هذه المقاهى وروّادها من الناحية الاجتماعية والنفسية لإعادة طرح جديد لروّاد المقاهى التى أصبحت تجذب العديد من الشباب ومن أهل الحرف والإنتاج . . وتقديم برنامج عمل إليهم لإيجاد توازن بين ساعات الراحة وساعات العمل علماً بأننى وأنا أخط هذا أدرك تماماً أن هذه المقاهى تؤدى خدمات اجتماعية تتفاوت وتختلف بتفاوت واختلاف . . الحالة التعليمية . . المسكن والمعيشة . . الدخل الشهرى . . الوضع الاجتماعى . . إلى غير ذلك من الأمور لأنه يجب علينا أن ندرك تماماً أن بعض الأسر تسكن فى غرفة واحدة أو سكن ضيق ويستحيل على رب هذه الأسرة أن يستقبل الضيوف فى بيته . . كما أن هناك طوائف من العمال يستخدمون المقاهى ليستخدمهم مَنْ يشاء . . كطائفة المنجدين . . والحدادين . . وعمال المطابع إلى غير ذلك من أصحاب المهن التى كانت المقهى تُعرف بأسماء مهَنهم . . ولقد اشتهرت المقاهى بتقديم أنواع المشروبات أهمها الدخان ويُسمّى (التبغ) وهو نبت له ورق عريض وموطنه الأصلى أمريكا . . ولم يعرفه العالم إلاّ بعد أن اكتشف أمريكا (كريستوفر كولمبس) وذلك سنة ١٤٩٢م . . وقد نقله إلى أوروبا (فرنسيسكو فرناديس) واعتبره الناس فى ذلك الحين من الأشياء التى يعالجون بها الأمراض التى تُصيبهم . . فكان الناس يُجففون أوراقه ثم يسحقونها ويستنشقون مسحوقها . . وكان لا يُباع ولا يُشترى إلا للأطباء لتداوله من خلالهم . . وقد ظهر هذا النوع فى مصر فى زمن على باشا الملقب (بالنمر) . . وكذلك ظهر

التمباك بأرض الحجاز ومكة فى سنة ١٠١٢هـ . . كما يقول الشيخ عبدالله الغازى الهندى فى كتابه أخبار بلد اللّه الحرام (ثم انتشر الدخان بعد ذلك وأصبح يزرع فى بلاد كثيرة كتركيا والعراق واليمن وبلاد الشام وأصبح يتناوله الإنسان فى هيئـة سيجار . . أو سجارة . . أو يستعمله فى (البايب) أو يستعمله (كنشوق فى الأنف) أو يستعمله فى (المضغ) فقد كان يُعجن الدخان والعسل وجملة من النباتات العطرية ويصبح ذا نكهة ورائحة مقبولة ويُستحضر بطريقة خاصة . . وكل شخص يستعمل ما يحلو له بعد الأكلات الدسمة . . وقد انتشر بين الطبقات كلها غَنِّيها وفقيرها .

وصار الأمر فى استعمال الدخان بهذه الصور إلى أن ظهرت (الجوزة) وهى قطعة من الغاب تتصل بقطعة من الفخار مصنوعة بحبكة فنيّة بها ماء . . يُقابل الغابة قطعة من الخشب مصنوعة بفن يُعلو هذه القطعة قطعة من الفخار تُشبه الفنجان الواسع يُوضع فى أسفلها قطعة من الحصى صغيرة ثم يُرص الدخان ثم توضع النار ، وعندما يبدأ الإنسان بُشد النفس من الغابة يمر نفسه بالماء فيظهر صوت (كركرة) فيعلو إلى أعلى فتتوهج النار وينسحب الدخان إلى الفم الممسك بالغابة فيخرج من فمه وخيشومه . . وقد قال بعض الظرفاء عندما سألوه عن هذا النوع . . أحرام هذا أم حلال؟ فقال :

سألونى عن الدخان وقالوا ... هل له فى كتابنا إيماء
قلت ما فرط الكتاب بشىء ... ثم أرخت يوم تأت السماء[1]

وقد استتبع ذلك القول بتحريم الدخان أو إباحته وظهرت آراء كثيرة تُعنِّف المتعاملين مع أنواع الدخان أو تمدحهم ولذلك قال بعضهم :

لقد عنَّفونا فى الدخان وشربه ... فقلت دعوا التعنيف فالأمر أحوج
ألا إن عفريت الهموم بصدرنا ... عصانا فدخنا عليه ليخرج

وقال آخر :

وإذا شياطين الهموم تكاثرت ... ودهتك من تعب الزمان أمور
وأردت أن تنسى الهموم وكربها ... دَخِّن عليها عاجلاً فتطيرُ

(١) أى يوم تأت السماء بدخان مُبين - الآية من سورة الدخان رقم (١٠).

إلى غير ذلك مما جادت به قرائح المفكرين إلى أن جئنا فى العصر الحديث ورأينا أن الاستعمار يتفنن فى صناعة الدخان لأنه بعد أن كان يُلف الدخان بأيدى مُتعاطيه فى ورق البافرة والذين يتعاطونه على الجوزة يضيفون إليه ما يشاءون بأيديهم كذلك الذين يمضغون أو يستنشقون فرأينا فى هذه الأيام صناعة السجائر الملفوفة والتى تتسم بالمبسم ثم تُغلف فى علبة صغيرة تُلف فى ورق السُلفان ورأينا المعسل يُعبأ فى ورق فى عبوات صغيرة تُغلف وتقدم بمظهر جميل مُغرى وهكذا ثم يتبعون ذلك ببعض الكلمات الغنائية مثل (يا مسلّى صاحبك يا الدخان) وقولهم كذلك: (الدنيا سيجارة وكأس) إلى غير ذلك من الألفاظ التى أصبحت تصل إلى مسامع الناس حتى قال بعضهم:

دى شيشتى أنيستى جليستى فى وحدتى
تقول فى كركرها بالله خذنى بالتى

إن الاستعمار غيّر المسمَّيات وأصبحنا فى هذه الأيام تمتدح السيجارة وشاربها ويحترم روّاد المقاهى والذين يتعاطون الجوزة أو الشيشة.. المهم أنه فى شهر رمضان يحلو السهر ويتجمع الأهل والأصدقاء لتبادل الأحاديث والحكايات وهذه اللقاءات إما فى المنازل أوالمقاهى ولا يحلو السمر إلاّ على تدخين المعسل وتناول الشيشة.. والطريف أن الكثير من الناس يُعلن أنه ينتظر حلول شهر رمضان للإقلاع عن التدخين.. إلاّ أن الشيء الملفت للنظر ارتفاع كبير فى استهلاك كميات من المعسل وصلت حسب تقدير بعض المسئولين إلى زيادة ٦٠٪ عن الأيام العادية لأن إقبال الناس عليها زاد بشراهة فأصبحت تجدها فى الفنادق والمخيمات الرمضانية بل إن البعض يُقيم مخيمات بجوار المقاهى أو الأندية الكبرى أو فى أماكن تنعدم فيها المقاهى وتكون هذه المخيمات كمشروع تجارى وفى كل هذه الأماكن يزداد الطلب على الشيشة.. وما عرف هؤلاء أن الأنفاس التى تخرج مع الدخان مصحوبة بأجزاء من صحة الإنسان.. وما يتبقى من الدخان يترك آثاره السيئة على الرئتين والقلب لأن تدخين هذه الأشياء يؤدى إلى إضعاف عضلات القلب ويسبب مشاكل للشرايين

فيصعب معها التنفس.. لقد ثبت أن الدخان يلوث البيئة ويمتص أموال الناس ويُخلِّف لهم أمراضاً متعددة يعجز الطب كثيراً عن علاجها ويترك الإنسان فريسة لكثير من الأمراض الأمر الذى تنبهت له الدول الأوروبية والأمريكية وأصدرت الكثير من تشريعاتها لتمنع إقبال الناس على تعاطى هذه الأشياء نظراً لما تُخلِّف من آثار مدمرة فى الإنسان والبيئة وقد بدأت الدول الأوروبية تكتب على علب السجائر أو المعسل أو خلافه (التدخين ضار بالصحة) لكن الشعوب الإسلامية أصبحت لا تهتم ولا تفهم ما يجرى حولها بسبب الدخان الذى أضر بصحة غير المتعاطين له لأنهم سَمُّوهم بالمدخنين السلبيين . . وفى شهر رمضان بدأت المرأة هى الأخرى تقلد الرجل وبعد الإفطار تجد المقاهى قد مُلئت بالرجال والنساء وتفنَّنت بعد المخيمات فكتبت لافتة كبيرة ظاهرة للعيان (يوجد مكان مخصص للنساء) . . والمفروض أن الدخان له رائحة كريهة تنبعث من الفم ولا ندرى كيف قبلت المرأة على نفسها أن تتعامل مع الشيشة التى تترك آثاراً فى فمها والمفروض أن تكون نكهتها طيبة لأنه مصدر من مصادر إقبال الزوج عليها. . والمرأة كأنها تريد أن تثبت وجودها من خلال هذا التعامل مع الشىء البغيض الكريه على النفس. . لذلك نهيب ببناتنا ونساءنا أن يبتعدن عن التعامل مع الدخان ولا يضحك عليهن الشيطان ويتخذهن وسيلة لنشر هذه الآفات الضارة لأنه ثبت أن الدخان يضر بالجنين إذا كانت المرأة حاملاً ويُضعف أجهزتها الداخلية فلا تقوى على حمل الجنين ويفقدها أنوثتها فتصفَّر أسنانها وتضمر شفتاها وتسودّان وتُصاب برائحة كريهة تخرج من فمها فيهجرها زوجها فى الفراش حتى ولو كان هو الذى يشجعها ويتناوب الشيشة معها. . إن الأمر جد خطير يتطلب تحليل هذه الظاهرة التى بدأت تظهر ويستعملها الناس حتى فى السيارات. . ولقد دخلت التكنولوچيا فى صناعة الشيشة بعد أن طوّروها وجعلوا نارها عن طريق الكهرباء أو بطارية السيارة . . ولقد رأيت سائق قطار يمسك بالجوزة فى يده وهو يقود القطار وأخشى أن يأتى اليوم الذى يتسرب فيه هذا العمل إلى قائد الطائرات.

فهل لنا أن نتدارك الأمر قبل فوات الأوان؟؟

هذه عينات من بعض العادات الاجتماعية. . والتقاليد المتوارثة وهى تمثل جزءاً من التراث الثقافى لكل شعب. . لأننا إذا ما نظرنا إلى الشعوب الإسلامية نجد أن العادات تتشابه خاصة فى شهر رمضان. . بل إن الأقليّات الإسلامية التى تعيش فى المهجر خارج وطنها تصطحب معها هذه التقاليد وتنقلها. . وأذكر أننى كنت فى بلد أوروبى وصادف تواجدى هناك فى شهر ربيع الأول فوجدت الأب يعرض علىّ أعمال أولاده الفنية وإذا بابنته وجدتها قد رسمت فى كراستها صوراً متعددة لعروسة المولد الحلاوة بصور مختلفة وأحجام متفاوتة كما قامت برسم الجمهور وهو يقبل على شراء الحلوى وأظهرت صور البنات وهن فى صحبة الآباء. . ثم قامت برسم رجال الطرق الصوفية وهم يحملون البيارق والأعلام وأظهرت الطبلة التى يُدق عليها. . وهكذا أما كراسة الابن فوجدت فيها رسم لحلاوة المولد عن الدبابة. . المدفع. . الطائرة. . وقد رسم الجمهور وهم يقبلون على الشراء وركز على صور الأطفال. . فسألت الرجل ما هذا؟ فقال: أنا اجعل أولادى يعيشون بأفكارهم فى المناسبات الدينية ثم نظر إلى ولده وقال له احضر كراستك فى العام الماضى. . فأحضر الولد كراسته فأطلعنى على صور لشهر رمضان وكان التركيز على فوانيس رمضان والأطفال يحملونها بعد المغرب فى منظر بديع خلاب وكتب تحت المنظر: (كل عام واحنا بنكبر ونحب رمضان ولياليه . . وربنا يقوينا على الصيام والقيام وقراءة القرآن). . فى صفحة ثانية وجدت منظراً لمحل بائع الفول وقد أبرزت الصورة برطمانات المخلّلات وأحد العمال يبيع منها والرجل قد أمسك بقدر الفول وأيدى الجماهير ممتدة إليه بالأطباق وكتب تحت هذا المنظر عبارة (الفول فى الإفطار غذاء الأمراء) لأنه من نعم اللّه الدائمة وخصائصه لا تُحصى . . ثم انتقل الرسم إلى شوارع المدن وهى خالية وفى أحد جوانب المنظر مئذنة ظهر أعلاها رجل وضع يديه على خديه ومن فمه يخرج اللّه أكبر اللّه أكبر. . وفى جانب الصفحة الثانية صورة مدفع. . وانبهرت بالعديد من الصور التى تُعبِّر تعبيراً دقيقاً عن عادات الشعوب فى شهر رمضان. . ولفت نظرى صورة جماعة من الناس وهم خليط من الرجال والنساء يجلسون فى حديقة على شاطىء بحر وقد وضعت أكواب الشاى أمامهم والشيشة فى فم كل واحد منهم حتى النساء وكتب تحت اللوحة (منظر

مؤذى.. يُسىء إلى الشهر الكريم.. وعادة يجب أن تختفى من حياة الأمة الإسلامة).. ولم أتمالك نفسى من الفرحة من التعليق وقمت إلى الغلام فقبلته واحتضنته وقلت له : ما سبب هذا التعليق.. قال : أنا دخلت الحديقة والمفروض أن هواءها طيب لأن النجيل غطّى الأرض بمظهر رائع .. والأشجار عالية ومياه البحر صافية منظر يجعلك تتمنى أن تعيش فيه ولا تخرج لأن الخضرة أجمل شىء تُدخل البهجة إلى نفس الإنسان.. ورؤية الماء يُسعده لكن الدخان الذى يتصاعد من أفواه هؤلاء لوّث المكان وأفسد الهواء.. والمرأة التى يُقال عنها جنس ناعم والمفروض أن وجودها مع الخضرة والماء يُضفى على الجو إنعاشاً للنفس وبهجة لكنها ساهمت فى الإفساد وإلحق الضرر بنفسها.. وأصبحت قدوة سيئة لبناتها ومصدر قلق لزوجها.. والمرأة المدخنة مسترجلة وقد لعن رسول الله ﷺ المرأة المسترجلة التى تتشبّه بالرجال وأعمالهم.. وأنا أعجب .. والكلام ما زال على لسان الفتى ابن ١٥ سنة أو أكثر.. إزّاى الرجال يدخنون السيجار أو الشيشة أو يتعاملون مع الدخان بأى صورة فى هذا الشهر الكريم الذى تصحو فيه الإرادة ألم يعلموا أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.. طيب اللى بيتعاملوا مع الدخان وهم يعلمون أن له رائحة كريهة تبقى بالفم فترة طويلة والرسول ﷺ يقول: **«من اكل ثوماً او بصلاً او كُراثاً فلا يقربن مسجدنا هذا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»**.. فإذا كان الرسول نبّه على مَنْ يأكل أشياء لها رائحة تُؤذى الغير فما بالنا برائحة الدخان وتوابعه .. لقد أعجبنى هذا الرجل الذى ربَّا أولاده فى الغربة بهذا الأسلوب .. وكم تمنيت أن يفهم الناس أن الأموال التى تُبدّد فى الهواء وليس هناك عائد تنموى على الإنسان.. إن كانت هذه الأموال زائدة عن احتياجاته فليتصدق بها على أهله وأقربائه أو يُشارك بها فى عمل مشروع خيرى له نفع على أهل الحى .. لأن شهر رمضان شهر كرم وجود وسخاء من القادرين للمحتاجين ومن الأغنياء للفقراء .. إن إنفاق المال وتبذيره فى الدخان بكل أنواعه هو :

١ - إنفاق المال فى غير موضعه .. وهذا سفه وتبذير وقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء] كذلك هو

إسراف للمال فى غير محله والإسراف حرام وقد قال الله فى ذلك ﴿ .. **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴿٣١﴾ ﴾[**الأعراف**] . .

٢ - إن التعامل مع الدخان تدمير لخلايا الإنسان وإضعاف لقوة المناعة بل قالوا بأن نَفَساً من الدخان يقصف دقيقة من عمر الإنسان وهذا حرام لأن اللَّه تعالى نهانا عن قتل أنفسنا ومُتعاطى الدخان يقتل نفسه ببطء ويلقى بنفسه إلى التهلكة ويدمر مستقبله وقد قال الله تعالى﴿ .. **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** .. ﴿١٩٥﴾ ﴾[**البقرة**] . .

٣ - التعامل مع الدخان يلوث البيئة وتلويث البيئة إفساد فى الأرض وقد قال اللّه تعالى :﴿ ... **وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا** .. ﴿٨٥﴾ ﴾[**الأعراف**] . .

٤ - التعامل مع الدخان يضر بالأطفال والشيوخ الكبار لأن التدخين السلبى يُضر بصاحبه . . وقد ثبت أن مرض الصدر الذى انتشر فى المجتمع سببه هذا التعامل مع الدخان . . والإسلام نبّهنا أنه لا ضرر ولا ضرار . . وإذا كان المدخن يريد أن ينتحر ببطء وأن يجلب لنفسه الأمراض والعاهات هو حُر فى نفسه ونضع أمام عينيه حديث رسول الله ﷺ :«**لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يُسأل عن اربع.. عن عمره فيما أفناه.. وعن شبابه فيما أبلاه.. وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه.. وعن عمله ماذا عمل به**»[رواه الترمذى] . .

إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرف قدرها إلاّ المرضى والإسلام حرّم علينا الخبائث ضماناً لدوام الصحة وإبقاءً على نضارة الإنسان ووجاهته . . وأباح لنا الطيبات لنستمتع بها مع الصحة والعافية لنحيا فى ظل السعادة وجو الأمن والهدوء النفسى . . فهل نتخذ شهر رمضان فرصة ونترك العادات التى لا تتلائم مع ديننا ونحرص على الاستفادة من أيام هذا الشهر الفضيل ونكثف العلاقات الاجتماعية بين أفراد العائلة والأهل والأصدقاء والجيران ونعمل على تدعيم المودة بزيارة الأقارب . . ونقوم بعمل الواجبات الاجتماعية .

إن كل المؤمنين الصادقين ينتظرون قدوم شهر رمضان المبارك بكثير من المودة والرهبة . . ولكل شخص أسبابه الخاصة لكن لا يتناقض بالضرورة مع السبب الجوهرى الروحى الذى يجعل من أيام شهر رمضان أيام عيد وبهجة وفروح وسرور .

تعجيل الفطر

الناس صاموا وبدأت الشمس تتجه ناحية الغرب لتغرب . . فإذا غاب قرص الشمس واختفى نهائياً وجب الإفطـــار لقول رسول الله ﷺ: **«إذا جـاء الليل من ها هنا وذهب النهار من ها هنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم»**[رواه الترمذى] . . فإذا تحقق للصائم الغروب فليفطر لقول الرسول ﷺ: **« لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»**[أخرجه الشيخان] . . والمعنى . . لا يزال أمر أمتى منتظماً وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة ولا يزال الدين الإسلامى ظاهرا ما عجل الناس فطرهم فى الصيام امتثالاً للسنة فهم بخير ما حافظوا عليها فإذا خالفوها كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه . . والتعجيل أفضل لأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة بالفطر تسكن النفس ويشعر الإنسان بالراحة ويذهب عنه ما ألمَّ به من صداع أو هبوط . . يقول الشافعى: (تعجيل الفطر مستحب ولا يُكره تأخيره إلاّ لمن تعمّد ذلك ورأى الفضل فيه)(١) . . ويُستحب كون الفطر قبل صلاة المغرب ليطمئن قلب الإنسان فى الصلاة وينقطع عن الشواغل . . ويُفضل أن يكون الإفطار على رُطَب فإن لم يجد فَتَمْراً فإن لم يجد فعلى ماء . . لما روى أن رسول الله ﷺ قال: **« إن كان أحدكم صائما فليفطر على التمر فإن لم يجد فعلى الماء فإن الماء طهور»**[أخرجه أحمد والبخارى] ولما روى أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يُفطر على رطبات فإن لم تكن حَسَى حُسُوات من الماء)[رواه أبو داود] . . لقد دلّت الأحاديث على استحباب الفطر على رطب أو تمر حتى ولو كان الإنسان بمكة فالأفضل قبل أن يشرب من زمزم أن يفطر على ما تقدم لأنه ثبت أنه ﷺ صام عام الفتح أياماً كثيرة ولم ينقل عنه أحد أنه خالف عادته التى هى تقديم الرطب والتمر .

---

(١) الأم للشافعى - باب الصيام .

الحكمة فى طلب الإفطار على التمر

التمر حُلو يُقوى البصر الذى يضعف بالصوم. . والمعدة الخالية إذا وصل التمر إليها أولاً حَصُل به الغذاء. . وإن كان بالمعدة بقايا طعام ساعد على الهضم . . وهذا من كمال شفقة النبى ﷺ على أمته ونصحه لها (فإن إعطاء الطبيعة الشىء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله وانتفاع القوى الجسدية به لاسيما قوة الإبصار. . وأما الماء فإن الكبد يُصاب بالتيبّس من أثر الصوم والماء يُرطبه ليتهيأ لاستقبال الطعام. . لهذا كان الأولى بالظمآن الجائع فى أى وقت أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء ثم يأكل بعده)[1] . .

وقد ثبت من ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز اسم (النخلة) فى عشرين آية دليل على أن ما تجود به من تمر ورطب خير كثير للإنسان . . فالتمر غذاء ودواء. . لذلك وجّه الرسول ﷺ إلى إطعامه للنساء حيث قال: «**اطعموا نساءكم التمر فإن مَنْ كان طعامها التمر خرج ولدها حليماً**». . ويقول عمرو بن ميمون (ما من شىء خير للنفساء من التمر والرطب) ولذلك وجّه اللّه مريم عندما كانت وحيدة وهى تضع ولدها عيسى عليه السلام أن تهز جزع النخلة فقال لها: ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** .. ﴿٢٦﴾ ﴾[مريم]. . (لأنه ثبت أن التمر والرطب الأكل منهما يقوى الكبد. . ويُلَيِّن الطبع ويُبرئ من خشونة الحلق وهو من أكثر الثمار تغذية للجسم. . وأكله على الريق يقتل الدود . . وهو فاكهة وغذاء . . وهو دواء وشراب وهو مقوى للعضلات والأعصاب ويُؤخر أعراض الشيخوخة وإذا أضيف إليه الحليب كان من أحسن الأغذية والقيمة الغذائية فى التمر تضارع بعض ما لأنواع اللحوم وثلاثة أمثال ما للسمك وهو مفيد للمصابين بفقر الدم والأمراض الصدرية وليس فيه ما فى اللحوم من أضرار لأنه يحتوى على كمية كبيرة من البروتين والعديد من الأملاح المعدنية والفيتامينات. . وهو مُهدئ للأعصاب القلقة المضطربة وللمزاج العصبى . . وهو مفيد فى حالات اضطرابات المجارى البولية ويُدر البول ويُساعد الجهاز الهضمى ويُنبّه حركته ويُسبب فى الأمعاء ليناً لطرد البقايا

الغذائية فيزيل الإمساك وإذا أُكل البلح قبل نضجه فإنه يعالج الإسهال وإذا تم وضعه فى ماء مغلى فإنه يوقف النزيف الدموى الذى يكون نتيجة التهاب البواسير أو التهاب اللثة)[1]. . هذا هو التمر الذى أوجد اللّه شجره كثيراً فأصبح سعره رخيصاً وهذا من فضل اللّه وكرمه على الإنسانية فهل نتنبه إلى ما فى كون اللّه من خير لصالح الإنسانية وذلك من نعـــم اللّه علينا وقد ذكـــرنا بذلك عندمـــا قال : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** .. ﴿١٨﴾ ﴾[**النحل**] . .

عطاء الله

خيرات الأرض لا تُحصى ولا تُعد وصيدلية السماء مليئة بما يُنعش الإنسان. . وخذ مثلاً شجر النخيل . . فهو رفيق الإنسان منذ التاريخ القديم . . وكان ثمرها طعام رسولنا الكريم ﷺ فقد كان يقضى أيام عديدة طعامه الوحيد التمر والماء وقد نبهنا إلى تناوله فى شهر رمضان لأنه غذاء كامل. . وشفاء للكثير من اعتلال الصحة. . والعجب أن عندنا النخل بكثرة وعطاؤه كثير وقد ثبت أن تناوله يُؤخر أعراض الشيخوخة ويزيد فى الباه ولاسيما مع حَب الصُّنوبر . . وإذا أضيف إليه الحليب يزيد فى القوة الجنسية وهو بشكل عام يفيد الأطفال والرياضيين والعمال والناقهين والنساء الحوامل. . ونحن نعجب من أن دول الغرب عرفت ما فى التمر من فوائد وعن قيمته الغذائية العالية وما يحتويه من عناصر المعادن والفيتامينات علاوة على الفسفور أخذوا ذلك منّا وصَدَّروا إلينا الفيتامينات المصنّعة كيميائياً وأخيراً خرجوا علينا بحبوب (فياجرا) وقالوا عنها أنها مُنشطة لكذا وكذا وتهافت عليها الناس وأصبح لها سوقاً سوداء. . ولو أنهم عرفوا أن التمر مع الحليب أقوى من هذه الحبوب مئات المرات . . فقد أكدت الأبحاث الطبية أن التمور مادة أساسية لنمو الجسم وبنائه والوقاية من فقر الدم وغذائه وعلاجه وبناء العظام والأسنان فى الأطفال والمحافظة على قوة بنائها فى البالغين . . ولما كانت التمور يوجد بها البوتاسيوم وبالتالى ينعدم الكلوستيرول فإن ذلك يساهم فى المحافظة على سلامة القلب والشرايين وأن التمر يزيد فى الباه (القدرة الجنسية) ويُخصِّب البدن ويُحسِّن اللون. . فإلى الذين يبحثون

عن الفياجر المستوردة نقول لهم عودوا إلى الطبيعة وإلى ما أعطاكم اللّه من خير كثير فالتمر ينشط بدن الإنسان ويقويه ويؤخر ملامح الشيخوخة ولذلك قيل (بيت لا تمر فيه جياع أهله) . .

والحمد للّه الذى بحمده تتم الصالحات نرى أن خير اللّه كثير ولكن الناس أنفسهم لا يفقهون . .

وما دمنا نتكلم عن فوائد ما أعطانا اللّه من خير فى أشياء طبيعية فهناك (العرقسوس) فقد اكتشف المحللون أن به حامض (الجليسرين) كما تم استخراج مادة (الكورتيزون) منه وقد جَرّب الأطباء علاج الروماتيزم بهذه الأشياء فأعطت نتائج باهرة كما أن له نتائج هامة فى تنقية الدم وفقره والتهاب قرحة المعدة والأمعاء . . والعرقسوس شراب مفيد جداً لقيمته الغذائية والدوائية فى نفس الوقت . . يقاوم العطش لأن منقوع جذوره مُرطّبة ومدرة للبول ومكافحة للإمساك . . وتستعمل عصارة جذوره ضد التهاب الحلق والحنجرة فيكافح به الصائم الإحساس بالجفاف . . إن علينا أن نعود إلى صيدلية السماء لنجنى لأنفسنا ثمار السعادة ونحقق لأنفسنا أعلى مستوى الخير فى الدنيا والآخرة .

إننى أرجو من العلماء المنصفين أن يعملوا على تحليل ظاهرة الجرى وراء كل مستورد . . والبعد عن كل شىء حبتهم به السماء . . ولا شك أننا سوف نخرج من التحليل النفسى والاجتماعى . . أن وسائل التعليم بها نقص كبير فى المعلومات عن البيئة الطبيعية وأثرها فى مد الإنسان لما يحتاجه . . وان كل إنسان ابن بيئته وأن ما فيها يتلائم مع متطلبات حياته اليومية من كل شىء فيه خيره وسعادته . . حُجبت هذه المعلومات عن قصد أو غير قصد . . المهم بعد التحليل والوصول إلى نتائج مترتبة على قواعد علمية نبدأ فى إعادة صياغة العقل ليفهم خير اللّه الذى منحه له وأن ما أنتجه اللّه من زرع وأشجار وفواكه وثمار فيه الخير كل الخير للإنسان . . وأن ما يُصدّر إلينا من إنتاج الدول الأجنبية دخله كيماويات ولاشك أننا نعالج شيئاً ونضر شيئاً آخر بالكيماويات لأن مَنْ زار الأطباء وتردد على الصيدليات وتعاطى العقاقير لا يزال

هكذا حتى يقضى اللّه أمراً كان مفعولاً . . ثم إن الإعلام هو الآخر قَصَّرَ فى تقديم القيم الغذائية للمنتجات الطبيعية فلو أنهم أقاموا الدائرة المستديرة لمناقشة العلماء وإعطاء جرعة تثقيفية للجماهير الذين هم أحوج الناس إلى ذلك حفاظاً على صحتهم وعدم البحث عن الفياجرا التى يُغنى عنها البلح مع الحليب أو العرقسوس . . وإن للّه فى خلقه شئونا .

إسراف وتبذير

ما يكاد هلال شهر رجب يهل على العالم إلاّ وتجد وسائل الإعلام بدأت فى نشر الإعلانات عن السمن والزيت . . والبلح والزبيب والياميش وعن الكميات التى تم استيرادها . . ثم يظهر فى التليفزيون عنوان (مائدة اليوم) ويُحضرون أكبر طاه فى أفخر المطاعم ليعرض خبرته فى صناعة المأكولات والمشهيّات وكيف تُقدم الأطّباق على المائدة علاوة على ذلك فإن جميع الجرائد والمجلات حتى الإذاعة المسموعة تُقدم إلينا طبق اليوم وأفضل ما يقدم فى شهر رمضان على مائدة الإفطار وهذا الصنف يُطهى بسمن كذا وبجواره سلطة ومتبلات عليها زيت كذا . . فى منتصف شهر رجب نفاجأ بتصريحات المسئولين تملأ وسائل الإعلام تتحدث عن الكميات التى تم استيرادها من كل شىء يخطر على بال الإنسان أو لا يخطر . . بعد عشرة أيام تظهر إعلانات التجار بدعوة الجماهير إلى حجز ما يحتاجونه من كذا وكذا لأن الكمية محدودة . . وهكذا . . ثم يخرج علينا تصريح لأحد المسئولين أن المطروح فى الأسواق يعادل أكثر من مائة وخمسين فى المائة مما يُطرح فى الأيام العادية . . لماذا هذه الضجة الإعلامية؟ احتفالاً بشهر رمضان . . وكأن شهر رمضان شهر أكل وشرب . . ثم تظهر بعض الأغنيات فى الراديو والتليفزيون وهى تمثل لنا وتُسمعنا صوت المغنى وهو يقول لزوجته وقد دخل عليها المطبخ . . طبخلنا كذا وكذا وكذا . . بس طب فين كذا وكذا وكذا . . ثم يقول يا اخواتى صائم ومراتى عايزة تجوعنى . . إنه عدّد أكثر من عشرة أصناف ثم يدّعى بأن زوجته عاوزة تُجيعه . . بهذا المظهر يكون شهر رمضان قد تحول إلى أكل وشرب ويفقد ميزته الروحية ولا تكون الثمرة المرجوّة للصيام . . إن

الصيام تدريب لصحوة الإرادة وتخفيف من ملئ البطون فإنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه.. والمعدة بيت الداء.. فيكف يتثنى لنا أن نستقبل شهر رمضان بهذه الزفة وبهذا المهرجان الذى يحتاج إلى أصحاب البطون ولا يحتاج إلى أصحاب العقول والتفكير.. ويتحول الشهر إلى ولائم.. ومشاهدة المسلسلات وتبادل الشيشة بين الرجال والنساء.. لذلك نجح عالم الاقتصاد ورجال المال فى تحقيق أكبر قدر من فائدة المبيعات بمناسبة هذا الشهر الكريم.. فى نفس الوقت هناك إعلانات عن موائد للرحمن التى تُقام للإفطار ويكتبون بجوار الإعلان عن بعض الموائد (لوكس فاخر) وهذه الموائد يتم حجزها من قبل صلاة العصر.. فالذين يجلسون عليها من قبل العصر لا يُصلون العصر.. والبعض يُشعل سيجارته.. فكأن الحاجزين غير الصائمين.. كما أن الفنادق تعلن عن تجهيز القاعات وإعداد الموسيقى لإدخال البهجة على الناس عند الإفطار إلى غير ذلك من أشياء لا يرضى بها أى إنسان عاقل ولايُقرها إنسان صائم.

خلافات.. وخناقات

ربات البيوت ما يكدن يسمعن عن المطروح فى الأسواق إلاّ ويسيل لعابهن ولايجف اللعاب إلاّ إذا أمسكت بالقلم ودوّنت المطلوب ويأتى زوجها من العمل مرهقاً فتستقبله باسمة قائلة.. رمضان كريم يحب الكريم.. وكل سنة وأنت طيب.. فيرد عليها.. إحنا فين ورمضان فين.. ترد قائلة.. بشائر رمضان جت.. وحاجاته وصلت.. وبكميات محدودة.. وأنا عملت لك كشف بالمطلوب أهه.. ويبدأ الرجل فى قراءة الكشف فتزعجه الكميات المطلوبة.. فيطالب بتقليل الكميات فتقول له.. عايزة أعزم بنت خالى وجوزها وأولادها.. واعزم عمى وأولاده.. وتستمر تسرد الأُسَر المطلوب عزومتها وكلهم أقاربها يقول لها.. طيب.. فين أخى وأختى.. دا إنتى أخذتى الشهر كله دعوة إلى ولائم.. فتقول له.. أقاربك بعد العيد.. وهنا يقسم باللّه أنه لن يشترى أى شىء.. وهنا تقوم خناقة وتنتهى بالزعل وهجر البيت.. ولقد رصدت أكثر من خمس سنوات هذه الحالة.. فكنت أجد أن

نسبة الخلافات تزداد عنفاً من أول شعبان وتبلغ ذروتها فى العشر الآواخر بخصوص الكعك والبسكويت. . وتنتهى غالباً بالمحاكم والطلاق وتشريد الأولاد. . ليه؟ لأن الناس لم يفهموا المطلوب لشهر رمضان. . فشهر رمضان شهر جود على النفس أن تبرها بالتقوى وليس شهر أكل وملئ بطون. . فشهر رمضان فى الدرجة الأولى هو شهر عبادة وشهر العتق من النار وشهر قراءة القرآن وقيام الليل والتهجد ومن المعلوم أن المعدة إذا مُلأت نام الإنسان كثيراً وإذا نام كثيراً فاته الخير الكثير. . ثم إننا فى ظل ظروف تحتم علينا أن نراجع أنفسنا لأن شهر رمضان يُعلمنا الرحمة والتكافل الاجتماعى. . فكيف يهنأ لنا أن ننفق أموالنا على هذه المأكولات ونحن نسمع ما يجرى لإخواننا فى فلسطين وكشمير والشيشان . . أليس من الأولى لنا أن نُقلل من الأكل ويكفى ما قاله لنا رسول اللّه ﷺ **«بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبة فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»** . .

إن شهر رمضان شهر تخفيف على المعدة. . وكان الأولى بهذه الضجة الإعلامية أن تُنوِّه بالصيام وفضله وعدم ملِئ البطون لأن الصيام فرصة نتخلص من الدهون الزائدة فى أجسامنا ونخفف الضغط عن الأوعية الدموية فى عروقنا لأن الأطباء أجمعوا على أن تناول الطعام بكثرة عند الإفطار. . يُربك المعدة ويُقلل الحركة. . ويضعف الهمة. . ويفقد ما حققه الصيام من كل خير لجسم الإنسان. . إن الواجب على المسلمين ألاَّ يُكثروا من تنوع الأطعمة على موائد الإفطار وأن يكون الاكتفاء بصنف أو صنفين فقط وأن لا يُهدروا كثيراً من أنواع المأكولات التى يرمون بها فى أكياس القمامة لأن هذه نعمة إن لم يأكلها الإنسان يُحاسب عليها من رماها. . لذلك كان الأولى بوسائل الإعلام أن تستضيف علماء الدين فى يوم ليشرحوا للناس ما هو الفرض وما هو السُّنة وكيف يُهيأ الإنسان نفسه للصيام وما هى النية ومتى يقولها الإنسان؟ وكيف يصوم الإنسان على طهارة وما هى الطهارة؟ وما هى الأشياء التى تفطر الإنسان؟ لأن الناس يعيشون فى هذا الزمن فى توتر عصبى نتج عن ذلك أمراض متعددة وظهرت البخَّاخة والقطرة. . ونقط الأنف. . ومرهم البواسير. . وعلاج المهبل عند النساء. . وكل هذا يحتاج إلى كلام وكلام وكلام فى أجهزة

الإعلام . . ثم يكون هناك دور لرجال الصحة النفسية ليدور الحديث عن العائد النفسى من الصيام وأثر الصيام فى الصحة النفسية وغير ذلك كثير . . ثم يكون دور لعلماء الاجتماع . . ودور لرجال التشريع كيف التعامل مع المفطرين المجاهرين والأسلوب الأمثل فى ردعهم إلى غير ذلك مما يجب الحديث عنه . . لكن للأسف يتم الحديث عن هذه الأشياء فى وسائل الإعلام بعد عشرة أيام من ظهور شهر رمضان . . لأن الدعاية عن حاجات شهر رمضان تستغرق شهر شعبان والعشرة أيام الأول . . فإذا دخلنا فى العشرين من شهر رمضان اختفى الحديث عن ذلك وظهرت الإعلانات عن الكعك والبسكويت . . تماماً كما يُفعل فى موسم الحج . . فبعد أن يُسافر الناس نبدأ فى شرح مناسك الحج . . فالإعلام لا ينشر أى شىء عن الدين وأهدافه إلا بعد الانتهاء . .

إننا فى حاجة ترتيب الأوليات . . وكم كنا نتمنى أن تكون هناك سهرة موحَّدة كل ليلة على جميع قنوات التليفزيون ويُنتقى لها خيرة العلماء من علماء الصحة النفسية . . وعلماء الاجتماع . . وعلماء القانون . . وعلماء الدين . . وأن تُحدّد قضايا عامة تتعلق بشئون البلد والمواطنين . . وما هو الدور الذى يجب أن يؤديه الصائم . . وهل صحيح نوم الصائم عبادة؟ أم هى مقولة كذب وافتراء . . وتكون هذه السهرة لمدة ساعة يتم وضعها على الخريطة بعد صلاة التراويح بنصف ساعة على الأقل . . لأن الإعلام المرئى أثره عظيم فى توجيه الرأى العام . . المهم . . أن كل مسلم عليه أن يعلم أن شهر رمضان شهر عبادة وتقرب إلى الله بالطاعة وكل شىء يظهر فيه للاستهلاك لا نُقبل عليه إلاّ بقدر الحاجة.

الدعاء عند الإفطار

ساعة الفطار لحظة فريدة يتقبل اللّه فيها الدعاء . . لذلك يُستحب من الإنسان أن يدعو ربه لقول الرسول ﷺ «**إن للصائم عند فطره لدعوة ما تُرد**»[رواه الترمذى] . . وقد خُصَّت الأمة المحمدية بهذه الميزة حيث أعطيت هذا الفضل الإلهى . . وكان عبدالله بن عمرو يقول إذا أفطر (اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى)[رواه ابن ماجة] . . وكان من قول رسول الله ﷺ عند الإفطار: «ذهب

الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى»[أخرجه أبو داود]. . وكان يقول: «**اللهم لك صُمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم**»[أخرجه الطبرانى]. . والإنسان يدعو الله تبارك وتعالى وهو يرفع الطعام إلى فمه ويدعو بما يُريد لنفسه ولأولاده وللمسلمين بالخير والسعادة والهناء لأنها لحظة فريدة للصائم فيها فرحة . . والملائكة يستغفرون له لأنه أدى ما عليه للَّه رب العالمين . .

ومن المعلوم أن حياة الناس حدث فيها اضطراب وهرج وتشعَّبت بهم الشُّعَب التى استولت على قلوبهم التى لم تُصبح فارغة من ظلمة الشهوات لهذا يتطلب الأمر أن نعمل على صفاء القلب عند الإفطار لأن الدعوة ساعتها مقبولة إنشاء الله ولن يقبل الله الدعوة من قلب لاه . . لذلك سُئل إبراهيم بن أدهم . . ما بالنا ندعو اللـه فلا يُستجاب لنا . . وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**... ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر] قال لأن قلوبكم ميتة. . قيل وما الذى أماتها؟ . . قال: ثمانى خصال. . قيل: وما هى؟ قال:

١ – عرفتم حق الله ولم تقوموا به.

٢ – وقرأتم القرآن ولم تعملوا بما فيه.

٣ – وقلتم نُحبُّ رسول الله ﷺ ولم تعملوا بِسُنَّته.

٤ – قلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له.

٥ – وعرفتم أن الشيطان لكم عدو وقد قال الله لكم ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** .. ﴿٦﴾ ﴾[**فاطر**] فاتبعتموه وواطأتموه على المعاصى.

٦ – وقلتم نخاف من النار وعملتم بعمل أهلها.

٧ – وقلتم نُحبُّ الجنة ولم تعملوا لها.

٨ – إذا قمتم من فروشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم؟

علينا أن نتدبر فى هذا ونعتقد أن اللَّه يتقبل الدعاء من القلب الفاهم الواعى اليقظ.

الفطر عند الغير

لاشك أن توجيه الدعوة إلى الناس لُيفطروا عندك ويتناولوا الطعام معك فهذا شىء عظيم ومظهر كريم يدعم روابط المحبة ويزيد فى الألفة والمودة ويتم ذلك على أساس عدم التبذير فى إعداد الوليمة أو الإسراف المنهى عنه. . ومن الأفضل أن الإنسان مع ضيوفه لابد له أن يكرمهم . . فيتناولون التمر أو الماء ثم يقومون بأداء صلاة المغرب جماعة ثم يجلسون بعد الصلاة فيتناولون طعام الفطور وهم يتبادلون الأحاديث وبعد الإفطار يُستحب من الضيف أن يدعو لصاحب الدار فيقول له كما روى عن رسول اللّه ﷺ: «**افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة**»[أخرجه ابن ماجة] . . واعلم يا أخى أن اللّه تعالى سيعطيك أجراً عظيماً نظير الذين أفطروا عندك. . بشرط ألاّ تتكلف لهم. . لأن الجود أن تجود بالموجود. . ولا تُرهق ميزانيتك بسببهم حتى لا تتضرر بزيارتهم وتكرههم بسبب ما أحدثوه لك من ربكة فى الميزانية. .

إن الإسلام يحب البساطة واليُسر وهو دين التخفيف ولقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن مَنْ فَطّر صائماً على شربة ماء أو مذقة لبن له أجر عظيم ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ فطّر صائماً فى شهر رمضان من كسب حلال صلّت عليه الملائكة ليالى رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر ومَنْ صافحه جبريل عليه السلام يرق قلبه**[1]**.. وتكثر دموعه**». . قال: فقلت. . يا رسول الله أفرأيت مَنْ لم يكن عنده؟ قال: «**فقبضة من طعام**». . قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده لقمة خبز؟ قال: «**فمذقة من لبن**». . قال: أفرأيت إن لم تكن عنده؟ قال: «**فشربة من ماء**»[رواه ابن خزيمة].

وعلينا أن نعلم أن خير الطعام ما كَثُرت عليه الأيدى. . وشارك الفقراء الأغنياء فى تناول الطعام. . أما شر الطعام. . فهو الذى يُدعى إليه الأغنياء ويحجب عنه الفقراء. . لذلك نُنبِّه على أن الولائم التى تقام إن أراد صاحبها ثواباً فلا يمنع عن

(١) أى يرق قلبه فيخشى اللّه فيعمل عملاً صالحاً ويُعدّ من الصالحين ويُحشر مع المتقين.

مائدته الفقراء لأنه كما جاء فى الحديث القدسى : **«المال مالى.. والأغنياء وكلائى.. والفقراء عيالى.. فإذا بخل وكلائى بمالى على عيالى أدخلتهم فى نارى ولا أُبالى»** . .

هذا العطاء للمسلمين فى شهر رمضان دليل على أن هذا الشهر له منزلة عظيمة لأنه وسيلة إلى الامتناع عن المعاصى. . وسيلة إلى التقوى. . وفيه قهر الشيطان وكسر النفس. . لأن الشّبع نهر فى النفس يَردُه الشيطان والجوع نهر فى الروح تَردُه الملائكة لهذا فإن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع والعطش وتذكّر حال الفقراء والأيتام والمحرومين فيسارع الإنسان إلى رحمتهم ومواساتهم . . والصوم رياضة للنفس وراحة لأعضاء الجهاز الهضمى. . لأن النفس إذا شبعت مالت إلى الشهوات. . وإذا جاعت امتنعت عما تهوى. . لذلك كان الصيام علاجاً للشباب يقوى إرادتهم ويهذب عزيمتهم ويسمو بأرواحهم ويطهر نفوسهم ويبعدهم عن المعاصى لهذا قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء»**[رواه الشيخان] . .

لذلك ينبغى لكل عاقل الإكثار من العبادة فى رمضان لأنها فى الأيام المباركة والرسول ﷺ يقول: **«ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان.. ولا أتى على المنافقين شهر شر لهم من رمضان .. وذلك لما يُعدّ المؤمنون فيه من القوة للعبادة وما يُعدّ المنافقون فيه من غفلات الناس وعوراتهم .. هو غُنْم للمؤمنين يغتنمه الفاجر»**[أحمد والطبرانى] . . إن المنافق يتتبع عورات الناس فى أثناء غفلتهم عن الدنيا فالفاجر يغتنم هذه اللحظات ويبدأ فى إحصاء عورات المسلمين. . لكن الله ينتقم منه ويُذيقه العذاب الإليم.

وإذا كان السخاء فى شهر رمضان مطلوباً فهذا اقتداء برسول الله ﷺ (الذى كان أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)[رواه الشيخان] . .

التفريط فى صيام رمضان

الإنسان العاقل هو الذى يتحلى بالفضائل ويتجمل بالأدب. . ويتخلى عن الرذائل . . وشهر رمضان فرصة تضاعف فيه الحسنات. . أما مَنْ فرّط فى العبادة وشهد بالزور على الناس وشرب الخمر وتعامل مع المخدرات فمثل هذا فرّط فى شهر رمضان لذلك قال أبو هريرة : « مَنْ أفطر يوماً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وإن صامه»[ذكره البخارى]. . والرسول ﷺ يقول : « **عُرَى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أُسِّسَ الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم.. شهادة أن لا إله إلاّ اللَّه والصلاة المكتوبة وصوم رمضان**»[حديث صحيح رواه الديلمى] . . فكأن الذى يُفطر بلا عذر فى نهار رمضان دمه حلال لكن الحاكم هو الذى يُحاسبه ويُعذبه وإذا كان الإفطار بلا عذر حرام فكذلك الذين يفتحون المطاعم أو المقاهى فى نهار رمضان حرام لأن الناس بسبب فتحهم لهذه المحلات يُجاهرون بالإفطار وأصحاب هذه المحلات يتعاونون معهم على الإثم والعدوان والمفروض أن يصدر قرار من الحاكم بغلق هذه المحلات فوراً ولو كان أصحابها من غير المسلمين فإن الكفار مُخاطبون بفروع الشريعة لذلك يَحرُم تقديم الطعام والشراب فى المطاعم أو الفنادق لأى مكلف بالصيام. . ويكفى أنه فى الليل تُدار هذه المحلات وبها اللهو ولعب القمار وغير ذلك. . إننا نرى المساجد فى شهر رمضان يؤمها كثير من الناس ولكن قليلون بالنسبة لمن يؤمّون دور السينما ويترددون على المسارح ويجلسون فى الأندية لشرب الشيشة وغيرها. . إن مجتمع المسلمين لابد أن يكون أنظف من ذلك وأطهر لأن الإسلام دين النظافة والطهارة. . ولقد ورد تحذير شديد ووعيد لمن يتجرأ على مخالفة اللَّه ويقع فى جريمة الإفطار فى رمضان. . من غير عذر شرعى وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ صوراً من عذاب الذين يفطرون بلا سبب فقد قال عليه الصلاة والسلام : « **بينما أنا نائم أتانى رجلان فأخذا بضبعى - أى كتفى - فأتيا بى جبلاً وعراً فقالا: اصعد .. فقلت :إنى لا أُطيقه .. فقالا: إنّا سَنُسهله لك .. فصعدت.. حتى إذا كنت فى سواء الجبل إذا بأصوات شديدة .. قلت: ماهذه الأصوات؟ .. قالوا: هذا عواء أهل النار.. ثم انطلقا بى فإذا أنا بقوم معلقين بعرقيبهم مُشققة أشداقهم تسيل دماً.. قال:**

قلت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: الذين يفطرون قبل تَحلّة صومهم»[رواه ابن حبان] . . إن المفطر بدون عذر سجّل الشقاء على نفسه فى الدنيا والآخرة . . وضيّع ثقة الناس به وباء بالخسران الشديد والخزى والعار وغضب اللَّه عليه وطرده من رحمته . . وما ظلمهم اللَّه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . .

أما الذين يفطرون بعذر شرعى عليهم ألاّ يُجاهروا بالإفطار حتى لا يضع الواحد منهم نفسه موضع التهمة . . وحتى لا يؤذى مشاعر غيره وفوق ذلك يُعظم شعائر اللَّه ﴿ . . **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴿٣٢﴾ ﴾[**الحج**] . .

إن صوم رمضان فرض مفروض من اللَّه تعالى على كل مسلم ومسلمة ومعلوم من الدين بالضرورة ومن ترك الصوم جحوداً وشكَّكَ فى فرضيته فهو كافر حلال الدم كما قال الرسول ﷺ لذلك علينا أن نتنبّه إلى كل هذا . .

النية

الإنسان الذى يعزم على صيام شهر رمضان عليه أن يُبيِّت النيَّة فى كل ليلة لصيام يوم رمضان والنيَّة أن يقول (نويت صيام غد من شهر رمضان فرضاً إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم) . . والأفضل النيّة فى كلِّ ليلة لأن الصيام عبادة وكل عبادة لها نيّة تميزها لقول اللَّه تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴿٥﴾ ﴾ [البينة] . . ويقول الرسول ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل إمرئ ما نوى**»[أخرجه الشيخان] . . ويُستحب أن يقولها الإنسان بالليل قبل الفجر لقول الرسول ﷺ : «**مَنْ لم يُجمِّع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»[أخرجه أحمد وغيره] . . ويؤكد ذلك قـــول الله تعالـــى : ﴿ . . **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴿١٨٧﴾ ﴾[**البقرة**] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : «**لم يُبيِّت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له**»[رواه البيهقى] . .

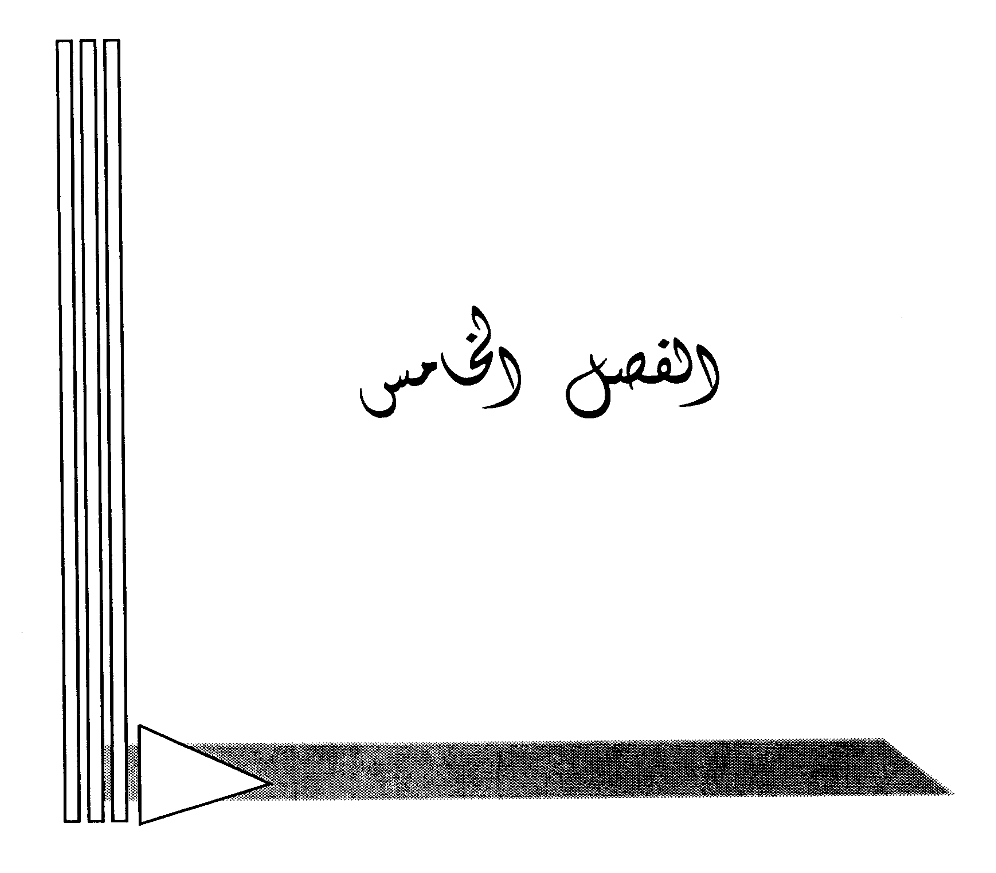
إن الصيام وسيلة إلى شكر نعمة اللَّه ونعم اللَّه على العباد كثيرة وعلى كل إنسان عاقل أن يعلم أن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ومن فضل اللَّه دائماً أنه يخفف

عنا فهو القائل ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء]
ولما كانت نيّة الإنسان تتشعّب فعليه أن يُبيِّت النية ويؤكد على طاعة اللّه وشكره بصيام غد من شهر رمضان . . لذلك نوجه النظر إلى أن النية أمر مهم وثواب الإنسان من عبادته على قدر إخلاصه فى نيته وطاعته .

الأكل ناسياً

من رحمة اللّه بالناس أنه تجاوز عن كثير من أعمالهم فمن أكل أو شرب أو جامع زوجته ناسياً أنه فى شهر رمضان وأنه صائم فلا شىء عليه لحديث رسول الله ﷺ **«مَنْ نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه اللّه وسقاه»**[أخرجه البخارى ومسلم] . . ونحن أُمرنا أن نتعامل مع الناس على حسب الظاهر أما الباطن وما فى القلوب فاللّه أعلم به وهو الذى سيحاسب العباد وهو سبحانه يعلم كل شىء ولا تخفى عليه خافية .

ومن احتلم نهاراً وهو صائم لا يبطل صومه . . كذلك مَنْ نظر إلى عورات النساء فأنزل . . لكن الإمام مالك وأحمد قالا (بأن مَنْ نظر إلى النساء فأنزل يفسد صومه) ولا يبطل الصوم بالاكتحال ولا بما يُفطر فى العين ولو وجد طعمه فى حلقه فعليه أن يبزقه ولا شىء عليه وشم الروائح العطرية لا يُفسد الصوم . . ومَنْ غلبه القىء لا يبطل صومه ولو كان ملىء الفم لحديث رسول الله ﷺ : **« ومَنْ ذرعه القىء وهو صائم فليس عليه قضاء ومَنْ استقاء عمداً فليقضِ»**[أخرجه أحمد] . .



الفصل الخامس



الفصل الخامس
ما يُفسد الصوم

يفسد الصوم ويوجب إعادة هذا اليوم بعد شهر رمضان :

١ - من ابتلع أى شىء فوصل إلى الجوف ولو خطأ . . كمن يتمضمض فيبالغ فيسبق الماء إلى حلقه أو يكون قد أكل مجاملةً .

٢ - يفسد الصوم بوصول أى شىء مائع إلى الحلق من الفم أو الأذن أو العين ويبتلع ذلك لقول الرسول ﷺ : « **إنما الإفطار مما دخل وليس مما خرج** »

[أخرجه أبو يعلا]

٣ - يفسد الصوم تعمد القىء . . لقول الرسول ﷺ « **من استقاء عمدا فليقض** »[أخرجه أحمد] . .

٤ - ويفسد الصوم مَنْ تسحَّر بعد آذان الفجر . . ومَنْ أفطر قبل غروب الشمس . .

٥ - مَنْ جامع زوجته وهو يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبيّن له أنه أذّن فقد فسد صومه وعليه القضاء .

٦ - يفسد الصوم بإنزال المنى إذا احتضن الرجل زوجته أو استمنى فأخرج ماءه بكف يده فهذا حرام علاوة على قضاء اليوم .

٧ - يفسد الصوم بنزول الحيض أو النفاس ولو كان قبل المغرب بلحظات علماً بأن المرأة الحائض أو النفساء لا صيام عليهما وعليهما الإعادة .

٨ - هناك ما يفسد الصوم ويوجب القضاء والكفارة . . وهذا فى حق الذى يجامع زوجته فى نهار رمضان وكان ناوياً الصوم وفعل ذلك عمداً وهو مختار فيجب القضاء والكفارة على الفاعل والمفعول . . وهذا الرأى قال به الإمام مالك وأبو حنيفة

ورواية عن الإمام أحمد . . والإمام الشافعي يقول الكفارة على الفاعل فقط . . والكفارة هي واحد من ثلاثة :

أ - الكفارة الأولى عتق رقبة . . فإم لم يجد فينتقل إلى :

ب- صيام شهرين متتابعين فإن لم يقدر انتقل إلى :

جـ- إطعام ستين مسكيناً .

ومن وطىء أكثر من مرة فى أيام متفاوتة وجب عليه الكفارة عن كل يوم .

ملحوظـة

إن تساحقت المرأتان فلم يُنزلا فلا شىء عليهما . . إن أنزلتا فسد صومهما ويكون حكمهما حكم مَنْ يتعامل مع زوجته فيما دون الفرج أى عليهما الإعادة فقط وإن كان هذا العمل محرماً .

النصر وحلاوته

فى شهر رمضان والناس تأكل الحلوى ما بين الياميش والقطائف . . والكنافة والولائم . . يحلو لهم الحديث عن النصر والحلاوة المعنوية والسعادة النفسية التى يُحسُ بها مَنْ انتصر على عدوه . . والنصر لا يتم إلاّ بالتخطيط القائم على العلم المنضبط على القواعد التنظيمية . . لأنه لا ينال العُلا إلاّ مَنّ سهر الليالى وبحث فى تاريخ الآباء والأجداد واستخلص العبر والعظات . . ووضع القواعد والبدائل . . وأقام جسراً من المودة والفهم والوضوح بين القاعدة والقيادة . . لأن أى صراع بين طرفين لا يتم النصر لأحدهما إلاّ بالعلم والتخطيط وتقدير المواقف . . إن أى دولة تشعر بأن دولة تفوّقت عليها فى التقدم والازدهار والصناعة والزراعة وَوَفْرَة المواد فإن الدولة المتخلّفة والمتأخرة تنظر إلى الدولة السابقة الناهضة فى المنهج التربوى والعلمى والتثقيفى الذى تقدمه الدولة المتقدمة إلى أبنائها وشعبها من خلال القنوات الإعلامية والترويحية بالحسرة ويصيبها اليأس لعدم قدرتها على مثل . . الأساس فى البناء العقلى لأبناء الوطن المتخلف . .

لذلك ما يكاد شهر رمضان يهل علينا إلاّ ونتحدث عن النصر الذى تحقق للمسلمين فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وصولاً بعد ذلك إلى غزوة تبوك التى وقعت بعض أحداثها فى شهر رمضان فى السنة التاسعة للهجرة. . مروراً بفتح مكة هذا الحدث العظيم الذى لا ينساه التاريخ لأن هذا الحدث له دَوِىّ فى العالم أجمع إلى يومنا هذا. . وما أشبه اليوم بالبارحة فنحن نعيش فى واقع كله مآسى وأزمات تكشف عن الضعف الذى ألمّ بالعرب والمسلمين لأنهم لم يقرأوا التاريخ ولم يستوعبوه. . فأحداث التاريخ تمر عابرة لم يستفد أحد من دروسها. . لهذا فإن المسلمين اعتدوا على تاريخهم الطويل المؤسس على الحقائق الثابتة ولم يستطيعوا توظيف هذه الحقائق فى مجتمعهم المعاصر الملئ بحركية الأفعال والمؤثر فى مسيرة الإنسانية . . إننا نسترجع التاريخ بمناسبة الذكرى فقط. . فنحتفل بغزوة بدر وفتح مكة أو عندما نتذكر طارق بن زياد بعد أن هزم روذريق قائد القوط فى موقعة تُعرف بموقعه (البحيرة) واستولى على مضيق سُمِّى باسمه مضيق جبل طارق ويومها أحرق السفن التى تنقل الجند وقال كلمته المشهور (البحر من ورائكم والعدو من أمامكم فقاتلوا قتال الشجعان توهب لكم الحياة) وكان ذلك فى رمضان سنة ٩٢هـ وفُتحت الأندلس ودخلها الإسلام.

كذلك انتصر المسلمون فى موقعة عين جالوت فى شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ بقيادة المظفر قطز سلطان المماليك فى مصر ويومها صاح بأعلى صوته (وا إسلاماه) وانهزم المغول أمامه بعد هذه الصيحة لأنها كانت من قلب مسلم يصوم نهاره ويقوم ليله فأيّده اللّه بنصره ﴿ . . **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ** . . ﴿١٢٦﴾ ﴾[**آل عمران**].

كذلك موقعة الزّلاَّقة (مكان قريب من البرتغال الحالية) وقعت هذه المعركة فى ٢٥ رمضان يوم الجمعة ٤٩٧هـ وكان القائد (يوسف بن تاشفين) وكان جند أعدائه أكثر من ثمانين مقاتل بقيادة (الفونس) وهو أعظم قائد فى جيش الفرنجة ومع العدد والعُدّة انهزموا لماذا؟ لأن المسلمين أولاً تمسكوا بالدين. . ثانياً اتحدوا مع بعضهم. . ثالثا التخطيط الدقيق للمعركة والاستعداد التام لها كل ذلك يؤدى إلى النجاح ولو كان الرِجال قِلّة والعُدّة ضعيفة والمؤن غير كافية. . وهذا ما حدث فى شهر رمضان

سنة ١٣٩٣هـ عندما انتصرت مصر بقيادة أنور السادات وعبرت القوات المصرية أكبر مانع مائى.. وحطّمت خط برليف أكبر تحصين نارى عرفته البشرية وكسرت ذراع إسرائيل التى كانت تزعم أن يدها أطول يد فى العالم وأن تفوقها يفوق الخيال وكانت إسرائيل نائمة مطمئنة تحلم بغزو القاهرة ولكن فوجئت بالناس الجياع (كما كانت تُسمِّيهم) يهجمون عليها صباح مساء وسلاحهم القوى الجبار صيحات تتعالى من حناجر الأبطال (اللَّه أكبر وللَّه الحمد).. لقد زُلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل واهتز عرش قوتها وتحطّمت قُدراتها واستغاثت بأولياء نعَمهاَ فجاءوا إليها ولكن.. بعد أن حرّرت مصر أرضها ورفعت أعلامها ثم دخلت فى مفاوضات سياسية من ورائها قوة عسكرية تحمى الحق وتحافظ على الأرض والعرض والشرف.

إن الأحداث التاريخية يجب أن ندرسها بعناية.. ولكن أحد الشباب فى يوم من الأيام كان يعترض ويقول إن تاريخ المسلمين الأُوَل لا ينفعنا اليوم.. لأن المناخ الاجتماعى والظروف الدولية تغيرت عن الأمس.. قلت له.. الإسلام يؤمن بالتطور ويعترف بالظروف الاجتماعية التى هى نتيجة للتقدم العلمى فى كل شىء ولكن تعال معى نقف أمام أحداث غزوة نُحلِّلها ليتبيّن لنا أن الفوائد مشتركة والنتائج واحدة ولكن هناك قيم ثابتة لا تتغير والغزوة وهى:

بدر الكبرى

قبل أن ندخل فى تحليل الموقف أودُّ أن أضع يديك على نقطة هامة هى أن الإسلام دين سلام.. يحرص على نشر السلام بين الإنسان ونفسه.. بين الإنسان وأسرته.. بين الإنسان ومجتمعه.. بين الأسرة وجارتها بحيث يتعايش الجيران فى محبة ووئام.. ثم بين المجتمع والمجتمعات المجاورة له وفى هذا يقول الحق سبحانه ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].. فالإسلام يحرص على الإنسان أيّاً كان نوعه

أو دياناتـــه ويعلن القرآن بوضــوح ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[المائدة] . . والمسلمون عاشوا أكثر من خمسة عشر سنة وهم يتحملون العذاب وفوق العذاب الأليم مقاطعة الكفار . . لا يبيعون للمسلمين أى شيء والمسلمون لا يتمكنون من بيع منتجاتهم لأى أحد والمسلمون لا يتمكنون من أن يتزوجوا من أى امرأة ولا يزوِّجون بناتهم ولا نساءهم لأن الحصار مضروب بعنف وبشدّة حول المسلمين والمقاطعة شعار رفعه المشركون . . لقد مرّ المسلمون بسنوات مضنية كلها إرهاق وعذاب وحصار ومقاطعة . . وصبر المسلمون ولم يرفعوا حتى العصا فى وجه أعدائهم إلى أن تآمر المشركون على قتل رسول الله ﷺ وهاجر من مكة إلى المدينة وهاجر المسلمون معه وأخذ المشركون أموالهم حتى الملابس والنعال أخذوها واستولوا على ديارهم ومحلاتهم بما فيها وعانى المسلمون مُعاناة شديدة بعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً على نزول الوحى وبعد أن سُلب من المسلمين كل شيء بلغتهم أن قافلة تجارية تمر بالقرب من المدينة فخرجوا إليها يريدون أخذها استرداداً لجزء يسير جداً وقليل بالنسبة لما أُخذ منهم . . وبهذا تعترف كل القوانين الحالية أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة . . وهذا مبدأ معترف به فالمسلمون إذاً لم يكونوا قطاع طريق ولم يفكروا أبداً فى أخذ أى شيء ليس من حقهم . . ولقد عرف المشركون بتفكير المسلمين وما بيّتوا عليه النيّة فغيّروا مسيرتهم . . عند هذا الموقف ويظهر أن الأمر قد انتهى . . لكن المشركين فى مكة لما عرفوا بذلك جمّعوا جموعهم وخرجوا بسلاحهم وعدّتهم الحربية أكثر من ألف رجل معهم المغنيات والراقصات والخمر وفى خروجهم بطر ورياء ويعلنون أن القضاء على محمد ومن معه أمر واجب . . وخرجوا . . وبلغ خبر خروجهم إلى المسلمين . . وهنا تظهر الحكمة من رسول الله ﷺ والكياسة والفطانة فلم يشأ أن يدخل فى معركة إلاّ إذا كانت القاعدة مع القيادة فى تفاهم تام وعلاقة طيبة . . ولذلك وقف الرسول ﷺ وقال للناس: أشيروا علىَّ أيها الناس . . ووقفت عناصر من كل الاتجاهات وأبدت رأيها

بصراحة وبعد أن سمع الرسول هذه الآراء يقول أشيروا على أيها الناس . . فوقف سعد بن معاذ . . وكان شخصية شعبية ورجل من الأوس له كلمته ووزنه لثقة الناس به . . والتفافهم من حوله . . وقال سعد كأنك تريدنا يا رسول اللّه؟ قال: أجل . . قال: أجل . . قال سعد: لقد آمنّا بك وصدّقناك وأعطيناك على ذلك عهودنا . . فامض لما أمرك اللّه فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنَّا لصبُر عند الحرب صُدُق عند اللقاء ولعلّ اللّه يُريك منّا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة اللّه . . فَسُرَّ القائد العظيم من هذا المنطق السليم والقول السديد . . ولو نظرنا إلى مجريات الأحداث لتبيّن لنا أن المشركين دائماً وأبداً هم الذين يبدؤن بالعداء للمسلمين . . ويشنون عليهم أنواع العذاب ثم الحصار ثم الاستيلاء على الدور والمال . . وها هم اليوم يخرجون من مكة إلى المدينة مسافة لا تقل عن ٤٠٠ كيلو . . فماذا يفعل الرسول؟ هل يستسلم ويتخاذل؟ أم يدافع عن الحق الذى يؤمن به وعن الناس الذين آمنوا به وهاجروا معه وضحّوا فى سبيل ذلك بكل شىء . . ويدافع كذلك عن الذين استقبلوه فى ديارهم وفتحوا بيوتهم واقتسموا ما عندهم بالسَّوِيَّة مع إخوانهم المهاجرين برضا وحب وإيثار . . إذاً لابد للرسولﷺ أن يدافع عن نفسه وعن إخوانه الذى آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه . . ولقد أذن اللّه لهم بحق الدفاع عن أنفسهم فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ... ﴿٤٠﴾﴾[الحج] . . والرسول عليه الصلاة والسلام بدأ يضع فى تقديره الموقف العسكرى الذى سيدور القتال من خلاله لذلك وضع أمامه عِدَّة نقاط أهمها:

١ – عَدُوّه : عدده وعُدَّته . . أسلوبه فى التحرك وتشكيلاته . . معنوياته وتفكيره . . هذه النقاط لابد أن تكون هناك عيون لرسول الله ﷺ ترصد على المشركين أنفاسهم . . وتحصى عليهم أفكارهم . . وهذا ما حدث . . مما يدل على أن الرسول ﷺ كان فى قمة اليقظة والانتباه لكل شىء وكان قد أرسل بطلحة بن

عبيدالله . . وسعيد بن زيد لأنه أرسلهما يتحسسا الأخبار ويتعرفان على ما يجرى بين صفوف الأعداء ويستكشفان كل شىء ويبعثان بذلك إلى رسول الله ﷺ .

٢ - طبيعة الأرض التى ستكون مسرحاً للعملية الحربية لأن أسلوب القتال يختلف باختلاف طبيعة الأرض . . وهذا ما يُسمّى فى عصرنا برسم الخرائط .

٣ - حالة الجو وقت سير المعركة . . فالجو له تأثير كبير على سير العمليات وعلى معنويات المقاتلين . .

٤ - الموازنة بين القوات وبين قوات العدو من زوايا العدد . . السلاح . . القدرة القتالية . . هذه الأمور كانت فى ذهن الرسول ﷺ وهذا ما يجب أن يتحلى به القائد لأنها أمور أولية لكنها أساسية للوصول إلى القمة وتحقيق النصر الذى له حلاوة فى فم المنتصرين بعد التخطيط المحكم .

٥ - التحرك إلى أرض المعركة . . والاستماع لأهل الخبرة . . وقبول النصيحة التى تقدم إلى القائد ولو من أصغر جندى . . لذلك نرى أن الرسول ﷺ عندما تحرك مع رجاله البالغ عددهم ثلاثمائة قد يزيدون خمسة عشر . . ونزل أدنى ماء بدر . . تقدم (الحباب بن المنذر) وقال له : يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه اللّه؟ ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: بل هو الرأى والحرب والمكيدة . . فقال إذاً غَيِّر هذا المكان وأشار إلى مكان آخر . . ونظر الرسول ﷺ إلى مُحدِّثه فعرف الصدق فى رأيه لأنه له خبرة ومعرفة باستراتيچية الأرض لذلك نزل على رأيه . . لأن الأمر شورى . . وكل فرد يشعر بأنه مسئول عن الجماعة وهذه المسئولية تجعله يبحث عن أفضل الوسائل ويقدم خلاصة فكره واجتهاده وعصارة رأيه لإنجاح قومه وإبعاد أى خطر عنهم . .

٦ - عدم تعالى القائد على الجند والتلطُّف بهم وحُسْنِ التعامل معهم قبل بدأ المعركة . . أما إذا بُدِئ القتال فلا رأى إلاّ للقائد لذلك نرى أن الرسول ﷺ كان يصفُّ الصفوف ويُعَدِّ لها بعصا فى يده . . فمرَّ بـ (سواد بن غزية) حليف بنى النجار . . وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب على بطنه . . وقال: استقم يا

سواد . . فقال سواد: ضربتنى فأوجعتنى يا رسول الله . . والعدل أن أقتص منك (فأقدنى) من نفسك . . وتعجب المسلمون . . ما هذا الموقف من سواد . . الأعداء أمامنا . . والحرب تدق طبولها . . وسواد يريد أن يقتص من رسول الله . . أهذا موقف؟ . . لكن الرسول ﷺ كشف عن بطنه وقال: استقد يا سواد . . فاعتنق سواد رسول الله ﷺ وقبّل بطنه ومسح وجهه على البطن الشريف . . فقالوا له : ما حملك على ذلك؟ فقال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدى فى الدنيا أن يُمس جلدى جلدك . . فدعا له النبى ﷺ بخير .

٧ - المبادءة . . فالجيش القوى نفسياً المهيأ لخوض المعركة عليه أن يبدأ بتوجيه الضربة الأولى قبل أن يحطم العدو عدته ومعنوياته ولهذا جاء فى توجيه الرسولﷺ فى أول أمر قتال فى تاريخ الحروب الإسلامية قوله عليه الصلاة والسلام : « **إذا دنا القوم منكم فانضحوهم عنكم بالنّبل[1] واستبقوا النبل** » . . ثم اتجه هو إلى ربه يدعوه لأنه استنفذ كل ما لديه من قدرات فى الإعداد والتأهب وعمل كل ما يمكن عمله كبشر لكنه يُدرك تماماً أن النصر من عند اللّه لأن البشر مهما كانت قدرتهم وقواتهم فهى بجانب قدرة اللّه لا تُساوى أى شىء . . لذلك وجّه اللّه المؤمنين إلى أن يُقدموا على الحرب ولا يتراجعوا لأن من حرص على الموت فى سبيل اللّه وُهِبَتْ له الحياة . . فيقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ** ﴿١٥﴾ ﴾[الأنفال] . . ويقول اللّه لحبيبه ومصطفاه بعد أن بذل جهده واستفرغ طاقته إن مشيئتنا معك وبقدرتنا سوف نُحوّل التراب فى يدك إلى قنابل ذرية تحصد العدو وتقتله وتدمره مهما كانت قدرته وعُدّته وأنتم لن تستطيعوا على قتلهم لكننا سنقتلهم . . كيف؟ تلك مشيئة اللّه والعبرة بالنتائج لهذا قال الحق سبحانه : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿١٧﴾ **ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ** ﴿١٨﴾ **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ**

عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[الأنفال] . . إن الرسولﷺ اتجه إلى ربه وأخذ يناشده وهو رافع يديه إلى اللّه ويقول: «**اللهم إن تُظهر علىَ هذه العصابة يَظهر الشرك ولا يقم لك دين**»[1] . .

٨ – التفاؤل والثقة بالنفس: رسول الله ﷺ أخذته سنَة من النوم لأنه كان مهموماً فرأى فى المنام أن أعداءه قلّةَ وأنهم ضعاف وهذه الرؤيا جعلت فى قلب النبى ثباتاً وأمناً وثقة بالنصر إنشاء الله ويُقص الرسول ﷺ رؤيته على أصحابه فتتأثر نفوسهم بذلك وتنعكس رؤيا الأعداء فى نظر المسلمين إلى شخصيات هزيلة قليلة العدد والعُدَّة وإلى هذا أشار الحق سبحانه :﴿ **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٤٤﴾** ﴾[**الأنفال**] . . ويوجه الحق سبحانه وتعالى المؤمنين إلى أسباب النصر . . وأن مَنْ يريد أن ينتصر على خصمه فعليه أن يسمع النداء من رب العباد وأن يلتزم بالتوجيه ليتحقق له ما يريد . . فيقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾[**الأنفال**] . . إن التفاؤل والثقة بالنفس لابد أن يرتكزا على إيمان قوى باللّه . . هذا الإيمان لابد أن يقترن بالعمل الذى حَدَّده اللّه فى كتابه الكريم وبيّنه الرسول ﷺ لأنه كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدّقه العمل**» . .

٩ – عدم الغرور . . وعدم الاستعلاء . . وعدم احتقار العدو مهما كان وضعه أو التقليل من شأنه . . هذه هى أمور مُهلكة مُدمِّرة مهما كان الإنسان فى قوة . . لأن هذه الأشياء هى من إيحاءات الشيطان وخداعه للإنسان . . ونقف أمام المشركين لنرى وضعهم فعندما رأوا المسلمين بدءوا فى ممارسة أشياء تدل على أنهم ينظرون إلى

---

(١) امتاع الاسماع .

المسلمين نظرة استخفاف . . لذلك لمّا رأى المشركون المسلمين طلع (زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه فاستجال بفرسه يريد أن يتبوء للقوم منزلاً . . فقال رسول الله ﷺ وهو ينظر إليه يختال **«اللهم إنك أنزلت علىّ الكتاب وأمرتنى بالقتال ووعدتنى إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد.. اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم أحنِهم الغداة»**[1] . .

رسول الله ﷺ بسماحته ورحمته وحبه للناس وكراهيته للحرب لأنها خراب ودمار وقتل للإنسان بعث بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ليقول للمشركين: (ارجعوا فإنه إن يل هذا الأمر منّى غيركم أحبُّ إلىّ من أن تَلُوهُ منّى . . وأن أليَهُ من غيركم أحبّ إلىّ من أن أليَهُ منكم)[2] . . بعدما سمع المشركون كلام عمر وهى رسالة رسول الله ﷺ إليهم ومُلَخَّصها أننا أهل وأقارب وأصدقاء فلا داعى للحرب وقد أيّد هذا الكلام حكيم بن حزام وقال بأن الرجل (عرض نَصَفاً فاقبلوه) واللّه لا تُنصرون عليه بعد ما عرض من النَّصَف . . فقال أبو جهل واللّه ما نرجع بعد أن أمْكنَنَا منهم . . هذا موقف . .

موقف آخر يدل على الكبرياء والتعالى والغرور مُلخصه (أن قريشاً بعثت عمير ابن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن الجمحى) ليحذر المسلمين . . فلما لم يَرَ لهم مدداً ولا كميناً رجع إلى المشركين فقال . . القوم ثلاثمائة إن زادوا قليلاً معهم سبعون بعيراً وفَرَسَان ثم قال: يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا . . نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم ألا ترونهم خُرْساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى واللّه ما أرى أن يُقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلاً فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير فى العيش بعد ذلك!! . . ثم بعثوا (أبا سَلمَة الجشمى) فأطاف على المسلمين بفرسه ثم رجع فقال واللّه ما رأيت جلداً ولا عِداداً ولا حلقة ولا كُراعى . . ولكنى رأيت قوماً لا يريدون إلا أن يؤوبوا إلى

---

(١) إمتاع الإسماع - جـ١ - ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) إمتاع الإسماع - جـ١ - ص ٧٢ .

أهليهم مُستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف فَأروْا رأيكم!! وكان من رأى حكيم بن حزام أن ترجع قريش لكن أبا جهل ومَنْ على شاكلته أفسدوا هذه الخطة وحَرّشوا الناس وبدأ يدفع إلى مناوشة المسلمين وشبّت الحرب[1] . . هذا موقف قريش والذى شجعهم على الغرور أن الشيطان جاء فى صورة (سُراقة بن مالك بن جُعشم المدلجى) وقال لأبى جهل تلميذه الوفى . . لاغالب لكم اليوم فأنا معى قوة لا تُقهر وأخذ الشيطان يُحرض أبا جهل . . لكن الشيطان أبصر (جبريل عليه السلام) . . يزع الملائكة فولّى مُدبراً لكن أبا جهل تشبّث به فضرب الشيطان أبا جهل فى صدره وهو يقول له (أنى أرى مالا ترون) . . فوقع أبو جهل على الأرض وفرّ الشيطان وهو لا يُرى حتى وقع فى البحر وفى هذا يقول الرسول ﷺ «**ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذاك إلاّ لما يرى فيه من تَنزّل الرحمة وتجاوز الله على الذنوب العظام إلاّ ما رؤى يوم بدر فإنه رأى جبريل يزع[2] الملائكة**»[رواه مالك والبيهقى] . . وكان جبريل عليه السلام قد ظهر على هيئة دحية الكلبى إلى كل هذا يُشير الحق سبحانه فى قوله مُوجِّهاً النصيحة للمسلمين ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴿٤٨﴾** ﴾[**الأنفال**] . .

١٠- الحرص من القائد على رفع الروح المعنوية فى الجند . . وهذا سلاح خطير جداً ولقد استخدمه رسول الله ﷺ فى أول معركة حربية قادها بنفسه . . والعرب لم يعرفوا هذا السلاح من قبل . . وتلقّفت القيادات بعد ذلك هذا الكشف

(١) إمتاع الإسماع - جـ١ - ص ٨٢، ٨٣ - لحزُر أى يُقدّر عدد المسلمين . . نواضح يقصد أن البعير التى مع المسلمين ليست للحرب . . تحت الحجف يقصد أن المسلمين ضعاف جداً . .

(٢) يزع : أى يدفع ويُصفُهم حتى لا يتقدم أحدهم على الآخر . . امتاع الإسماع - جـ١ - ص ٦٨ .

العسكرى . . وجعلته فى مقدمة أساليبها فى تكوين الجيوش وخوض المعارك . . لأن الجيوش دائماً تتميز (بالروح المعنوية) ومدى تأصّلها فى نفوس الجند . . لقد وصف قائد خبير بفنون الحرب . . وصف المسلمين بأنهم سيحققون النصر دائماً لأنه اطلع على أمورهم وشاهد استعدادهم وأحسَّ بروحهم القتالية . . ولمسَ ارتفاع معنوياتهم . . ورآهم فى منظر يبعث الرعب وقد تراصَّت صفوفهم كالبنيان المرصوص . . وتلاحمت أجسامهم . . وعقدوا العزم على قهر عدوِّهم . . وبيّتوا النيِّة على الفوز . . إما بالنصر . . أو الشهادة والفوز بالجنة وشعارهم .

إن عاش عاش سعيداً تحت رايتها

أو مات مات شهيداً حوله الحور

إنهم يعملون للّه وهو سبحانه القائل لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[التوبة] . .

لهذا فإن رفع الروح المعنوية عند الجند أن يكون القائد فى أول المسيرة وأن يدفع بأقاربه أولاً حتى لا يظن الجند أن القائد يحمى نفسه وأقاربه عن ملاقاة العدو ولهذا أجمع الصحابة على أن رسول اللّه ﷺ كان دائماً فى المقدمة ويقول الصحابة ما رأينا أحداً أقرب إلى العدو من رسول الله ﷺ وفى أول معركة رأينا أن رسول الله ﷺ دفع بأقاربه إلى المبارزة لأن المشركين خرج منهم (عُتبة . . وشيْبة . . والوليد) . . ودعواْ إلى المبارزة . . فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار وهم(معاذ ومعوّذ وعوف . . بنو عفراء) فاستحيا رسول الله ﷺ وكَرِه أن يكون أول قتال . . لقى فيه المسلمون المشركين . . فى الأنصار . . وأحبَّ أن تكون الشوكة ببنى عمّه وقومه . . فأمرهم فرجعوا إلى مصافِّهم . . وقال لهم خيراً . . ثم نادى منادى المشركين . . يامحمد . . أخْرِجْ إلينا الأكفاء من قومنا . . فقال ﷺ يا بنى هاشم . . قوموا فقاتلوا بحقكم الذى بُعِث به نبيّكم . . إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّه . . فقام

(على . . وحمزة . . وعُبيدة بن الحارث بن المطلب) . . فمشوا إليهم . . وكان على رضى الله عنه مُعْلَماً بصوفة بيضاء . . فقال عُتبة لابنه قم إلى على يا وليد . . فقام . . فقتله على . . ثم قام عُتبة فقتله حمزة . . ثم قام شيبة فقام إليه عُبيدة فضربة شيبة فقطع ساقه . . فكَرّ حمزة وعلى فقتل شيبة واحتملا عُبيدة إلى الصف . . فنزلت فيهم ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾[الحج] . . هذه أمور يجب على قادة المسلمين أن يتدارسوها وإن كانت أساليب الحروب تغيرت إلاّ أن أمورا ثابتة تكاد أن تكون من القيم التى لا تتغير . . ولأن المسلمين طبقوا هذه القواعد فى أول غزوة كان النصر العظيم الذى أحرزه المسلمون ذا أثرٍ كبير فى نفسية المسلمين . . فقد اشتدت سواعدهم وقويت شوكتهم . . وهانَ عدوهم فى نظرهم وأصبحوا لا يُبالون به . . وقد ازداد الإيمان فى قلوبهم فاقتربوا من اللَّه وحرصوا على لقائه . . وهم له متعبدون بالصيام . . والقيام . . والجهاد فى سبيل الله . . لذلك أقبل المسلمون على الجهاد وهو فى حالة صيام وكأنهم فى حالة فُسحة يتنزهون لذلك قالوا(إحرص على الموت توهب لك الحياة) وصاح آخر :

لا تسقنى ماء الحياة بِذلّة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل

وكان الواحد منهم يضع يده فى جيبه فإن وجد تمرة أخرجها ونظر إليها قائلاً واللَّه إن عشت حتى آكلك إن ذلك لعمر طويل . . واللَّه إنى لأشم رائحة الجنة تهبُّ علىَّ من هنا ثم يرمى بالتمرة وهو ينخس فرسه ويقول :

ركضا إلى اللَّه بغير زاد إلاّ التُّقى وعمل الميعاد

بهذه الروح المعنوية وهذا الحماس الجارف كل المسلمون يتقدمون إلى المعارك لأنهم تربوا على مائدة القرآن ورأينا المسلمين وهما يلتحمون بالمشركين . . ورسول اللَّه ﷺ رافعاً يديه إلى السماء يسأل اللَّه النصر ثم أخذ بيده الشريفة حفنة من الحصى ورمى بها ناحية المشركين وهو يقول (شاهت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم) فانهزم أعداء اللَّه رغم الكثرة وزلزلت الأرض زلزالها تحت

أقدامهم . . فألقوا دروعهم وفرّوا لا يلوون على شيء . . وبدأ (العبيد الضعاف الذين أُوذوا من أسيادهم) يقتلون السادة الأبطال . . لهذا فإن بلالاً كان يسوق أُمية بن خلف وابنه أسرى ويُنادى بلال بأعلى صوته (لانجوت إن نجا) فيتقدم الحباب بن المنذر ويقطع أرنبة أنف أمية ويضربه (خُبيْب بن سيّاف) . . ويتقدم عمار بن ياســــر إلى ابن أمية بن خلف فيقتله . . وهكذا يصبح العبيد أحراراً وسادة بفضل الإيمان حتى أن أبا جهل (وهو كالشجر الملتف لضخامة جسمه) . . والمشركون يعتقدون أنه لن يُقتل . . لكن (معاذ بن الجموح) يتقدم إلى أبى جهل فيضربه فيقع كالجبل فوضع معاذ رجله عليه وهنا يظهر عبدالله بن مسعود فيصعد على صدر أبى جهل ويجلس والسيف فى يده فينظر أبو جهل إلى عبدالله بن مسعود ويقول له (لقد ارتقيت مرتقاً صعباً . . لمن النصر اليوم . . فيرد عبدالله ويقول . . النصر من اللَّه لرسوله والمؤمنين) .

لطيفة

١ - أبو جهل أساء الأدب مع المسلمين وتطاول عليهم وآذاهم وعذّبهم فما من مسلم امتدت إليه يد الأذى إلاّ ولأبى جهل خطة فيها . . لأنه ابتكر أساليب للعذاب وتفنّن فى أنواع مبتكرة وأساليب غير معروفة لإهانة رسول اللَّه ﷺ وتعذيب المسلمين وكان يُفضِّل العذاب بأى نوع ينزل عليه من أن يدخل فى الإسلام . . ولذلك كان من دعائه دائماً (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) . . فهو يُفضِّل العذاب على الإيمان . . وفى يوم بدر قال (اللهم اقطعنا للرحم . . وأتانا بما لا يُعلم فأحمه الغداة فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿١٩﴾ ﴾[**الأنفال**] . . هذا أبو جهل الذى يقول عنه الرسول ﷺ وقد وقف ينعى عوف عفراء وأخاه مُعوّذاً فقال :«**يرحم اللَّه**

ابنى عفراء فإنهما قد شركا فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر فقيل يا رسول الله ومَنْ قتله معهما ؟ قال: .. الملائكة ودافَّهُ ابن مسعود»[1] . . ابن مسعود هذا طالما امتدت إليه يد أبى جهل بالضرب والإهانة خاصة يوم أن ذهب عبدالله بن مسعود ليقرأ سورة الرحمن فى جوف الكعبة فلطمه أبو جهل لطمة أفقدته صوابه وطارت بسببها نصف أذنه . . لذلك بدأ عبدالله فى قطع أذن أبى جهل ثم فصل رأسه عن جسده وأخذهما إلى تجمع المسلمين ليروا رأس الكفر . . فقال جبريل لرسول الله ﷺ هذا عبدالله بن مسعود بيده رأس أبى جهل فقل له يا ابن مسعود : « الأذن بالأذن والسن بالسن والرأس زيادة» وصدق الله العظيم ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ .. ﴿١٢٣﴾ ﴾[**الأنفال**] . .

٢ – أثناء المعركة انكسر سيف (عكاشة بن مُحصن) فأعطاه رسول الله ﷺ عوداً (شى كجريد النخل) ونزل عُكاشة إلى المعركة فإذا بالعود ينقلب سيفاً أبيضاً طويلاً فقاتل به ولم يزل هذا السيف عند عكاشة حتى مات يقاتل به فى جميع المعارك . .

٣ – وانكسر سيف (سَلَمة بن أسلم بن حريش) فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب[2] . . **فقال له** رسول الله ﷺ : **«اضرب به فإذا به سيف جيد»** . .

٤ – أثناء تقسيم الغنائم أراد بعض أهل الشجاعة أن يخصهم رسول الله ﷺ بشىء زائد عن الضعفاء فغضب النبى ﷺ عندما قيل له (أتُعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ما تُعطى الضعيف ؟ فرد الرسول ﷺ بقوله : **«ثكلتك أمك وهل تُنصرون إلاّ بضعفائكم»**[3] . .

(١) إمتاع الإسماع – جـ١ – ص ٩١/ ٩٢ – دافة أى أجهز عليه وأنهى حياته .
(٢) العرجون من شماريخ النخل وابن طاب نوع من النخل بالمدينة .
(٣) امتاع الاسماع – جـ١ – ص ٩٢ .

تأمين الجبهة الداخلية

لاشك أن القائد الحصيف هو الذى لا تشغله المعركة عن الجبهة الداخلية لأن تأمين الجبهة الداخلية أمر «مهم» للغاية . . فالعدو عندما يخطط للمعركة الحربية . . يخطط بالتالى لجبهة العدو الداخلية . . فيحاول نشر الإشاعات وترويجها إضعافاً للروح المعنوية فى الداخل . . وقد أصبحت الإذاعة والتليفزيون والجرائد يؤدون هذا الغرض بكفاءة واقتدار . . يحاول العدو دائماً إشعال الحرب الأهلية بين المواطنين لينشغل القائد بالجبهة الداخلية . . أو يتركها تقع فريسة سهلة فى يد الأعداء من أى منفذ يكون . . المهم أن القائد الناجح عينه دائماً وأبداً على الجبهتين لا يغفل عن الاثنين وعليه أن يُأمِّر على الجبهة الداخلية مَنْ يتولى القيادة . . ومَنْ يؤم الناس فى الصلاة ومَنْ يحكم بينهم لذلك نرى النبى ﷺ فى غزوة بدر استخلف على المدينة عبداللَّه بن أم مكتوم وهو (كفيف البصر) . . يؤم الناس فى الصلاة . . وأبو لبابة بن المنذر خَلَّفه على المدينة حاكماً . . وعاصم بن عدى خَلّفه على أهل قباء وأهل العالية . . وهذه هى الأماكن التى يمكن الدخول منها إلى المدينة . . كما أنه قد بعث بطلحة بن عُبيد اللَّه وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل . . كان قد بعثهما رسول الله ﷺ يتحسَّسان مواقع المشركين . . وعثمان بن عفان خَلّفه رسول الله ﷺ على أهل بيته لأن زوجته رقية كانت مريضة . . هؤلاء وغيرهم ممن لهم قدم سَبْق فى الإسلام والعمل أَسْهَمَ لهم الرسول ﷺ بسهم من الغنائم لأنهم يُؤمِّنون الجبهة الداخلية ويعملون على تقوية الرّوح المعنوية ويبطلون الإشاعات ويُنَبِّهون الناس إلى أن الإشاعات أخطر من السلاح الفتّاك . . ومن هنا فإن رسول الله ﷺ علَّم العالم أجمع فن التخطيط فى السلم والحرب ووضع قواعد تضمن النجاح فى المعارك والفوز الساحق على العدو مهما كانت قوته وعُدته وجبروته .

مواقف رائدة

لن تجد فى تاريخ الدنيا قوم أخلصوا لدينهم وعقيدتهم كما هو الحال مع المسلمين . . لأنهم كانوا أذلَّة فأعزّهم اللَّه بالإسلام . . كانوا رعاة غنم فأصبحوا قادة أمم . . كانوا جُهلاء فأصبحوا حكماء والإيمان دائماً يصنع المعجزات لهذا رأينا فى موقعة بدر الكبرى روائع الإيمان يتجلى فى نفوس المسلمين بأجمل صورة . . فالإيمان أصبح هو النسب وهو العصب ويحرص الإنسان على الإيمان أكثر من حرصه على أبيه وأخيه وأمه وأقاربه والناس أجمعين وصدق اللَّه العظيم وهو يكشف لنا عن هذه النفوس الطاهرة والمعادن الكريمة من أهل الإيمان الصادقين فيقول :﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ [المجادلة] . . ولقد تجلَّت فى غزوة بدر مناظر رائعة . . تجلى فيها الثبات على المبدأ وظهرت قوة العقيدة . . لهذا كان الشخص يقتل أباه ولا يُبالى والأبناء التقوا فى هذه الغزوة . . لكن فرّقت بينهم العقيدة ففصلت بينهم السيوف . . كما أن أبا بكر رضى الله عنه همَّ بقتل ولده عبدالرحمن لكن الرسول ﷺ منع أبا بكر وقال له متّعنا بنفسك يا أبا بكر . . وعمر بن الخطاب قتل خاله العاصى بن هشام وهكذا رأينا أن الإسلام أقوى من أى شىء وأبلغ دلالة على ذلك أن أبا عُزيز بن عمير وهو أخو مصعب بن عمير . . وقع فى الأسر . . فقال مصعب لمن أسره . . شُدّ يدك عليه وأمسك به فإن أُمّه ذات مالٍ ومتاع لعلّها تفديه منك . . فقال عُزيز لأخيه . . أهذه وصايتك بى؟ فقال إن الذى أسرك هو أخى .

مواقف رائدة تدل على قوة الإيمان وسلامة اليقين . . لهذا لما عرف اللَّه من المسلمين هذا الإخلاص ظل سبحانه يأخذهم بيدهم من نصر إلى نصر﴿ . . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾[الروم] . . ومن غلب إلى غلب ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي . . (٢١) ﴾[المجادلة] . . وحداء السماء يحدوا ركبهم ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ

مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[آل عمران] إن وعد اللَّه لن يتخلف أبداً لأنه سبحانه لا يُغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونحن اليوم فى حاجة إلى نصر اللَّه . . ونحن فى شهر رمضان . . فهل نغير الحال من السىء إلى الأحسن . . وهذا شىء يسير لو صدقت النيِّة واستقمنا على الصراط المستقيم . . لأن الإيمان له علامات فمن صدق مع اللَّه صدق اللَّه معه وصدق رسول الله ﷺ وهو يقول لابن عباس : « **يا غلام احفظ الله يحفظك .. احفظ الله تجده تجاهك.. إذا سألت فاسأل اللّه وإذا استعنت فاستعن باللّه**»[رواه الترمذى] . . إن المسلمين إذا صدقوا مع اللَّه فإن نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم يُضىء لهم الطريق ويهديهم إلى الصراط المستقيم . . صراط اللَّه الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض .

إن القائد الناجح يضرب المثل بنفسه فى كل شىء ليكون قدوة ورائداً وليعمل على رفع الروح المعنوية لدى المسلمين . . لذلك وقع فى الأسر (أبو العاصى بن الربيع) زوج السيدة الفاضلة (زينت بنت الرسول ﷺ) كان قد تزوجها قبل الإسلام . . وقد طالبه أهل مكة أن يُطلقها فرفض وقال قولته (والله لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بها امرأة من قريش) وقد حَمِدَ رسول الله ﷺ لأبى العاصى هذا الموقف ولأنه كان يحوطها بعنايته ورعايته ويُضفى عليها الحب كله . . ولما وقع أسيراً فى غزوة بدر أرسلت زينب فى فدائه قلادة لها . . كانت أمها العظيمة السيدة خديجة قد حلَّتها بها ليلة عُرسها . . فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة رقَّ قلبه رقة شديدة وتذكر خديجة وبلاءها . . ورأى أصحابه على وجهه الشريف أثر رؤيته للقلادة . . ثم قال لأصحابه : « **إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم**» فرضى أصحابه بذلك . . وأطلق الرسول ﷺ الأسير وهمس فى أذنه بكلمات ملخصها (أن يترك زينب تهاجر إلى المدينة) ووصل الأسير إلى مكة ووفَّى بوعده وبَرَّ بعهده ورد زينب إلى أبيها . . ولما أسلم أبو العاصى بن ربيع رد عليه النبى ﷺ زينب

زوجته بالنكاح الأول. . لأن الرسول ﷺ كان يُثنى عليه خيراً كثيراً فقد كان كريما فى مصاهرته. . ولم يكن كعتبة وعُتَيْبة أولاد أبى لهب فقد كانا تزوجا من بنتى رسول الله ﷺ ولما طلب المشركون منهما أن يُطلقا طلقا فى الحال. . وكان العرب يعتبرون الطلاق أكبر عيب للمرأة لذلك نرى الموقف المتسم بالخسَّة والنذالة من ابنى أبى لهب وأمهما حمّالة الحطب. . لكن أبا العاصى رفض الطَلاق من زينب مهما كان الثمن.

كذلك كان من الأسرى العباس بن عبد المطلب. . عم رسول اللَّه ﷺ وكان العباس قد خرج مُكْرهاً لهذه الحرب وقد وقع فى الأسر وقال لن أدفع الفدية لأننى خرجت مُستكرهاً على الحرب فرد عليه رسول اللَّه ﷺ بقوله :« **لقد كنت فى الظاهر علينا**». . لكنه رد على رسول الله ﷺ بقوله : لقد تركتنى فقير قريش ما حيَيت فقال رسول اللَّه ﷺ له «**كيف وقد تركتَ لأم الفضل أموالاً وقلتَ لها إن مِتُّ فقد تركتُك غنية**» فقال العباس : والله ما اطّلع على ذلك أحد فمن أعلمك؟؟ قال النبى ﷺ «**انبانى العليم الخبير**». .

خلاصة هذه المواقف الرائدة يتبيّن لنا منها أن الرسول ﷺ لم يعفِ عمه من دفع الفدية لعلمه بحالته المالية. . وقد كان ﷺ يعفى الفقراء وهكذا يكون العدل الذى أمر اللَّه به فى قوله :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ** . . ﴿١٣٥﴾ ﴾[**النساء**] . . إن رسول اللَّه ﷺ حقق العدل بعد أن وضع مبدأ الشورى كما وضع أسس المساواة والتسامح لأنه بهذه القيم يتم النصر ويتحقق الأمن وينتشر السلام.

خبر السماء

لم تعرف الإنسانية بشراً خُوطب من السماء إلاّ الأنبياء والعرب لم يبعث اللَّه أى رسول إليهم من قبل. . لذلك كانوا يُفاجئَون بأن أخبارهم السِّرية عند رسول الله ﷺ أنبأهُ بذلك كما يقول هو عليه الصلاة والسلام «**نبانى العليم الخبير**» وقد رأينا رسول الله ﷺ وهو يُخبر العباس بما دار بينه وبين زوجته من حوار.

وفى يوم من الأيام بعد غزوة بدر جلس صفوان بن أمية مع وهب بن عمير الجمحى يتذاكران مصائب قريش وكرامتها التى أُهدرت فى غزوة بدر .. فقال عمير.. والدُ وهب.. واللّه لولا دَيْن علىّ ليس عندى قضاؤه .. وعيال أخشى عليهم الفقر بعدى.. لكنتُ آتى محمداً فأقتله فإن ابنى أسير فى أيديهم.. قال صفوان لعمير.. دينُكَ علىَّ وعيالك مع عيالى.. وقم بهذه المهمة.. فأخذ عمير سيفه وأصلحه وسَمَّهُ وانطلق حتى قدم المدينة.. فرآه عمر بن الخطاب مع نفر من المسلمين .. فقال عمر: إن هذا الكلب جاء متوشِّحاً سيفه وفى عينيه شر ثم أسرع عمر فأخبر الرسول ﷺ بخبر عمير.. فقال الرسول ﷺ أدخله يا عمر.. فقال عمر .. لكنه جاء متوشِّحاً سيفه .. فقال أدخله علىَّ .. فأخذ عمر بحمائل سيفه وأدخله.. فلما رآه رسول الله ﷺ قال اطلقه يا عمر.. أُدْنُ يا عمير .. فَدنَا .. وقال انعموا صباحاً.. فقال عليه الصلاة والسلام.. لقد أبدلنا اللّه تحية خيراً من تحيتك.. وهى السلام.. ثم قال: ما جاء بك يا عمير؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه.. قال رسول الله ﷺ .. فما بال السيف.. قال قَبَّحها اللّه من سيوف .. وهل أغنت عنّا شيئاً؟ قال عليه الصلاة والسلام : أُصدقنى ما الذى جئت له؟ قال: ما جئت إلاّ لذلك.. قال عليه الصلاة والسلام: كلا.. بل قعدت أنت وصفوان فى الحِجْر وقلتما.. كيت وكيت (وذكر له ما دار بينهما من كلام) فقال عمير: كُنّا نكذِّبك ما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى.. وهذا أمر لم يحضره إلاّ أنا وصفوان.. فأشهد أنك نبى.. وأسلم.. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه فَقِّهوا أخاكم فى دينه واقرئوه القرآن وأطلقوا أسيره.. فعاد عمير إلى مكة بأخيه الأسير وحَسُنَ إسلامه[1]..

(١) إمتاع الاسماع – جـ١ – ص ١٠٠ بتصرف.

لا يعلم الغيب إلاّ اللّه . . لكن الله سبحانه وتعالى يُطْلعُ بعض أصفيائه على ما يشاء فى مُلكه الواسع ويكشف لهم عن أمور غيْبيَّة قد تحدث اليوم أو بعد آلاف السنين . . وسيدنا محمد ﷺ ممن أصطافهم اللّه ورفع قدره وقال فى محكم التنزيل ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[الضحى] . . وقد أعطـــاه اللّه وأرضاه وكشف له عن الكثير من أسرار الغيب لأنه سبحانه القائل ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴿٢٨﴾ ﴾[الجن] . . ومن الأمور التى تَنبّأ بها الرسول ﷺ ما حدث مع أسير من قريش يُسمّى (سُهيل بن عمر) كان هذا الرجل حصيفاً بليغاً . . شاعراً وخطيباً . . طالما تناول المسلمين فى خطبه وأحاديثه وأشعاره . . والرسول عليه الصلاة والسلام . . الكامل فى أخلاقه . . المهذب فى سلوكه . . المؤدب مع غيره . . والذى قال اللّه عنه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم] والذى قال عن نفسه ﷺ : **« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[رواه مالك] . هذا النبى العظيم لم يسلم من لسان سهيل . . وقال فيه ما لا يليق أبداً بل إنه شبّب ببعض نساء المسلمين . . ولو أنه قُدّم فى هذا الزمان إلى محكمة عادلة لحكمت بقطع لسانه ليكون عبرة لغيره . . لكن . . ماذا فعل رسول الله ﷺ مع هذا الشخص البذئ المتطاول على خلق اللّه السفيه فى أقواله وأفعاله . . لقد وقع أسيراً . . ولو أمر رسول الله ﷺ بقطع لسانه فليس فى ذلك عيب . . أو أمر بإعدامه فهذا حق . . لقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ... ﴿٦٧﴾ ﴾[الأنفال] . . لكن الرجل سهيل أرسل أهله بفديته . . وسيدنا محمد ﷺ كريم الطبع فقبل منه الفداء إعمالاً لقول اللّه تعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ..﴿٤﴾ ﴾[محمد] . .

سيدنا عمر بن الخطاب كان له رأى وهو واضح صريح قاله أمام رسول الله ﷺ حيث قال . . يا رسول الله « دعنى أنزع ثنيَّتيه فيدلع لسانه[1] . . فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً . . فقال عليه الصلاة والسلام : **«لا أُمَثِّل به فيُمثِّل اللَّه بى وإن كنت نبيّاً . . ولعلّه يقوم مقاماً لا تكرهه» . .**

دارت الأيام وسهيل ملتزم . . لكن المقام الذى أشار إليه الرسول ﷺ لم يحدث وأسلم سهيل . . ومازال الموقف المشار إليه لم يحدث . . وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وبدأ كثير من العرب يرتد . . ووقف أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال للناس وهم فى حالة هرج ومرج (ألاَ مَنْ كان يَعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومَنْ كان يعبد الله فإن اللَّه حىّ لا يموت) وتلى قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر] . . ثم قال : يا رسول اللَّه طبتَ حيّاً وطبتَ ميّتاً ثم اتجه إلى الناس وقال﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران] . . هنا . . يتحقق خبر رسول الله ﷺ فى سهيل . . لأن أهل مكة عندما بلغهم انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى فَرِحوا وقرروا الارتداد عن الدين الإسلامى كما فعل غيرهم من الأعراب . . هنا وقف سهيل وخطب خطبة أبى بكر تماماً كأنه سمعها فقال عمر حين بلغه كلام سهيل (أشهد لرسول اللَّه) وسهيل زاد عن كلام أبى بكر قوله : واللَّه إنى أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها . . فتوكلوا على ربكم فإن دين اللَّه قائم وكلمته تامة وإن اللَّه ناصر مَنْ نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم اللَّه على خيركم (يريد أبا بكر رضى الله عنه) . . حيث تولى خلافة المسلمين . . وإن ذلك لم يزد الإسلام إلاّ قوة . . فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه . . فتراجع كثير من الناس عما كانوا قد عزموا عليه . . وهذا الخبر من معجزات نبيِّنا صلوات اللَّه وسلامه عليه . . فقد قال لعمر فى السنة الثانية من الهجرة لعلّه يقوم مقاماً لا تكرهه ولا تذمُّه . . ويتحقق هذا بعد مضى

---

(١) يخرج من فمه ويسقط على صدره ويسترخى فلا يقدر على كلام .

ثمانى سنوات.. أليس هذا من معجزاته ﷺ ؟ نعم.. وما أكثر المعجزات فى حياته..

ومن إطلاع اللَّه له على أمور الغيب أنه ﷺ عندما كان يُجهز لفتح مكة لم يشأ أن يخبر أحداً باتِّجاهه وكان دائماً يدعو اللَّه ويقول **«اللهم خذ عن قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة.. اللهم خذ على أبصارهم فلا يرونى إلاّ بغتة ولا يسمعون بى إلا فجأة»** وكان ﷺ كلّف عمر بن الخطاب أن يطوف بالمدينة وقال له **«لا تدع أحداً يمر بكم تُنكرونه إلاّ رددتموه»** وكلّفه دائماً أن يهتم بالطرق المؤدية إلى مكة.. وقال للسيدة عائشة رضى الله عنها **«جَهِّزينا واخفى أمرك»**.. فكانت تجهِّز السُّوَيْقَ والدقيق.. فدخل على عائشة رضى الله عنها أبوها.. أبو بكر الصديق رضى الله عنه ورأى ما تفعل.. فقال: يا عائشة.. أَهَمَّ رسول الله ﷺ بغزو؟ قالت: ما أدرى قال لها.. إن كان قد هَمّ فآذنينا فنتهيّأ له.. قالت: ما أدرى لعلّه يريد بنى سُلَيْم.. أو لعلّه يريد ثقيفاً أو لعلّه يريد هوازن.. فاستعجمت عليه فدخل رسول الله ﷺ.. فقال: يا رسول الله هل أردتَ سفراً؟ قال: نعم.. قال: أفَأتجهز؟ قال: نعم.. قال فأين تريد يا رسول الله؟ قال: قريشاً وأخفِ ذلك يا أبا بكر.. وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريد.. قال أبو بكر.. يا رسول الله: أوَ ليس بيننا وبينهم مُدّة[1]؟ قال: نعم.. لكنهم غَدَروا ونقضوا العهد.. فأنا غازيهم.. فاطوِ ما ذكرت لك.. فظان يظن أنه يريد الشام وآخر يظن أنه يريد ثقيفاً.. وآخر يظن أنه يريد هوازن.. فى هذه الأثناء (كان حاطب بن أبى بلتعة) يتصيد الأخبار ويستقرئ العيون ليتعرف وجهة رسول الله ﷺ.. فلما عرف بوجهة رسول الله ﷺ وأنه يريد فتح مكة كتب كتاباً إلى ثلاثة نفر: (صفوان ابن أمية.. وسهيل بن عمرو.. وعكرمة بن أبى جهل).. يقول فيه: (إن رسول الله ﷺ قد أذّن فى الناس بالغزو[2] ولا أراه يريد غيركم.. وقد أحببت أن يكون

(١) أى عهد وميثاق.

(٢) أى نادى فى الناس ودعاهم.

لى عندكم يد بكتابى إليكم) وقد أعطى الكتاب لامرأة من مُزَيْنة من أهل العَرْج (يقال لها سارة) وهى مُغنية مولاة عمر بن صيفى بن هاشم بن عبدمناف وجعل لها ديناراً لتوصله إلى قريش.. وقال: أخفيه ما استطعتِ ولا تمرى على الطريق فإن عليه حرساً.. فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها[1].. وسلكت على غير نقب[2]..

رسول اللَّه ﷺ عرف بما صنع حاطب.. وبالمرأة.. والمكان الذى وضعت الخطاب فيه فاستدعى رسول الله ﷺ عَلياً بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى اللَّه عنهما.. وقال لهما: أدركا المرأة من مُزَيْنة قد كتب معها حاطب كتاباً يُحذِّر قريشاً.. فخرجا فأدركاها فاستنزلاها والتمسا الخطاب فى رحلها فلم يجدا شيئاً.. فقالا لها: إنّا نحلف باللَّه ما كذب رسول الله ﷺ ولتُخرجن هذا الخطاب أو لنكشفنَّك.. فلما رأت منهما الجِد.. قالت أعرضا عنى: فَلَما أعرضا عنها حلَّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب فجاءا به إلى رسول الله ﷺ.. فدعا رسول الله ﷺ حاطباً وقال له.. ما حَمَلَك على هذا يا حاطب؟ فقال: يا رسول الله واللَّه إنى لمؤمن باللَّه ورسوله ما غيّرت ولابدّلت.. يارسول اللَّه لا تعجل علىّ إنى كنتُ حليفاً لقريش ولم أكن من أنْفَسِهَا وليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة.. وكل مَنْ معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم.. وأنا لى بين أظْهرِ أهل مكة أهل وولد.. فصانعتهم وأحببت إذ فاتنى من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى.. ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام!! فقال عمر رضى الله عنه: قاتلك اللَّه ترى رسول الله ﷺ يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم!! دعنى يا رسول الله أضرب عنقه.. فإنه قد نافق فقال رسول الله ﷺ إنه قد صدقكم وإنه ممن شهد بدراً ومايدريك يا عمر لعلّ اللَّه أطّلع على من شهد بدراً فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقد أنزل الله سبحانه وتعالى

(١) هى ضفائر المرأة وجدائل شعرها.

(٢) النقب: هو الطريق العام والمرأة سارت فى طرق ملتوية حتى لا يراها عمر بن الخطاب وغيره الذين كانوا يحرسون الطريق.

فى هذا الحدث قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾[الممتحنة] . .

أما (سارة) التى كان قد حَمَّلها حاطب الخطاب فواصلت سيرها إلى مكة وهناك بدأت تمارس هوايتها بالغناء والرقص وقد ارتدت عن الإسلام وكانت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ [١] . .

هذه أمور لم يشهد بها أحد وكانت فى طى الكتمان لكن . . صدق الله وصدق رسول الله الكريم الذى علمه اللَّه ما لم يكن يعلم وكان فضل اللَّه عليه عظيماً . .

كلبة تسوق بُشرى

جيش المسلمين الذى توجّه لفتح مكة كان أكثر من عشرة آلاف يقودهم رسول الله ﷺ . . وهذا الجيش بلا شك يسد عين الشمس كما يقولون . . والجيش يتحرك لا يُبالى بأى شىء فى طريقه . . لكن جيش المسلمين دائماً كان رسول الله ﷺ يُوصيهم بالرحمة والإحسان والتعامل باللطف والاحترام مع كل الناس حتى مع الحيوان ويوصيهم بألاّ يخلعوا أى زرع ولا يهلكوا أى حرث ولا يتعرضوا للأطفال والنساء والشيوخ لأنهم لا يحملون السلاح وليست لهم حيلة . . كما أنه نهى عن قتل الحيوان والتمثيل به . . لذلك رأيناه ﷺ وهو يسير بهذا الجيش العظيم رأى من على بعد (كلبة تهر على أولادها)[٢] . . وهُنَّ حولها يرضعن . . فأمر النبى ﷺ (جُعَيْل بن سُراقة) ليقوم حذَاءها حتى لا يدوسها أو أولادها أحد من الجيش . . هذه الكلبة . . كانت عند الجحفة فى الصباح وبعد أن مر الجيش عليها بسلام فى تلك الليلة رأى أبو بكر الصديق رؤيا أن الكلبة خرجت تهرّ (أى تنبح) فلما

(١) امتاع الاسماع - جـ ١ - ص ٣٦٢ ، ونور اليقين - ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ وتراجع السيرة الحلبية .
(٢) هرّت الكلبة على ولدها : نبحت وكشرّت عن أنيابها تدافع بذلك عن أولادها .

نظروا إليها استلقت على ظهرها فإذا أَطْبَاؤُها تَشخُب لبناً[1] . . فرأى أبو بكر هذه وذكرها لرسول الله ﷺ فقال: « **ذهب كَلَبُهُمْ وأَقْبَلَ دَرُّهم**[2] **وهم سائلوكم بأرحامكم وأنت لاقون بعضكم فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه**» هذا تأويل القائد الحكيم . . أخذ الفأل من فعل الكلبة التى أرادت أن تُعبِّر عن امتنانها لاهتمام الرسول ﷺ بها والتنبيه على حمايتها وكلّف من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة اللّه الخالق لكل شىء .

وهذا دليل على أن الإسلام دين رحمة حتى على الحيوان فهو يأمر بالرفق به وإطعامه والبعد عن أذاه لأن الله خلقه لننتفع به .

إن المسلمين الذين صاموا شهر رمضان انتصروا على أنفسهم لذلك تمتعوا بالصحة النفسية . . والقوة والحيوية . . وصحوة الإرادة ويقظة الضمير . . هؤلاء تحركوا فى شدة الحر . . ومشوا على رمال الصحراء الملتهبة وهم صائمون . . وإلى أين هذا المسير؟ إلى العدو الذى جاء إليهم بخيله ورجله يريد أن يهدم دولة الإسلام وأن يقتل الداعية إلى الخير الأول . . هذا الداعى يدعو الناس إلى النجاة من الضياع فى الدنيا وعدم الخسران فى الآخرة . . هذا الداعى يوجه دعوته إلى الناس جميعاً بالحب والتسامح واللين . . لكن أهل الشرك وأهل السوء أجمعوا أمرهم على قتله فخرجوا إليهم وقرآن اللّه يُرشـــده ويقول له : ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** .. (٦١) ﴾ [**الأنفال**] . . وتوكل على اللّه هذا الداعى العظيم خرج مع أصحابه وهم صيام . . وخرج يُناجى ربه ويدعوه ويُشير إلى أصحابه : «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد فى الأرض**» . . ورأى الرسول ﷺ أن الصوم قد شق على المسلمين . . فأمرهم بالفطر . . لأن الدين يُسر واللّه تبارك وتعالى يُحب لنا اليُسر كما أن اللّه قد خفّف عنَّا ونقرأ فى ذلك قول اللّه تبارك وتعالى ﴿ .. **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ**

---

(١) الأطباء : حلمات الضرع التى فيها اللبن ويكون ذلك فى ذوات الخف والظلف والحافر والسباع وهو كثدى المرأة إلا أن له حلمة وشخب الثدى تفجر لبنه وسال .

(٢) الكلب مرض يُشبه الجنون وسُعار يأخذ الكلاب : وهذا كناية عن عناد قريش وجنونها وعدواتها الشديدة لرسول الله والدّر الذى يسيل كناية عن إقبال خير قريش .

﴿ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .. ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة] . . ويقول سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء] . . لذلك أفطر الرسول ﷺ أمامهم ليقتدوا به . . وعلينا أن نتأمل أن المسلمين لم يتكاسلوا وهم صيام وإنما خرجوا وكلهم حماس لأنهم يدركون أن الصيام يقوى الإرادة . . لذلك لا تعجب إذا رأيت وعلمت أن اللَّه أَمَدَّ المسلمين بأسلحة ليس فى مقدور أحد من البشر أن يصنعها . . منها .

١ - النعاس . . وهو النوم يُلقيه اللَّه على المسلمين فينامون لأن النوم راحة واستجماع للقوة التى فقدها الإنسان . . والنوم أمن وأمان ولقد احتلم أحدهم فى تلك الليلة وهو (رفاعة بن رافع بن مالك) وقام فى آخر الليل واغتسل وهذا دليل على أن المسلمين تركوا أمرهم للَّه بعد أن استنفذوا كل تخطيط بشرى ثم توكلوا على اللَّه القائل : ﴿ . . وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . . ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق] . .

٢ - المطر . . نزل المسلمون فى المكان الذى أشار به (الحباب بن المنذر) لكن الناس وجدوا أن الأرض رملية وأنها قد تصيخ تحت أقدامهم وأنهم لن يستطيعوا الكر والفر على الرمل الذى يعوق سيرهم ومع هذا فإنه أفضل موقع . . فماذا يفعلون؟ هنا جاءت عناية اللَّه لقوم اعتمدوا عليه واستنفذوا كل ما عندهم من فكر وتخطيط . . إذاً لابد أن تتدخل العناية الإلهية بماذا؟ بسلاح لايملك البشر صنعه إنه (مطر السماء) لأن الحق سبحانه وتعالى بعث فى السماء مطراً ونزل على ميدان المعركة الذى سوف يتحرك عليه المسلمون . . فتماسكت الرمال وأصبحت تحت أقدام المسلمين قوية تسمح لهم بالحركة والكر والفر دون إعاقة . . وإلى هـــذا يُشير الحـــق سبحانه : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال] . . إن المطر الذى لبَّد الأرض تحت أقدام المسلمين ولم يمنعهم من السير . . أصبح للمسلمين نعمة وقوة . .

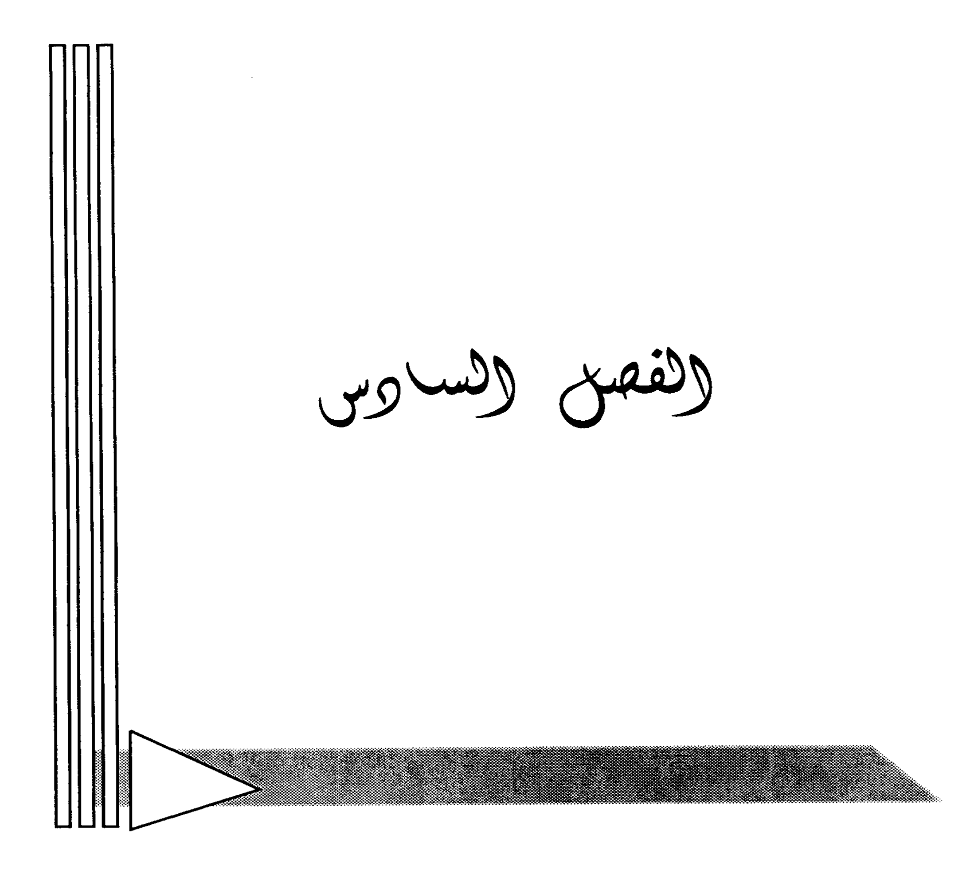
٣ - هذا المطر الذى نزل من السماء سلاح من أسلحة النصر للمؤمنين فى نفس الوقت أصبح مصدر غم وهم للمشركين وبلاء ونقمة عليهم لأن الأرض التى كانوا يتحركون عليها صخرية فتجمعت فيها المياه وأصبحوا لا يقدرون على الحركة لأن الماء

يعوقهم . . لذلك أصيبوا بحسرة ما كانوا يحلمون بها : ﴿ . . وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾[المدثر] . .

٤ – وحى اللّه إلى الملائكة لينزلوا إلى المؤمنين ليزيدوا فى عددهم حتى يكثروا فى أعين الأعداء ويدخل بذلك الرعب إلى نفوسهم فيتمكن المسلمون الصائمون من قتلهم أو أسرهم . . وهذا من فضل اللّه سبحانه القائل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال] . .

٥ – سلاح آخر هو من أعظم الأسلحة وأخطرها . . ذلك لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن . . فقلوب العباد كلها بين يدى اللّه جَلَّ جلاله . . وهو سبحانه يُثبت المؤمنين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . . ومعنى الثبات إذهاب الخوف . . لأن الخوف إذا تسرب إلى القلب اضطرب الإنسان وتردَّد فى فعل أى شيء وليست لديه القدرة على التركيز على الأشياء لأنه يخاف حتى من الذبابة تجده متردِّد غير مقدم . . زائغ البصر لأنه خائف والخوف دليل الجبن . . وسلاح الخوف والقذف به إلى القلوب لا يملكه إلاّ اللّه القائل ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[الأنفال] . .

لهذا على المسلمين أن يدركوا أن نصر اللّه لهم لن يتحقق لهم إلاّ إذا انتصروا على أنفسهم فإن اللّه سبحانه وتعالى هو القائل ﴿ . . إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ . . ﴿١١﴾ ﴾[الرعد] . . إن المسلمين الذين مُزِّقوا فى الأرض ولعبت إسرائيل بمقدّراتهم واستهانت بهم أمريكا لو أنهم رجعوا إلى ربهم وعبدوه حق عبادته وقلّلوا من البزخ والإسراف فى شهر رمضان فقط وأقبلوا على القرآن يتدارسونه وكانوا كما قيل عن أجدادهم (رهبان بالليل وفرسان بالنهار) . . وحوّلوا شهر رمضان إلى حركة دائمة وعمل متواصل وصاموا بحق ليتم لهم ما تمّ لأجدادهم الذين حققوا النصر بدءاً من موقعة بدر وتوسطاً بفتح مكة ونهاية بمعركة القوات المصرية والسورية سنة ١٣٩٣هـ ، وبدل أن نتغنّى بالماضى نتغنّى بأمجاد الحاضر ويُنادى كل عربى على أخيه (أمجاد يا عرب أمجاد) . .



الفصل السادس



الفصل السادس
زكاة الفطر

زكاة الفطر شرعها الله تبارك وتعالى على لسان رسوله ﷺ . . طعمة للمساكين وتوسعة عليهم فى أيام العيد لقول الرسول ﷺ : « **أُغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم**»[رواه الدارقطنى] . . وزكاة الفطر تسمى . . صدقة الفطر . . ويُقال لها زكاة الرؤوس . . وقد أضيفت إلى الفطر لكونها تجب فى نهاية رمضان . . وزكاة الفطر ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . . فأما الكتاب فقول الله تعالى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾** ﴾[**الأعلى**] . . يقول ابن عمر نزلت هذه الآية فى زكاة رمضان . . وكان النبى ﷺ يقول : « **قد أفلح مَنْ تزكّى وذكر اسمه ربه فصلى ثم يُقسِّم الفطرة قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر**»[رواه البيهقى] . .

وأما السُّنة فما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما : (أن النبى ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين . . حُرٌّ أو عبد . . رجل أو امرأة . . صغير أو كبير . . صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير)[أخرجه مسلم] . . وقد أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر وإن اختلفوا فى تسميتها فلا يجوز تركها . . إن صدقة الفطر فرض واجب كافتراض الزكاة الواجبة فى الأموال . . ولأن طاعة الرسول ﷺ طاعة للَّه فاللَّه تبارك وتعالى يقول : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾** ﴾[**النساء**] . . والرسول ﷺ قد فرضها على كل مسلم ذكراً أو أنثى صام أو لم يصم . . حتى الطفل الذى يولد قبل غروب شمس آخر يوم من رمضان على أهله أن يخرجوا عنه الزكاة . .

الحكمة فى وجوبها : هى واجبة على كل مسلم عنده قوت يومه لأنها . . طُهرة للصائم من اللغو والرفث وجبر لأى نقص حدث فى الصوم وطعمه للمساكين ويؤديها الإنسان عن نفسه وعن مَنْ تلزمه نفقتهم كالزوجة والأولاد والآباء والخدم . .

كل مَنْ يعول . . وزكاة الفطر لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة وفيها ورد (صوم شهر رمضان مُعلق بين السماء والأرض لا يُرفع إلاّ بزكاة الفطر)[1] . . وعلى هذا الأساس على كل مسلم أن يحرص على أداء زكاة الفطر قبل صلاة العيد حتى يُوسِّع على الفقراء ويشعروا بالسعادة معنا ولا يمدوا أيديهم بالسؤال فى يوم السعادة والفرح يوم العيد ولهذا يقول الرسول ﷺ : **« فمن أدّاها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أدّاها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات»** . . يقول الأئمة (مالك والشافعى وأحمد . . لا يُشترط فى وجوبها اليسار . . لذلك فهى تجب على مَنْ عنده قوته وقوت مَنْ يعوله ليلة العيد ويومه لما روى أن الرسول ﷺ قال : **« أدّوا صاعاً من قمح أو بُر عن كل اثنين صغير أو كبير ذكر أو أنثى حرٌ أو مملوك غنى أو فقير أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما يُعطى»** [أخرجه أحمد والبيهقى وأبو داود] . . إننا نعلم أن اليد العليا خير من اليد السفلى لهذا يُستحب تدريب الفقراء على إخراج زكاة الفطر إذا كان عندهم قوت يوم وليلة . .

وقت وجوب زكاة الفطر . . تجب زكاة الفطر بغروب شمس آخر يوم من رمضان لأنها تُضاف إلى الفطر فتجب به ولأن النبى ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان والفطر من رمضان لا يكون إلاّ بغروب شمس آخر يوم من رمضان . . هذا عند الإمام الشافعى وأحمد . . أما الإمام أبو حنيفة فقال : تجب بطلوع فجر يوم الفطر . . والعلّة فى هذا الاختلاف . . واختلاف الأئمة رحمة . . أن مَنْ مات قبل غروب شمس يوم رمضان لا زكاة عليه عند الشافعية ولكن عليه زكاة عند الحنفية . . كذلك مَنْ وُلِدَ أو أسْلَم قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان عليهما زكاة عند الشافعى وإن وُلِدَ أو أسلم بعد المغرب وقبل فجر يوم العيد عليهما زكاة عند الحنفية .

مقدار الزكاة . . تجب زكاة الفطر من أربعة أشياء (الحنطة والشعير والتمر والزبيب) ويخرج من ذلك نصف صاع من حنطة أو صاع من شعير أو تمر أو زبيب

---

(١) الترغيب والترهيب - جـ٢ - ص ١٥٢ .

هذا عند الإمام أبى حنيفة أما المالكية والشافعية فيرون أنها تخرج من غالب قوت البلد . . فيجوز إخراجها من الذرة علاوة على ما عند الإمام أبى حنيفة أو الزبيب أو الأقط وهو اللبن اليابس . . ويتخير الإنسان عند إخراج الزكاة أفضل الأصناف وأجود الأنواع فلا يجوز إخراجها من الحنطة والشعير اللذين بهما سوس أو بهما عيب كأن يكون عليهما تراب أو رمل . . كذلك التمر لا يكون من النوع الردئ الرخيص وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** .. ﴿٩٢﴾ ﴾[**آل عمران**] . . والإنسان يخرج زكاة الفطر قبل صلاة العيد لحديث رواه ابن عباس : «**مَنْ أدّاها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومَنْ أدّاها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات**»[رواه أبو داود] . .

دفع قيمة زكاة الفطر ماليا . . إن الإنسان وهو يخرج زكاة فطره لا يمُنّ بها على مَنْ يأخذها منه لقـــول اللّه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴿٢٦٤﴾ ﴾[البقرة] . . كذلك لا يتعمد إلى الشىء الردئ يتصدق به لقول اللّه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة] . . وتُكره الصدقة بما فيه شبُهة وعلى المسلم أن يختار أحسن ما عنده وأبعده عن الحرام والشبهة ليتقبل اللّه منه فإن اللّه طيب لا يقبل إلاّ طيباً ففى الحديث : «**مَنْ تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل اللّه إلاّ الطيب فإن اللّه يقبلها بيمينه ثم يُربيُها لصاحبها كما يُربى أحدكم فَلْوَة**[1] **حتى تكون مثل الجبل**»[رواه البخارى ومسلم] . . ويستحب أن تكون الصدقة مقرونة بطيب نفس وسخاء يد وعلى وجه الإنسان بسمة الرضا وأن ينوى فى قلبه عند إخراجها لأنها عبادة . . وأعلم أن صدقة السِّر أفضل من صدقة العلانية لأن صدقة السِّر تطفىء غضب الرب . . ففى حديث

(١) مُهْرَه.

رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل « **ألا أدلك على أبواب الخير.. قلت بلى يا رسول الله.. قال الصوم جُنّة والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفى الماء النار** » [رواه أبو داود] . . وفي حديث آخر : « **صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تُطفىء غضب الرب.. وصلة الرحم تزيد فى العمر** » [رواه الطبرانى] . .

هذا ويجوز إخراج صدقة الفطر مالاً . . وهذا أفضل فى عصرنا الحاضر لأننا نتخيل . . لو أننا أعطينا الفقراء الشعير والتمر . . ماذا يصنعون به؟ لاشك أنهم سيبيعونه بربع القيمة التي تم الشراء بها وهذا خسارة على الغنى والفقير . . ومنفعة للتجار . . والإسلام لا يُقر هذا العمل . . وأصحاب العقول السليمة كذلك . . لأن اختلاف الظروف والمناخ الاجتماعى لابد أن يتم مراعاة ذلك فما كان يصلح بالأمس لا يصلح اليوم . . والفقير فى حاجة إلى مال ليشترى لأولاده ملابس أو يسدد بعض ما عليه من ديون أو يقضى حاجات تلزمه وهو لا يستطيع أن يطحن الشعير ولا يأكل التمر ولا يُقايض بهما لهذا قال أبو حنيفة رضى الله عنه إن إخراج زكاة الفطر نقد أفضل . . وقال أبو يوسف وهو من تلاميذ أبى حنيفة (الدقيق أحَبُّ إلىّ من الحنطة . . والدراهم أحَبُّ إلىّ من الدقيق والحنطة لأن ذلك أقرب إلى دفع حاجة الفقير ولأن المطلوب إغناء الفقير فى هذا اليوم والإغناء يَحْصُلُ بالقيمة بل هو بها أتم وأوفر) ولقول الرسول ﷺ « **أغنوهم عن المسألة فى هذا اليوم** » ويجوز التعجيل بإخراج الزكاة من أول شهر رمضان بشرط أن يكون الإنسان قد صام يوماً أو يومين لقول ابن عمر رضى اللّه عنه (كانوا يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين . . ويجوز نقلها من بلد إلى بلد وليس هناك ما يمنع بشرط أن تكون الزكاة المنقولة تُعطى لإنسان فقير قريب أو فقير معلوم أنه أشد حاجة من الفقراء الذين يعيشون فى المنطقة التى يخرج منها الزكاة . . ويجوز نقلها من قطر إلى قطر لتدفع إلى مَنْ يحاصرهم الأعداء والذين يُجاهدون فى سبيل اللّه والدفاع عن الوطن والذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ولا يجدون ما يأكلون كأهل فلسطين والشيشان وأهل البوسنة وكشمير وبعض بلاد أفريقيا وغير ذلك ممن هم فى حاجة إلى المساعدة والمعاونة .

الاعتكاف

هو اللُّبثُ فى المسجد الذى تقام فيه الجماعة . . ويتفرغ الإنسان أثناء الاعتكاف للعبادة لأنه لزوم المسجد لطاعة اللَّه . . فالمسجد بيت اللَّه . . وأقل الاعتكاف ساعة . . أو يوم وليلة أو أكثر من ذلك . . ويلزمه النيَّة لأنه عبادة والرسول ﷺ يقول : «**إنما الأعمال بالنيات**» . .

والهدف منه . . البعد عن الناس والانشغال بالطاعة . . والإقبال على اللَّه تبارك وتعالى والانقطاع للعبادة متجرداً للَّه من شواغل الدنيا وأعمالها حتى يصل الإنسان إلى السمو الروحى والصفاء القلبى . . ويكون ذلك فى أوقات الفراغ . . والإنسان فى الاعتكاف يُسلِّمُ نفسه إلى اللَّه ليقف على بابه بملازمة العبادة فى بيته سبحانه ليتحصَّن بحصن اللَّه حتى يُزجَّ به فى بحر الرحمات فلا يصل إليه عدوه وهو الشيطان الرجيم لقوة سلطان الله عز وجل وقهره للشيطان ونصره للمؤمنين . . لهذا كان الاعتكاف من أشرف الأعمال وأحبِّها إلى اللَّه عز وجل . . فإذا انضم إلى الاعتكاف الصوم وانتظار الصلاة ازداد المؤمن قُرباً من اللَّه بما يُفيض على هذه القلوب من طهارة وصفاء .

وزمن الاعتكاف . . فى كل وقت تدخل فيه إلى المسجد حتى لأداء صلاة الفريضة يجوز لك أن تنوى الاعتكاف . . ولو كان الزمن مدة يَسيرة . . وليس الصوم شرطاً فى صحة الاعتكاف .

أفضل أيام الاعتكاف

الاعتكاف عبادة قديمة عُرف من زمن سيدنا إبراهيم لقول اللَّه تبارك وتعالى له ﴿ .. **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴿٢٦﴾ ﴾[الحج] . . وكذلك ما قاله لإبراهيم وإسماعيل ﴿ .. **وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة] . . فالاعتكاف عبادة تسمو بالنفس وتُنمِّى الأحاسيس وتوقظ الضمير وتجعل الإنسان فى درجة المحسنين الذين وصفهم الحق

سبحانه بقوله : ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[الذاريات] . .

وأفضل أيام الاعتكاف العشر الآواخر من شهر رمضان ليتعرض لليلة القدر التى هى خير من ألف شهر . . ولما روى عن ابن عمر رضى اللّه عنهما أن النبى ﷺ (كان يعتكف فى العشر الآواخر من رمضان منذ قدم المدينة إلى أن توفاه اللّه)[متفق عليه] . . وجاء فى حديث آخر (أن النبى ﷺ اعتكف العشر الأواسط من رمضان ثم اعتكف العشر الآواخر ولازمه حتى توفاه اللّه ثم اعتكف أزواجه من بعده)[البخارى ومسلم] . . يقول الإمام الزهرى(عجباً من الناس كيف تركوا الاعتكاف ورسول الله ﷺ كان يفعل الشىء ويتركه وما ترك الاعتكاف حتى قُبض) . . وعلى هذا الأساس يجوز للمسلم الجالس فى المسجد لانتظار أى صلاة أن ينوى الاعتكاف بقوله :«نويت الاعتكاف للّه تعالى» وأحسن أيام الاعتكاف فى شهر رمضان وأفضله العشر الآواخر منه . .

شروطه

١ - الطهارة لأن الاعتكاف عبادة فلابد أن يكون الإنسان طاهرا خاصة من الحدث الأكبر . . والمرأة طاهرة من الحيض والنفاس .

٢ - لايجوز مطلقاً للمعتكف أن يتناول المسكرات أو يتعاطى المخدرات فذلك يفسد الاعتكاف . . وكذلك التعامل مع الدخان . . لأن هذه الأشياء تُبعد الملائكة وبالتالى يخرج الإنسان من رحمة اللّه .

مبطلاته

المعتكف يأكل ويشرب ويستحم ويعير ملابسه ويتطيب ويتزيّن ويشتغل على قدر الاستطاعة ليلاً ونهاراً بذكر اللّه وتلاوة القرآن والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ ومدارسة العلم تعليماً وتَعلُّماً .

يتجنب كل ما لايعنيه من الأقوال والأفعال ولايكثر الكلام . . لأن مَنْ كثُر كلامه كثر سقطه ففى الحديث **«من حُسْنِ إسلام المرا تركه ما لا يعنيه»**[رواه الترمذى] . . والمعتكف يجتنب الجدل والمِراء والسباب والفُحش فى القول لذلك فهو لا يتكلم إلاّ بخير حتى بكلام الدنيا . . المهم لا يؤذى أحداً مهما كان بلسانه . . ولا يجوز البيع والشراء وعقد صفقات داخل المسجد وأثناء الاعتكاف . . والذى يبطل الاعتكاف ويفسده :

١ – الجماع . . كأن يجامع زوجته ولو نَاسياً لقول الله تعالى : ﴿ . . **وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** . . ﴿١٨٧﴾ ﴾[البقرة] . .

٢ – الإنزال فى حالة مباشرة الرجل لمس زوجته أو تقبيلها .

٣ – الإمناء بالفكر أو النظر أو باليد فهذا شىء يفسد الاعتكاف لأن المفروض فى المعتكف أنه ينشغل ليلاً ونهاراً بالذكر والشكر والتهليل والتكبير والصلاة على النبىﷺ وتلاوة القرآن .

٤ – الرِّدَّة . . فلا يصح الاعتكاف إلاّ من فرد مُسلم فإذا ارتد الإنسان عن الإسلام حبط عمله لقول الله تعالى : ﴿ . . **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٦٥﴾ ﴾[الزمر] . . والذى ارتد عن دينه وخرج عن كونه من أهل الاعتكاف .

٥ – الجنون والإغماء . . فإذا جُنَّ المعتكف بَطُل اعتكافه لأنه فقد أهليته للعبادة . . كذلك مَنْ أغمى عليه فهو فى حاجة إلى علاج فيخرجه الناس من المسجد لعلاجه . .

٦ – الحيض والنفاس وتعاطى كل شىء مُسْكِر وما حرمه اللَّه ورسولهﷺ .

٧ – الوقوع فى كبيرة كشهادة زور أو قذف المحصنات أو الغيبة أو النميمة كل هذه الأشياء تُبطل الاعتكاف لأنها خرجت بالإنسان عن الطريق الذى يسير فيه وهو

تصفية النفس وسمو الروح . . والاعتكاف عبادة . . وكل عبادة تحتاج إلى أدب مع الله . . هذا وأفضل أماكن الاعتكاف ثلاثة :

أ - المسجد والحرام. ب- مسجد النبى ﷺ . جـ- المسجد الأقصى
ويجوز الاعتكاف فى أى مسجد وله ثوابه وأجره . .

وذلك لما روى عن رسول الله ﷺ فى دعائه « **اللهم كما اخرجتنى من أحب البلاد إلىَ فاسكنى فى أحب البلاد إليك** » . . وروى الطبرانى عن بلال بن الحارث المزنى (رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان) . . هذا . . وهذه المساجد للعبادة فيها فضل على غيرها لقول الرسول ﷺ « **لا تُشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا** »[متفق عليه] . . (وهناك مسجد قباء فقد كان الرسول ﷺ يأتيه كل سبت راكباً أو ماشياً ويصلى فيه ركعتين)[متفق عليه] . . هذا ونحن ندرك ونعلم أن أفضل الاعتكاف ما كان فى شهر رمضان خاصة ما كان فى العشر الآواخر منه . . وإذا وقع الاعتكاف فى أحد المساجد الثلاثة فهذا أفضلُ وأحَسْنُ شأناً وأعظم بركة . . لقول الرسول ﷺ (صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) . . وروى كذلك : « **صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام** »[رواه الجماعة إلا أبو داود] . . وروى أنه ﷺ : « **من اعتكف عشراً فى رمضان كان كحجتين وعمرتين** »[1] .

إننا نريد أن نُحييَ هذه السنُّة التى ماتت فى نفوس الناس وأن يعود للاعتكاف صفاؤه وبهاؤه وأن يكون ملموساً فى حياة النـاس ذا أثر طيـــب . . ومَنْ كان يعمل ولا يستطيع أخذ أجازة يستحب له أن يعتكف من بعد صلاة المغرب إلى صلاة الفجر . . هذا . . والاعتكاف لا يكون إلا بالمسجد الجامع الذى له إمام راتب ومؤذن . . ويلاحظ أن سطح المسجد ورَحَبَته المحيطة به وعليها باب ومنارته التى يكون فيه وبابها فى المسجد كل ذلك يصح الاعتكاف فيه . . والمرأة يصح منها

(١) يراجع الترغيب والترهيب جـ ثانى وهذا الحديث رواه البيهقى .

الاعتكاف ويجوز بشرط أن يأذن لها زوجها فلا يصح اعتكاف المرأة بغير إذن زوجها وأن تكون خالية من الحيض والنفاس . . ويجوز للمعتكف أن يخرج لأداء الشهادة إن تَعيَّنَ عليه . . كذلك تخرج المرأة إذا فاجأتها الدورة وهكذا نرى أن الإسلام دين يُسر ولا بأس أن يتزوج المعتكف ويعقد قرانه ويشهد على عقد قران لأن الزواج وعقد النكاح طاعة وحضوره قُربة إلى اللَّه تعالى . . هذا هو الاعتكاف الذى نأمل أن يضىء حياة الناس ليعود الصفاء إلى المجتمع الإنسانى وتسود دنياهم المحبة والسعادة والهناء والسرور .

ليلة العيد وصلاته

العيد سُمِّى بذلك لأن للَّه تعالى فيه عوائد الإحسان . . وإحسان اللَّه تبارك وتعالى على عباده كثيرة ومتعددة . . ولكن العيد له بهجة . . وبقدومه فرحة . . فهو يدخل السرور على النفس . . فتبتهج به . . والمسلمون لهم عيدان فى العام هما :

١ - عيد الفطر : ويأتى عقب شهر رمضان . . لأن المسلم يفرح بفطره فقد امتثل لأمر اللَّه تعالى وامتنع عن الطعام والشراب ثم أذن اللَّه له بالفطر فهو يفرح بهذا ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ « **إن للصائم فرحتين فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه** »[من حديث طويل رواه الإمام مسلم] . . ونظراً لأن المسلم يفرح بفطره فهو يفرح بلقاء ربه . . ويوم العيد يوم بهجة ومن فضل اللَّه علينا فى هذا اليوم العظيم ما قال رسول الله ﷺ « **إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا أغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة**[1] »[رواه الطبرانى] . . هذا هو عيد الفطر الذى يأتى عقب شهر رمضان يمنح اللَّه فيه الخير لعباده . . ويزيدهم من فضله .

(١) والجائزة أى : البراءة من الذنوب والطهارة من العيوب والنقاء من الأدناس .

٢ - عيد الأضحى. . وهو العيد الذى يأتى بعد إتمام الحج والوقوف على عرفة لأن يوم عرفة خير يوم طلعت فيه الشمس وصيامه لغير الحجاج له فضل عظيم فيوم عرفة كله يوم خير وبركة وما رؤى الشيطان أحقر وأذل إلاّ فى يوم عرفة. . فالعيد يأتى بعد ذلك بالفرح والسرور. . كما أنه فيه ذبح الأضاحى فالرسول ﷺ يقول: **«يا أيها الناس ضحّوا واحتسبوا بدمائها فإن الدم وإن وقع فى الأرض فإنه يقع فى حرز الله عز وجل»** [رواه الطبرانى]. . وسئل الرسول ﷺ فقال سائلوه : يا رسول الله ما هذه الأضاحى؟ . . **«قال سُنَّة أبيكم إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه»** قالوا فما لنا فيها يا رسول الله؟ : **«قال بكل شعرة من الصوف حسنة»**. . قالوا: فالصوف: **«قال بكل شعرة من الصوف حسنة»**[رواه الحاكم]. .

هذان هما العيدان حدّدهما رسول اللّه ﷺ بما رواه أنس قال: قَدِم رسول الله ﷺ المدينة . . ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: **«ما هذا اليومان؟»** قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . . فقال رسول الله ﷺ: **« إن اللّه قد أبدلكم خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر»**[أخرجه أحمد وأبو داود]. .

والعيد من العَوْد . . والعَوْد هو الرجوع فهو يتكرر ويعود فى كل عام بالفرح والسرور. .

ليلة العيد

هذه الليلة من أعظم الليالى وأبركها. . جاء فى شرفها قول الرسول ﷺ : **«من قام ليلتى العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»**[رواه ابن ماجة]. . أى أن الله تبارك وتعالى يثبت قلب الإنسان على الإيمان عند خروج الروح وعند سؤال الملكين فى القبر. . ومن أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه حياة سعيدة يهنأ فى دنياه ويتنعم ويرزقه الله الخير كله وتعمّه رحمة اللّه ولهذا قال الرسول ﷺ : **«من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»** لكل هذه التوجيهات علينا أن نهتم بليلتى العيدين. . وكيفية إحياء ليلتى عيد الفطر والأضحى يكون على النحو التالى:

١ - إدخال السرور على الأهل والأولاد والتوسعة عليهم بقدر المستطاع لأنه : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

٢ - ذكر الله تعالى وتمجيده والإكثار من الصلاة على النبى ﷺ وتلاوة القرآن وإخلاص النيَّة للَّه تعالى رب العالمين .

٣ - صلة الرحم والتودّد إليهم والسؤال عن أحوالهم لقول رسول الله ﷺ : **«من سَرَّهُ أن يُمدّ له فى عمره ويوسّع عليه فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتقى الله وليصل رحمه»**[رواه البزار] . ويقول ﷺ : **« الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله»**[رواه البخارى ومسلم] . لهذا يجدر بك وأنت تستعد لإحياء ليلة العيد أن تسأل عن أقاربك خاصة النساء الذين تقدّم بهن السِّن ولا عائل لهن وأن تتودّد إلى أقاربك باللين والحلم وأن تكون باراً بهم لتشملك رحمة اللَّه ويعمك بخيره ورضوانه وتأمل قول الرسول ﷺ لرجل قال له : « يا رسول الله . . إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى . . وأُحْسِنْ إليهم ويسيئون إلىّ وأحلمُ عليهم ويجهلون علىّ . . فقال : **«إن كنت كما قلت فكأنما تُسفهم المل**[1] **ولا يزال معك من اللّه ظهير عليهم ما دمت على ذلك»**[رواه مسلم] . فلنهتم بصلة الرحم والسؤال عن الأقارب ومن كان محتاجاً ساعدناه بأى لون من ألوان المساعدة .

٤ - رعاية اليتيم وكفالته . . اليتيم من فقد أباه الذى كان يعوله . . وأصبح بين الناس لا عائل له . . والأم لا تقدر على تلبية طلباته لهذا نبهنا الإسلام أن نهتم بالأيتام وأن نرعى شأنهم . . وأنت فى ليلة العيد تقوم بشراء بعض حاجيات أولادك فضم إليهم يتيما أو أكثر أدخل عليه السلام بما تسعده من إشراكه لأولادك فى شراء الحاجيات . . لا تقهر نفس اليتيم وتتركه ينظر لأولادك بحسرة ولوعة لأن اللَّه تعالى يقول لك ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴿٩﴾ ﴾[الضحى] . . والقرآن الكريم يستثير عاطفتك ويحفِّز فيك الهمة العالية ويقول لك لو أن هذا اليتيم كان ولدك أنت ماذا كانت تنتظر من أفراد المجتمع أن يفعلوه مع ولدك اليتيم؟ ما تتمنّاه أن يفعله الناس

(١) والمل هو : الرماد الحار ، وهو كناية عن أنهم سيحملون عنك أوزارك .

لأولادك افعله أنت مع أولادهم . . يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾[النساء] . .
وأنت بإكرامك لليتيم حيث ترعى مصالحه وتتعهد شئونه فلك ثواب عظيم وأجر كبير ففي الحديث عن رسول الله ﷺ : **« من ضمَّ يتيماً بين مسلمين فى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتّة»**[رواه الطبرانى] . . وفى حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : **«والذى بعثنى بالحق لا يُعذب اللَّه يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له فى الكلام ورحم يُتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه اللَّه»** [رواه الطبرانى] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : **« من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلاّ للَّه كان له فى كل شعرة مرّت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وفرّق بين أصبعيه .. السبّابة والوسطى»**[رواه أحمد] . . بهذا الفضل العظيم والخير الكثير والزيادة فى الرزق والبركة فى الأولاد لمن عطف على الأيتام وأحسن إليهم خاصة فى أيام الأعياد والفرح والسرور .

٥ - أن تجتهد فى حل مشاكل الناس وأن تسعى للصلح بينهم لأن اللَّه فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه . . واللَّه تبارك وتعالى نبهنا إلى أن الصلح بين المسلمين له ثواب كبير وأجر عظيم فاللَّه تبارك وتعالى يقول : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء] . . والرسول ﷺ : **«ما ادخل رجل على مؤمن سروراً إلاّ خلق اللَّه عز وجل من ذلك السرور ملكاً يعبد اللَّه عز وجل ويوحّدُه فإذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول أما تعرفنى؟ فيقول له: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا السرور الذى ادخلتنى على فلان.. أنا اليوم أُنس وحشتك والقّنُكَ حُجّتك وأثبتك بالقول الثابت وأُشهدك مشاهدة يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأُريك منزلك من الجنة»**[1] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : **« افضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن .. كسوت عورته .. أو أشبعت جوعته .. أو قضيت حاجته»**[رواه الطبرانى] .

لكل هذا وغيره نتواصى مع بعضنا على أن نكون مصادر خير للناس وقبس من نور يضئ الظلام للحيارى وعلينا فى كل ذلك أن نقرأ فى القرآن لنستلهم من آياته أننا

نفعل الخير ولا ننتظر له عائداً من البشر وإنما ننتظر العائد من اللّه الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً . . فمن أحيا ليلة العيد بهذا الأسلوب أو على قدر ما يستطيع فالدين يُسر لا عُسر . . واللّه تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا . . ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة] . . المهم أن تنوى فعل الخير والأعمال بالنيّات . . وأن يكون عندك همة ونشاط لأن اللّه لو رأى همتك لأعانك . . فلنستقبل الأعياد بفرحة نسعد بها ويسعد بها مَنْ حولنا لتكون الفرحة شاملة للجميع .

زينوا أعيادكم

زينوا أعيادكم . . بالتكبير بعد إخراج زكاة الفطر وتوزيعها على الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين . . وزينوا عيد الأضحى بذبح الأضاحى وتوزيع اللحم على الفقراء والأيتام . . والغرض من ذلك التوسعة على الناس وإدخال السرور عليهم لأن المجتمع يعيش فى بوتقة الطهر والأخوة والإخلاص ولتظلله مظلة التكافل الاجتماعى الذى يقترب فيه الفقير من الغنى الذى يمتلىء قلبه بالرحمة والإحسان ومع ذلك فهو لا يرجو أجراً إلاّ من اللّه الذى أحسن كل شىء وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم . . لكن هناك زينة تُجمِّل هذا ويشترك فيه الجميع بحب وصفاء إنه (التكبير) يجعله المسلمون شعارا لأفراحهم وأيام سرورهم شكراً للّه على نعمه وأفضاله وإحسانه فقد ورد : « **زيِّنوا أعيادكم بالتكبير** » [رواه الطبرانى] . . ذلك ما حثّنا عليه ديننا ورغّبنا إليه نبيُّناَ ويندب التكبير ليلة عيد الفطر عندما يظهر هلال شوال يبدأ التكبير إلى أن ينتهى الإمام من صلاة العيد وصيغته (اللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أكبر لا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أكبر وللّه الحمد . . اللّه أكبر كبيراً والحمد للّه كثيرا وسبحان اللّه بكرة وأصيلاً . . لا إله إلا اللّه ولا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا اللّه وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله واللّه أكبر . . اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلّم تسليماً كثيرا) . . هذا التكبير يقال فى عيد الفطر كما قلنا أما فى عيد الأضحى فمن فجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق ويُكبّر الرجال والنساء والأطفال لأن التكبير إعلان عن الفرح والسرور .

ملحوظة

من الأمور المستحبة فى مقدمات عيد الأضحى (أيام العشر الأوائل من شهر ذى الحجة الأولى) الاجتهاد فى عمل الخير من ذكر اللّه تعالى وصلة الأقارب والعطف على الأيتام وكل ما فيه عمل خير على الإنسان أن يجتهد فى العشر الأوائل من ذى الحجة لقول الرسول ﷺ: **« ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللّه من هذه الأيام (يعنى أيام العشر)»** قالوا : يا رسول الله . . ولا الجهاد فى سبيل اللّه؟ قال : **«ولا الجهاد فى سبيل اللّه إلاّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشىء من ذلك»**[رواه البخارى وأبو داود] . . ومن كانت عنده النيّة لأن يُضحى فعليه أن يمتنع عن حلق شعر رأسه وتقليم أظافره طوال العشر الأوائل من شهر ذى الحجة لما صحّ عن رسول اللهﷺ قوله: **« إذا دخل العشر وأراد بعضكم أن يُضحى فلا يأخذن شعرا ولا يُقلّمن ظفرا»**[رواه مسلم] . .

ما يستحب قبل صلاة العيدين

يستحب فى العيدين ما يأتى :

١ - الغسل والتطيب ولبس الرجال لأحسن الثياب واستعمال السواك لطيب الفم إظهاراً لنعمة اللّه وشكره لأنه ﷺ كان يغتسل يوم الفطر ويوم النحر ويتطيب يوم العيد ولو من طيب أهله . . وكان للنبى ﷺ بُردة حمراء يلبسها يوم العيد وكان يتنظف ويتزيّن ويُقلّم أظافره ليظهر فى أجمل هيئة وأحسن صورة لأن الناس سوف يجتمعون فى صلاة العيد ويتبادلون التهانى وقد يتبادلون المعانقة والتقبيل لهذا كان التوجيه من نبى الإسلام بأخذ الزينة يوم العيد.

٢ - على المسلم أن يذهب مبكراً إلى المصلى (مكان صلاة العيد) وأن يذهب بسكينة ووقار وأن يقترب من الإمام من غير تخطٍ للرقاب وأن يحرص على أن يكون نشيطاً متيقظاً . . وأن يذهب من طريق ويرجع من طريق آخر زيادة فى الأجر والثواب لما روى البخارى :(أن النبى ﷺ إذا خرج إلى العيد خالف الطريق وحتى يشهد له الطريقان يوم القيامة) . .

٣ – يُستحب فى يوم عيد الفطر أن يأكل الإنسان قبل الخروج للصلاة تمرات وتراً لأن الرسول ﷺ :(كان لا يخرج يوم الفطر حتى يأكل وكان لا يأكل يوم النحر حتى يُصلى)[رواه البخارى] . . وذلك حتى يأكل من الأضحية إن ضَحَّى وكان يأكل من الكبد .

٤ – إظهار البشاشة والفرح والسرور فى وجه من يلقاه من المؤمنين وعندما يقوم بزيارة الأحياء من الأرحام والأصحاب تدعيماً لرابطة المحبة والأخوة وتوثيقاً للعلاقات الاجتماعية .

٥ – تبادل التهانى مع المسلمين بقوله تقبَّل اللَّه منى ومنك .

٦ – عدم زيارة المقابر فى هذا اليوم . . لأن زيارتها تجدد الأحزان ونحن فى يوم فرح وسرور فلا يليق بنا أن نذهب إلى المقابر لنجدد الأحزان كذلك نُنَبِّه على بعض الذين مات لهم أقارب ويجلسون فى يوم العيد حزانى وينتظرون الناس ليقدموا لهم التعازى ويجددوا الأحزان . . نقول لهم هذا أمر يتنافى مع توجيه الإسلام ولا يتفق أبداً مع منهجه ولأن الحى أبقى من الميت . . وقد صحّ عن رسول الله ﷺ لا عزاء بعد ثلاثة أيام . . فَلِمَ نُصِرُّ على هذه العادة غير الإسلامية فيوم العيد يوم فرح فلا تُنغصون على الناس حياتهم ولكن شاركوا الناس أفراحهم وادعوا لأمواتكم فإن اللَّه قريب من المحسنين . .

صلاة العيد

صلاة العيد سُنّة مؤكدة وجَّهنا إليها ربنا فى قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ ﴾[الكوثر] . . وفى الآية إشارة إلى صلاة عيد النحر . . أما عيد الفطر فالإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿ . . يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥ ﴾[البقرة] . . وصلاة العيد ركعتان ينوى الإنسان فيقول :(أُصلِّىَ عيد الفطر . . أو عيد الأضحى . . ركعتان للَّه تعالى . . اللَّه أكبر ثم يدعو بدعاء الاستفتاح ثم يكبر فى الركعة الأولى سبع تكبيرات يقول بين التكبيرة والتكبيرة سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ثم يتم

صلاة الركعة الأولى . . وفى الركعة الثانية بعد تكبيرة القيام خمس تكبيرات يفصل بين التكبيرة والتكبيرة بما قلناه) . . والعيد ليس له أذان وإنما يُستحب أن يُقال (الصلاة جامعة) . .

وقت صلاة العيد

وقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس بمقدار رُمح ويُقدّر الآن بعشرين دقيقة والوقت يمتد إلى ما قبل الزوال . . ويستحب عند الشافعية والحنبلية والحنفية تعجيل صلاة عيد الأضحى عند ارتفاع الشمس بقدر رمح ليتمكن الناس من الذهاب إلى بيوتهم وذبح أضاحيهم ويُصلّى عيد الفطر إذا ارتفعت الشمس بقدر رُمحين ليتمكن من لم يقدر على إخراج زكاة فطره أن يُخرجها وهذا من باب التيسير على المسلمين ومراعاة ظروفهم الاجتماعية . .

مكان صلاة العيد

قال الشافعية الأفضل صلاة العيد فى المسجد لأن المسجد أشرف مكان . . ولأن الأئمة لم يزالوا يصلون العيد بمكة فى المسجد . . فإن ضاق المسجد بالمصلين فالأفضل الصلاة فى مكان واسع رحب . . عند بقية الأئمة الصلاة فى الخلاء أفضل ليجتمع أهل البلد مع بعضهم ويتبادلون التهانى وبهذا يتبيّن الأمر وكل يؤدى ما هو فى مقدوره . .

شهود النساء لصلاة العيد

اتفق الحنفية والمالكية على أنه يجوز للشابات من النساء الخروج إلى الجمعة والعيدين وشىء من الصلاة جماعة فى المسجد . . مالم يترتب على حضورهن فتنة وعندئذ يُمنعن من الحضور لأنه ما أدّى إلى حرام فهو حرام . . واشترطوا فى خروج النساء ترك الزينة وعدم استعمال العطور واستدلوا على ذلك بقول الرسول ﷺ (حيث كان يخرج العواتق[1] والحيّض وذوات الخدور فى العيد فأما الحيض فكن

(١) العواتق : المرأة الشابة وذوات الخدور البنت البكر .

يعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين)[رواه الجماعة] . واستدلوا كذلك بقول الرسول ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات**[1]» [رواه البخارى ومسلم]. الأطفال يحضرون مثل هذه الصلاة الجامعة البنات مع النساء والصبيان مع الرجال. . وهكذا يتبيّن لنا أن الإسلام يحرص على جمع المسلمين فى مكان العبادة ولم يحجر على المرأة ولم يمنعها لأن مسئوليتها أمام اللَّه عن الدين والأخلاق كمسئولية الرجل تماماً.

من فاتته صلاة العيد جماعة

مَنْ فاتته الصلاة العيد مع الإمام سُنَّ له قضاؤها على صفتها لأنها سُنّة مؤكدة هذا عند الشافعية والحنابلة ويجوز فى صلاة عيد الفطر أن يقضيها فى اليوم نفسه أما فى صلاة عيد الأضحى فيجوز له أن يؤديها فى أيام التشريق لما روى أن المسلمين فى عصر رسول الله ﷺ قالوا: (غُمَّ علينا هلال شهر شوال فأصبحنا صياماً فجاء ركب فى آخر النهار فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم النبى ﷺ أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا غداً لعيدهم)[رواه النسائى] . المهم فى صلاة العيد أن نحافظ عليها ولا نختلف فى آدائها فمن أراد أن يُصليها فى الخلاء فلا مانع ومن أراد أن يُصليها فى المساجد فلا مانع ومَنّ فاتته صلاة العيد بسبب نوم أو لمرض فعليه أن يقوم بأدائها ولو مع أهل بيته وأولاده. . فإن كانوا صلُّوا فيقوم بأدائها منفرداً ويتقبل اللَّه منه ويغفر اللَّه له جزاء حرصه على إحياء سُنَّة عظيمة نبّهنا إليها رسولنا الكريم الذى لا ينطق عن الهوى. . فلنحرص على ذلك ولنعمل على إحياء سُنّة المصطفى ﷺ التى أهملها كثير من الناس فمن أحيا سُنَّة من سنن البشير النذير أحيا اللَّه قلبه يوم تموت القلوب. .

---

(١) تفلات : أى غير متعطرات ولا لابسات ثياب الزينة والشهرة.

الأعياد فى الإسلام

الأعياد . . واحة وارفة الظلال . . يستريح تحت أشجارها الإنسان بعد معاناة مرَّ بها واجتازها بنجاح وتفوق . . فيجلس فى ظل هذه الظلال يستجمع قواه لينهض بعد ذلك لمواجهة أعباء الحياة . . لهذا كانت الأعياد من مقومات تقاليد المجتمع الفاضل . . لأنه فى الأعياد تجدد المودة بين الناس وتزداد أواصر الصداقة . . وصلة الأرحام . . وزيارة الأقارب . . فيعم الخير وتكون البهجة والفرح والسرور . . لهذا أباح الإسلام فى الأعياد . . اللهو البرئ . . واللعب المباح . . والغناء الحسن . . ترويحاً للنفس . . وتجديداً للنشاط . . ورياضة للبدن . . ومن هنا كان العيد بهجة للنفوس . . وفرصة للناس . . لأن كلمة عيد . . من عوائد فضل اللّه بالخير والإحسان على الإنسانية . . ويأتى العيد دائماً بعد مناسبة طيبة . . وعمل عظيم . . فعيد الفطر مثلاً يأتى بعد شهر رمضان حيث يبدأ الإنسان فى ممارسة عمله المعتاد . . فهو يتناول الطعام والشراب بالنهار . . بعد أن كان صائماً فى نهار شهر رمضان . . فهو يفرح بذلك . . لأن الرسول ﷺ يقول: «**إن للصائم فرحتين.. فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه**» وفى الحديث أيضاً : «**إن للصائم عند فطره دعوة ما تُرد**» ولذلك استحب العلماء فى يوم العيد أن يغتسل الإنسان ويتطيب ويلبس أجمل ما عنده من ثياب . . ففى الحديث أيضاً عن الحسن بن على رضى الله عنهما (أمرنا رسول اللّه ﷺ فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأجود ما نجد وأن نضحى بأثمن ما نجد) .

إن عيد الفطر يأتى بعد شهر رمضان والمسلمون صاموا فيه امتثالاً لقول الحق سبحانه وقاموا ليالى شهر رمضان فأحيوها بصلاة التراويح وصلاة التهجد حيث أرشدنا اللّه إلى أدائها . . لأنها دأب الصالحين . . وعمل المتقين فقال سبحانه : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء] . . كما أن المسلمين أحيوا ليالى شهر رمضان بقراءة القرآن وهو مأدبة اللّه فى الأرض فأقبلوا عليه ورتلوا آياته فى ليالٍ مباركة وكان من بين الليالى ليلة القدر التى هى خير من ألف

شهر . . لهذا ورد أن الله سبحانه وتعالى يقول لملائكته . . **«ما جزاء العامل إذا وفّى عمله؟ قالوا: جزاؤه أن يأخذ أجره.. قال الله تعالى للملائكة أشهدكم أنى قد غفرت لهم»** . . وبهذا يكتمل الفرح والسرور . . ولذا حرم صوم يوم العيد . . وأبيح فيه اللهو البرئ والغناء العذب . . فقد ورد أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: « دخل علينا أبو بكر فى يوم عيد وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج . . فقال أبو بكر: عباد اللّه أمزمور الشيطان . . قالها ثلاثاً . . فقال رسول الله ﷺ **« يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وإن اليوم عيدنا»** . . كما روى البخارى عن عائشة قالت: « دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضجع على الفراش وحوّل وجهه . . ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ فأقبل عليه النبى ﷺ فقال: **«دعهما»** . . فلما غفل غمزتهما فخرجتا . . وكان يوم عيد يلعب فى السودان بالدرق والحراب . . فإما سألت النبى ﷺ وإما قال . . تشتهين تنظرين؟ فقلت : نعم . . فأقامنى وراءه . . خدّى على خدّه وهو يقول : دونكم يا بنى أرفده[1] حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم . . قال: فاذهبى . .

وروى ابن السراج عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال يومئذ **«لتعلما يهود المدينة أن فى ديننا فسحة.. وإنى بعثت بحنيفية سمحة»** . . هذا هو مفهوم الإسلام سماحة فى التعامل . . وترويح عن النفس حتى لا تمل لأن النفس إذا كلّت ملّت . . لهذا قال الحق سبحانه : ﴿ .. **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** .. ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج] ويقول سبحانه : ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** .. ﴿٢٨﴾ ﴾[البقرة] ويقول ﴿ .. **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** .. ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة].

إن تسمية الأعياء بهذا الاسم لأنه من عوائد فضل اللّه بإحسانه ونعمته على عباده . . لأن الله سبحانه له فى أيام الدهر نفحات وعلينا أن نتعرض لنيل هذه

(١) بنى أرفده : أى بنى الحبشة .

النفحات والتعرض لنيل النفحات لابد أن يسبقه توبة صادقة مع صفاء القلب وسمو الروح وقد تم ذلك للمسلم فى شهر رمضان الذى هو خير شهر . . لأنه سيد الشهور حيث أشرقت الأرض فيه بنور ربها والتقت الأرض بالسماء والمسلمون خرجوا من صيامه أصفياء أتقياء فيغمرهم اللّه بفضله وإحسانه ويفتح لهم جناته ويغدق عليهم من فضله وإنعامه مصداق قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ .. (٩٦) ﴾[الأعراف] وفى قوله سبحانه ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾[الجن] . .

الختام

إن الذى بين يديك جولة روحية فى شهر رمضان فى عاداته وتقاليده لنضع صور حية أمام شباب المستقبل حتى لا يظنوا أن شهر رمضان هو شهر الكنافة والقطائف . . وشهر الفوازير والمسلسلات وشهر الولائم والشيشة إلى غير ذلك مما جرى به العرف فى المجتمعات . . وإنما عشنا معك ووقفنا على الحرام والحلال وعرفنا أن شهر رمضان هو سيد الشهور . . وأفضل الأيام والمطلوب منك أيها المسلم أن تحضر مجالس العلم فى المساجد وأن تناقش العلماء مناقشة موضوعية لتتعرف على ما يجب أن تفعله وما لا يجب حتى تكون عبادتك صحيحة وعلاقتك باللّه قوية . . فاتخذ شهر رمضان وسيلة وسارع إلى مرضاة ربك واعلم أن مجلس علم خير من عبادة ستين سنة لأن عالماً واحداً أقوى على الشيطان من ألف عابد ولا تكن ممن عناهم الرسول ﷺ بقوله : **«كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع .. وكم من قائم ليس له من قيامه إلاّ السهر»**[رواه البزار] . .

فسارع يا أخى إلى تعلم العلم لأنه ورد **«مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .. ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[رواه أحمد] . . فبادر يا أخى بالتوبة وسارع إلى ربك فإن من أقبل إلى اللّه يمشى أتاه الله هرولة . . وكن إيجابياً فى حياتك . . ساهم فى فعل الخير وتعاون مع الناس على البر والتقوى وكن نقى القلب صفى النفس مُتحلياً بالصبر مُتسماً بالحلم والتواضع لأن المؤمن ألف مألوف ولا ينفعه إيمانه إلاّ إذا أحبّ للناس ما يحب لنفسه . .

نسأل اللّه أن يرزقنا التوفيق والقبول وأن يرزقنا عيشة السعداء وموت الشهداء . . ونزل الأبرار الأوفياء . . ومرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . . وحَسُن أولئك رفيقاً . . ذلك الفضل من اللّه الرحمن الرحيم . . وصلّ اللّه وسلم على سيدنا محمد نبى الهدى ورسول السلام وعلى آله وصحبه ومن سار على سُنته واتبع هداه . .

منصور الرفاعى عبيد

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

المؤلف في سطور

- الشيخ منصور الرفاعي عبيد.
- ولد فى قرية محلة زيّاد - مركز سمنود - محافظة الغربية عام ١٩٣٢ .
- درس بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين . . جامعة الأزهر.
- عمل بوزارة الأوقاف وشغل العديد من المناصب آخرها . . وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن.
- له إسهامات متعددة فى النشاط الاجتماعى من خلال الجمعيات الخيرية.
- متحدث بالإذاعة والتليفزيون وله مقالات بالمجلات والجرائد.
- مشارك فى كثير من المؤتمرات العلمية فى داخل البلاد وخارجها.
- مشارك فى كثير من الأعمال الشعبية ولجان المصالحات.
- سافر إلى الكثير من دول العالم لحضور المؤتمرات العلمية.
- عضو بالمجالس القومية المتخصصة شعبتى الرعاية الاجتماعية . . والشباب والرياضة.
- عضو اتحاد الكُتَّاب.
- عضو مجلس الشعب فى دورات سابقة.
- حاصل على الكثير من الدروع والميداليات وشهادات التقدير من هيئات وجامعات ووزارات.
- ورد اسمه فى الموسوعة القومية للشخصيات البارزة والتى صدرت عن هيئة الاستعلامات عام ١٩٨٩ .
- حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- له أكثر من ستين مؤلفاً..

هذا الإمام

للشاعر / محسن محمد عبد ربه

منح السيد رئيس الجمهورية وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى لصاحب الفضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد - وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن- وفى حفل تكريم أقيم بقرية محلة زياد .. وقف الشاعر المجيد ليعبر عن مشاعره وأحاسيسه بهذه الفرحة .. ولقد كان الجمهور يقدم للشاعر التعزية فى وفاة والده ولكن ذلك لم يمنعه الحضور والمشاركة بهذه القصيدة.

طوبى لجودك يا أخا الإسلام ... كنت النصير لنا على الأيام

يا شيخنا منصور يا رمز العلا ... بحر الوفاء وكوكب الإنعام

أثلجت صدرى ، حين جئت معزيا ... قلبى ، لفقدى منبع الإلهام

وشرحت لى ، ما كان يقطعه أبى ... كى يهدى الأحباب خير سلام

طمأنتنى ، وهديتنى ، أرشدتنى ... للحق ، يعبر محنة الالام

وأخذتنى للنور يا زهر المنى ... أسمو على خطبى ، مع الإقدام

* * *

يا عالما ، قطع الفيافى صابرا ... كى ينشر الإسلام ، فى استلهام

أحببت طه المصطفى ، نبع الصفا ... كم زرت روضته ، مع الأعلام

وبكيت ، من شوق الفؤاد لنوره ... طه الطبيب ، ونور كل ظلام

طوفت فى شرق البلاد وغربها ... تدعو لسنته ، بعزم همام

أ إمامنا منصور ، يا أستاذنا ... تزهى بعلمك صفوة الأقلام

أ إمامنا منصور ، يا فخر الدنا ... يا نور فجر مشرق بسام

* * *

قلدت تشريفاً وسام علومنا ... وفنوننا ، يا رافعا للهام

طبقاته الأولى ، على مصر الوفا ... مصر الأبية ، واحة الأحلام

ورئيس دولتنا يقلد شيخنا ... هذا الوسام ، بعزمه المقدام

هذا الإمام ، بعلمه وبفكره ... أرسى دعائم مجد عز ، سام

يا شمس دولتنا ، تألق نورها ... تمحو بعلمك عهد الاستسلام

وأضاءت مصباح العقول بهديكم ... حتى تكامل نورها المتسامى

تهنئة

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ منصور الرفاعي عبيد لفوزه في الانتخابات بعضوية مجلس الشعب مايو ١٩٨٤

قالوا : لمن تلك المهابةُ والفخامةُ والجلالْ ؟
ولمن ترفرفُ تلكمُ الراياتُ نشوى في دلالْ ؟
ولمن تغرد كلُّ أسراب الطيور بلا كلالْ ؟
قلتُ الوجودُ مشاركٌ فيَ بلدتيَ / نصرَ الهلالْ

* * *

واليوم تبتهجُ النفوسُ بفوز نائبناً الفضيلْ
منصورَ أيــدهُ الألهُ بنصره النصـرَ الجميــلْ
ليمثلَ الشعبَ الحبيبَ بمجلسِ الشعبِ النبيلْ
فهو الجديرُ بنصرهِ فالشكرُ للمولىَ الجليلْ

* * *

منصورُ أيدك الإلهُ فسرْ بنا وإلــى الأمــامْ
واجعلْ حياتك لَلألى جعلوكَ بالثقة الإمامْ
واجعل بصدركَ ساحة للكلِّ يزحمُهاَ الوئامْ
فلقد غدوتَ عميدَنا وعميدَنا شهمٌ همامْ

* * *

منصور بلدتكَ الحبيبةُ في اشتياقٍ من سنينْ
آن الأوانُ وقد نجحتَ فكنْ بها البرَّ الأمينْ
تخذتك عُدَّةَ عمرها وهبتكَ حبَّ المخلصينْ
فانَهضْ بهــا وبأخوةٍ بغــدٍ كريمٍ يحلمونْ

* * *

منصورَ مهما صغتُ من حلوِ القصيدِ أو النشيدْ
فلأنتَ فوقَ فرائد الكلِمَ المُنمَّقِ والنضيدْ
ولأنت شمسُ نهارناَ والبدرَ في غدنا السعيدْ
واللهَ ندعُو أن يُعيَنَك كي تحققَ ما تريــدْ

محمد الشهاوى
وكيل وزارة الإعلام - قطاع التليفزيون

رقـم الايـداع :
١٤٣٣١ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 274 - 7

مطـابع آمـــون
٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى – القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ – ٧٩٤٤٣٥٦